

جَدَائِدُ الْحَقِّ عَقْلًا
فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ
السَّيِّدِ عَلَامَةِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسٍ ثَرَابِ كَلَسْتَانَهُ
الْمُتَوَفَّى ١١٠ هـ



ISBN 978-9922-94650-4



9 789922 946504

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3302 لسنة 2020

مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	٢٠٢٠ N٣٧٥ A٢.BP١٩٣,١
المؤلف الشخصي :	كلستانة الأصفهاني، محمد بن محمد علي، توفي ١١٠٠ للهجرة - مؤلف.
العنوان :	حدايق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق /
بيان المسؤولية :	السيد علاء الدين محمد كلستانه ؛ تحقيق احمد حميد الشكري، حسن عبد زيد الكربلائي.
بيانات الطبع :	الطبعة الأولى.
بيانات النشر :	العراق، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.
الوصف المادي :	٣ مجلد مادي في ١٠ جزء ببليوجرافي : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٨٠٨).
سلسلة النشر :	(مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ١٩٣).
سلسلة النشر :	(سلسلة تحقيق المخطوطات، وحدة تحقيق التراث الروائي ؛ ١٤).
تبصرة ببليوجرافية :	يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي :	الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي :	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - خطب.
موضوع شخصي :	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - احاديث.
موضوع شخصي :	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - كلمات قصار.
مصطلح موضوعي :	البلاغة العربية.
مصطلح موضوعي :	اللغة العربية - الفاظ.
مصطلح موضوعي :	اللغة العربية - نحو.
مؤلف اضافي :	شرح لـ (عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة.
مؤلف اضافي :	الشكري، احمد حميد - محقق.
مؤلف اضافي :	الكربلائي، حسن عبد زيد - محقق.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

حَدَائِقُ الْحَقِّقِ
الشرقية
فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ
السَّيِّدِ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي ثَرَابٍ كَلَسْتَانَهُ
المتوفى ١١٠هـ

الجزء الأول
القسم الأول

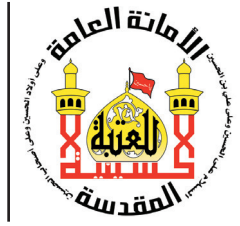
تحقيق
لحمّد حميد عيّيل الشُّكْرِي

إصدار
مؤسسة عالم من حج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

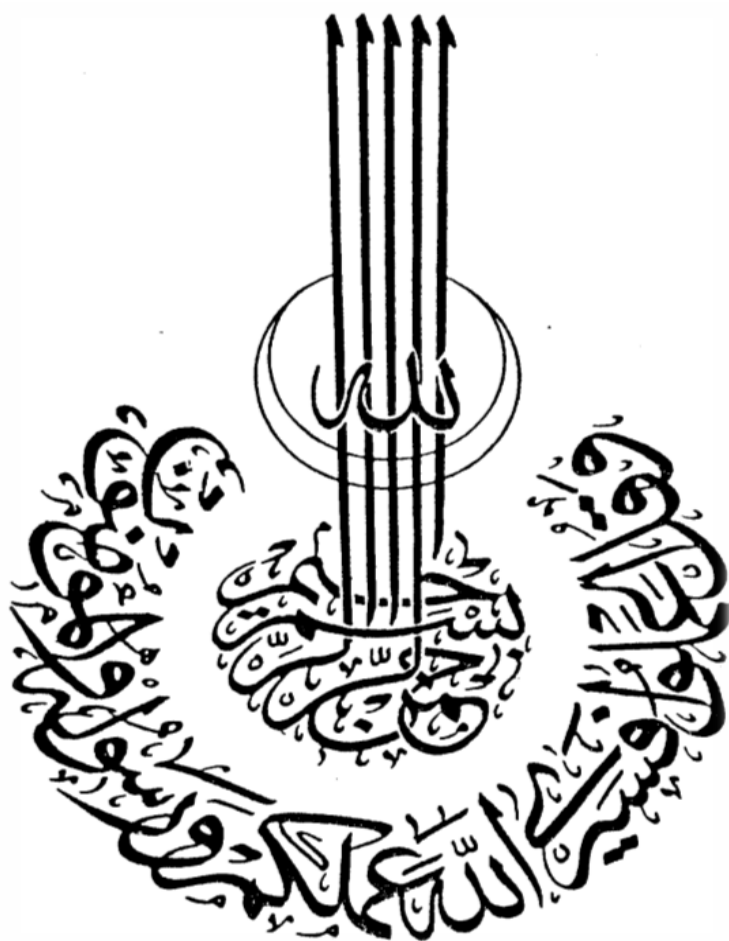
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر

بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية



صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة الآية ١٠٥

الإهداء

إلى الأبرار الأخيار
و الغيارى الأحرار
و ساتري الحرائر وحماة الدار
و الدافعين عن بلدهم كيد الفجار
و من لبوا نداء الحق في وضح النهار
وأبطال الحشد المقدس وكل شريف ووطني وغيور على بلده
أهدي بحثي هذا

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم
ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق
أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن الاهتمام بالتراث العلمي والفكري والروائي المخطوط يعدّ من أهم
السمات التي تأخذ بأعناق المؤسسات العلمية والفكرية وأصحاب الفضيلة
العلمية الذين انعكفوا على دراسة هذا التراث واستخراج خزائنه وإظهارها إلى
الناس بغية الانتفاع منها والمحافظة عليها من التلف والضياع والتلاعب.

وفيما نأتي إلى التراث الخطي في الحديث والتفسير والفقه والآداب والتربية
والمعارف المختلفة نجد أن شخصية الإمام علي عليه السلام كانت حاضرة في جميع
هذه الحقول المعرفية، وإن ما احتواه التراث الخطي في هذه الشخصية لأكثر بكثير
مما طبع ونشر.

وعليه:

فقد كان من المهام والأهداف التي سعت إليها مؤسسة علوم نهج البلاغة
هو الاهتمام بهذا التراث المخصوص بالإمام علي عليه السلام وكتاب نهج البلاغة
وتحقيقه وطبعه ونشره في الأوساط العلمية والثقافية.

وما هذا التحقيق الذي بين أيدينا إلا واحداً من الأعمال العلمية العديدة التي
أنتجتها المؤسسة بفضل الله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والموسوم

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

ب: (حقائق الحقائق في شرح كلمات كتاب الله الناطق) تصنيف العالم الفضال أبو تراب كُستانه، علاء الدين محمد بن محمد علي المتوفى سنة ١١١٠ للهجرة النبوية. وقد قام المصنف (رحمه الله) بتقسيم شرحه لبعض خطب نهج البلاغة إلى ثلاثة أجزاء، فكان الجزء الأول لشرح الخطبة الأولى والثانية، وقد قام بتحقيقه الأخ الأستاذ المحقق أحمد حميد عباس الشكري دام توفيقه ودراسته لنيل شهادة الماجستير، ولذا اقتضى المقام أن يضم إلى الجزء الثاني والثالث والذي حققهما الأخ الأستاذ المحقق حسن عبد زيد دام توفيقه وبذل فيهما جهده واهتمامه الكبير لا سيما وأن الجزء الثاني كان هو القسم الأعظم من جهد المصنف (رحمه الله) وقد خصصه لشرح الخطبة الشقشقية وما تضمنته من بيان للمطاعن الذي تتبعها المصنف وذلك بمقتضيات النص الشريف لا سيما ظلامة مولى الموحدين وأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وبضعة النبوة وصفوة الرسالة فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها وعلى آبيها وبعليها وبنيتها).

أما الجزء الثالث فقد خصصه المصنف (رحمه الله) لشرح الخطبة الرابعة إلى الخطبة الخامسة عشر وأظهر العديد من المسائل العقدية والتاريخية لا سيما فيما ارتبط بخروج عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) وطلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام).

فجزى الله المصنف والمحققين على ما بذلوه من جهد وعمل مذخور ليوم لا ينفع فيه إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسن الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على الصادق الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين وصحبه المتجبين.

وبعد:

كنت كلما قرأت دراسة في نهج البلاغة ازددت إعجاباً بها، ولا سيما إذا كانت نتاجاً مخطوطاً ذلك؛ لأنها - على ما فيها من قيمة علمية مهمة - تزيل الغبار عن كثير من النتاج المظمور في رفوف المكتبات تحت ما يسمى بالمخطوطات، إذ لا تأخذ مثل هذه المؤلفات صفة علمية إلا إذا تم تحقيقها، فتصبح حين ذاك مشروعاً بحثياً للآخرين للاستزادة منها، من هنا جاءت رغبتني في الخوض في عالم التحقيق بما يكتنفه من ثمار علمية خفية تقطف عند اظهارها للنور، فضلاً عن اهتمامي بالتراث العربي المخطوط.

وازداد شغفي أكثر بعد أن وجدت مكتبة جامعة بابل تفتقر لهذا دراسات أعني بالدراسة والتحقيق، من هنا انطلقت الفكرة لدراسة الجزء الأول من شرح نهج البلاغة المسمى بـ (حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق) للمصنف السيد علاء الدين كلستانه دراسة وتحقيق، لما فيه من مستوى معرفي تحلى به هذا الشرح ينبئ عن مصنف يمتلك من الثراء العلمي ما يتيح له الخوض في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، كلام سيد البلغاء الذي

لا يمكن ان يشق عبابه إلا من تضلع، أو تسلح بعلوم شتى.

يقع هذا المصنف في ثلاثة أجزاء في ثمان مئة وخمسين صفحة، قُدِّم إلى اللجنة العلمية في قسم لغة القرآن، وبعد المناقشة، والمداولة تم الاقتصار على دراسة الجزء الأول من الشرح، لأسباب منها: ضخامة حجمه، وأن الدراسة لا تعنى بالتحقيق فقط، وإنما بالدراسة أيضاً، وهذا مما لا يتسع له الوقت المحدد لطالب الدراسات العليا في مرحلة الماجستير، فضلاً عن تعليمات الدراسات العليا المتعلقة بشروط رسالة الماجستير، مما يجعل تحقيق هذا الشرح بأجزائه، ودراسته تتجاوز أكثر من ألفي صفحة، أو أكثر، علماً إن مؤسسة نهج البلاغة التابعة للعتبة الحسينية المقدسة - بعد التنسيق معها - أخذت على عاتقها المباشرة بتحقيق الجزئين الآخرين ليخرج شرحاً بثلاثة اجزاء.

فقرر الجزء الاول دراسة، وتحقيق موضوعاً لرسالة الماجستير، وبعد ذلك شرعتُ أجمع مادة البحث، وأول ذلك البحث عن مخطوطات الشرح المتفرقة ما بين المكتبات العامة، والخاصة، فواجهتني صعوبة العثور عليها، فكان الحصول على نسخة من المخطوط يستنفد وقتاً طويلاً، لاسيما ان من نسخها خارج العراق، فضلاً عن ان بعض هذه النسخ كتب باللغة الفارسية.

ولم يثن هذا الأمر، وتلك الصعوبة عن متابعة العثور على مخطوطات الشرح، فبعد مساعدة الأفاضل وعلى رأسهم السيد حسين جهاد الحساني مدير قسم المخطوطات في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، تمكنتُ من الحصول على قدر من النسخ الموجودة للتحقيق على وفق ضوابط العمل

البحثي الرصين.

وأقرُّ انني فضلاً عما ذكرت من جهدٍ متعبٍ في الحصول على نسخ المخطوطات واجهت صعوبة الحصول بـمكان ما عن ترجمة للمصنف؛ لأنه نشئ في بلاد فارس، ولا توجد دراسات عربية في مجال التراجم التي تعنى بسير العلماء، جاءت على ذكره بصورةٍ تعطي تصوراً عن سيرته، ومكانته العلمية، والدينية بين اقران عصره لاسيما هو من أشهر علماء القرن الحادي عشر، إذ له من المؤلفات ما يتجاوز اثني عشر مؤلفاً موزعاً بين الفقه، والسيرة، والشرح، وهي تدل على مكانته العلمية العظيمة، فهذه التراجم جاءت على ذكره بصورة خجلة على استحياء، وهذا مما اوجب الباحث الى ان يبحث عما كتب عنه باللغة الفارسية، فواجهتني صعوبة الترجمة، وصعوبة البحث عن مصنف فارسي يعنى بالتراجم لاسيما ان الوقوف على اسم المصنف، وسيرته، ومصنفاته أمر مهم من متطلبات الدراسة، ولم تثن هذه الصعوبات عن متابعة السير بحثاً عن مادة هذه الدراسة، فاجتمعت لدي مادة تطلب الإمام بجوانبها، ودراستها السير على منهجٍ وصفي تحليلي.

لقد قُسمت الدراسة إلى قسمين، خصصت الأول منها للدراسة، ويقع في تمهيد وخمسة فصول، كان التمهيد خاصاً بحياة المصنف، بينت اسمه، ولقبه، وأسرته، ثم أوضحت شخصيته، وثقافته، وأساتذته، وطلابه من خلال سيرته، ومصنفاته، وتاريخ وفاته، ولعلي استطعت - على الرغم من صعوبة ذلك - أن أبرز صورة له على قدر ما توصلت إليه، وأعانتني على ذلك المصادر.

وعقدتُ الفصل الأول بعنوان جهود المصنف، وفيها بينت موقف المصنف وآراءه النقدية في شرحه، وتوزعت بين مصادر ثقافته، والنقد والترجيح، ونقله من المصادر.

وتحدثتُ في الفصل الثاني عن المباحث اللغوية وفيه قسمته على ثلاثة مباحث، تناول الأول مبحث النحو، والثاني الصرف، والثالث المعجم.

أما الفصل الثالث فقد انبرى فيه الباحث للحديث عن علوم القرآن، والحديث، وحددته في ثلاثة مباحث الأول تناولت فيه القرآن الكريم، والثاني القراءات القرآنية، والثالث الحديث النبوي.

وكرستُ الفصل الرابع عن اهتمام المصنف بالتاريخ، والفلسفة، والعلوم الأخرى، وجاء على ثلاثة مباحث الأول التاريخ، والثاني الفلسفة، والثالث العلوم الأخرى، وفيه سلط الضوء في هذا الفصل على اهتمامات المصنف بالعلوم التي شكلت زاداً مئناً له في شرحه.

أما الفصل الأخير فجعلته للحديث عن الأجناس، وقسمته على ثلاثة مباحث الأول عني بالأمثال، والثاني بالبلاغة، والثالث بالشعر.

لقد حاولت في هذه الدراسة أن أتبع ما عنت لي من ملاحظات وجدتها في هذا الشرح شكلت مادة علمية موجبة، أعني بها بالدراسة، والتحليل، وحرصت هنا قدر المستطاع على أن لا أترك أيّاً منها يبين فيها أثر المصنف متوخياً الموضوعية في ذلك.

وكان القسم الثاني مختصاً بتحقيق الشرح، وفيه اعتمدت على ما توافرت

لدي من مخطوطات الشرح، واخذتُ النسخة الأفضل من بينها على وفق اسباب موجبةٍ لذلك، فكان ان جاء هذا الشرح بجزئه الأول في مئة وأربعة وأربعون صفحة.

وكان عملي فيه ان ذكرت توطئة في نهج البلاغة وأهميته، وفيه سلطت الضوء على أهم الشروح المشهورة لنهج البلاغة، وكذلك ذكرت الأسباب والدوافع في شرحه لهذا النهج وأيضاً التأكيد على نسبة المؤلف للمصنف والعكس، وذكرت في نقاط منهج الباحث في التحقيق.

وكان ذلك أن قمتُ بالتعريف بالأعلام والمواضع، وما يتصل بها، أحسب أنه يفي بالغرض، وشرحتُ معاني الكلمات، وبيّنتُ الأخطاء الإملائية في النص أيضاً، بعد ان خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والروايات، والقراءات القرآنية، والأبيات الشعرية، وقد دعاني هذا إلى الاعتماد على قائمة طويلة من المصادر والمراجع التي كانت لي عوناً على إنجاز هذه الرسالة بشقيها الدراسة، والتحقيق.

ثم عملت على اتمام هذا التحقيق بمكملاته، وأعني الفهارس الخاصة بالتحقيق، وتوزعت بين الآيات القرآنية، والاحاديث النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت عليهم السلام، والاعلام، وفهرست اللغة.

لقد أفادت الدراسة من المنهج التحليلي النقدي، وإن الظواهر المستقاة من الدراسة اخضعناها للتحليل والنقد متوخين الجانب العلمي في ذلك، حتى تنتهي الى توحيد شمولي يحدد المادة العلمية لهذا الشرح.

وضمت الخاتمة الخطوط العريضة للبحث.

وإذ أفخر بأنني درستُ، وحققتُ الجزء الأول من أحد شروح نهج البلاغة، فإنني لم أتخذ من اتصال دراستي للمصنف سبباً يقيّدني عند محاسن هذا الشرح، ويمنعني من اظهار هناته ان وجدت، بل كان ديدني الانحياز إلى الموضوعية في ما سطرته من آراء، وأودعته من أحكام.

لقد بذلت - طوال اكثر من سنة - أقصى ما يحتمله جهدي، ولم أضنّ عليه بالوقت، والصبر، والمال، وأجدي مسروراً أن أقدم هذا العمل - بعد أن اجتمع لي معه جميل صحبة - ليضاف إلى ما ظهر من شروح نهج البلاغة، وحسبي أنني أعطيته حقه، فإن كان ذلك فتلك منّة من الله تعالى عليّ أرجوها، وشفيعتي يوم القيامة، وإذا وجد ذوو العلم من أهل التناصف هفوةً، أو سهواً أو شيئاً من النقص، فشفيعي صدق ما بذلتُ، ولستُ أدفع عن نفسي ما قد أكون قد وقعت فيه منّة، فما أنا إلا إنسان، فالكمال لله عز وجل، وهو حسبي.

والحمد لله رب العالمين حمداً لا كفاء له، هيباً لي الخير وسنّاه، والصلاة على رسوله المصطفى وآل بيته الأطهار.

الباحث

التمهيد

سيرة السيد علاء الدين كلستانه

اسمه، ونسبه، ولقبه

هو مُحَمَّد بن الأمير مُحَمَّد عليّ شاه المعروف بأبي تراب بن أبي المعالي بن مرتضى بن أمير منصور بن غياث بن عبد العزيز بن نظام الدين بن إسماعيل بن شرف الدين صدر بن الأمير إسماعيل بن عماد الدين عليّ بن الحسن شرف شاه بن عماد الدين بن أبي الفتوح مُحَمَّد بن أبي الفضل - الشهير بگلستانه - ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين الرئيس بن عليّ بن الحسين بن الحسين بن القاسم بن مُحَمَّد - المعروف بالبطحائي - ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الگلستاني البطائحي الحسني^(١).

أمّا لقبه: فهو علاء الدين، وكان أبوه يلقب بأبي تراب، وكان من أعيان گلستانه؛ فنسبه عربي شريف ينتهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأنها من الأسر العربية التي سكنت بلاد فارس في مدينة گلستان إحدى مدن أصفهان، ولقبه (گلستانه) متأت من لقب أسرته التي استوطنته من سكنها، إذ أنها قطنت مدينة گلستانه من أعمال أصفهان في بلاد فارس، ومنها انحدر علاء الدين، وبقي فيه، وآل گلستانه هم بيت شرف، وعلم إلى اليوم^(٢).

(١) ينظر: تكملة أمل الآمل، السيد، حسين الصدر، تح: السيد أحمد الحسيني: ٤٢٧/٣، المعقبون من آل أبي طالب عليه السلام، مهدي رجائي: ٤٧٢/١، ريشه های وجلوه های تشیع حوزة علمیه اصفهان در طول تاریخ، میر سید حجة مؤحد ابطحي: ٤٨٤/١.

(٢) ينظر: جامع الرواة، ميرزا محمد الاردبيلي: ٥٤٤/١، رياض الجنة، الميرزا محمد

نشأته، ومكانته العلمية

لا توجد معلومات دقيقة بين أيدينا عن تاريخ ولادته، ويبدو أن السبب في ذلك كثرة ترحاله، وتنقله في طلب العلم، والمعرفة، مما صعب الوقوف على معلومات دقيقة عن ولادته، وقد تكون تلك المصادر - التي ترجمت له - فقدت بسبب عواهن الزمن. فبقيت إشارات إلى تقريب ولادته، ومنها ما ذكره العلامة المجلسي^(١): إنه أحد الأعمدة، والأركان المعروفين من

حسن الحسيني الزنوزي، تح: علي رافعي: ٢/ ٤٨١، كشف الحجب والأستار، إعجاز حسين: ١٩٣، الكنى والألقاب، عباس القمي: ٢/ ٤٧٧، خاتمة المستدرک، ميرزا حسين النوري: ٣/ ٢٠٨، تكملة أمل الامل: ٣/ ٢١٣، الذريعة الى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني: ٣/ ١٦١، ٦/ ٢٨٤، معجم رجال الحديث، السيد حبيب الله الخوئي: ١٢/ ١٩٧، الغدير، الشيخ الأميني: ٤/ ١٩٠، اعيان الشيعة، محسن الامين، تح: حسن الأميني: ٩/ ٦١، دراسة حول نهج البلاغة، محمد حسين الجلاي: ١٦٠، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الخطيب: ١/ ٢٥٥، تلامذة العلامة المجلسي، احمد الحسيني: ٥٧، تشييد المطاعن لكشف الضغائن، محمد قلي كنتوري لكهنوي: ٤٣٩، كتابنامه نهج البلاغة، رضا استادی: ٢٣، ٣٥٩، مع موسوعات رجال الشيعة، عبد الله شرف الدين: ٣/ ٢٤٩-٢٥١، رجال ومشاهير اصفهان، علي جناب: ٤٦٥-٤٦٦، علامة مجلسي بزرگمرد علم ودين، علي دواني: ٤٦٥.

(١) السيد محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الاصفهاني المجلسي: شيخ الاسلام والمسلمين، خاتم المجتهدين، الإمام العلامة، المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، وحيد عصره، فريد دهره، ثقة، ثبت، عين، كثير العلم، جيد التصانيف، وأمره في علو قدره، وعظم شأنه، وسمو رتبته، وتبحره في العلوم العقلية والنقلية، ودقة نظره، وإصابة رأيه، وثقته وأمانته، وعدالته أشهر من أن يذكر، وفوق

سادات گلستانه، حيث ذكر هذه العائلة الكريمة العلامة قدس سره (ت ١١١١هـ) الذي كان متزوجاً منها^(١).

كذلك لا توجد معلومات عن أيام شبابه، ودراسته سوى أنه في أواخر عمره عُرف بأنه أحد العلماء البارزين الذين كانوا موضع اهتمام الحكام

ما تحوم حوله العبارة، بلغ فيضة وفيض والده رحمه الله تعالى دينا ودنيا لأكثر الناس من العوام والخواص، شيخ الاسلام في أصفهان، ورئيسا فيها في الأمور الدينية، والدينية. روج الحديث ونشره لا سيما في الديار العجمية. له كتاب بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، وهو موسوعة للعلوم الدينية الاسلامية ولد بأصفهان عام ١٠٢٧ هـ، وتوفي سنة ١٠٧٠ هـ وكان من الفقهاء والمحدثين الأعلام، عالماً فاضلاً محققاً كثير التصانيف كثير الأيادي، وقد بلغ عدد من تخرج من مجلس درسه ما يبلغ الألف عالماً. توفي رحمه الله وتوفي بأصفهان ليلة ٢٧ شهر رمضان تباينت الآراء في تاريخ وفاته فقيل: ١١١٠ هـ، وقيل: ١١١١ هـ، دفن تحت قبة والده في جامع عتيق أصفهان. ينظر: هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي: ٣٠٦/٢، طرائف المقال، البروجردي، تح: مهدي الرجائي: ١/ ٧٢، ٢/ ٣٨٩، معجم رجال الحديث: ١٥/ ٢٢١، العقد المنير، السيد موسى الحسيني المازندراني: ٤٣٦، موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، تح: الشيخ السبحاني: ١٢/ ٣٥٠، سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، السيد محمد حسين الطباطبائي، تح: الشيخ محمد هادي الفقهي: ٣٠، المفيد من معجم رجال الحديث، محمد الجواهري: ٤٨٢.

(١) ينظر: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، العلامة المجلسي: ١/ ٢٨، تكملة امل الامل: ٤٢٠، المعقبون من آل أبي طالب عليه السلام: ١/ ٤٧٢، ريشه های و جلوه های تشيع حوزة علميه اصفهان در طول تاريخ: ١/ ٤٨٤، رجال ومشاهير اصفهان: ٤٦٥-٤٦٦.

الصفويين في أصفهان، حتى رشحوه لمنصب الوزارة مرتين، لكنه رفضها؛ لشدة ورعه، وتقواه وبحسب ما تذكره كتب تاريخ عصره أنه كان منشغلاً بالعلم، والأمور الشرعية، وتبليغ أحكام الدين، وشرح، وتفسير أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام^(١)، وهذا ما جاء في أكثر الكتب التي ذكرت أقوال المعاصرين له أو المترجمين لاسمه، ومكانته العلمية، التي نحسبها جزءاً من سيرته ومنها:

١. ميرزا محمد الأردبيلي:

علاء الدين محمد بن الأمير شاه أبو تراب، الحسني من سادات الغلستان، جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة ثقة ثقة ثبت عين عدل ورع، زاهد أورع أهل زمانه وأزهدهم الجامع لجميع، الخصال الحسنة والعالم بالعلوم العقلية والنقلية، كلف مرتين للصدارة فلم يقبل لكمال عقله، وغاية زهده مد الله تعالى ظله العالي وصاله، وأبقاه له تصانيف منها: حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، وبهجة الحدائق أيضاً في شرحه، وكتاب روضة الشهداء وكتاب منهج اليقين وغيرها^(٢).

ويذكر أن بعد تأليف جامع الرواة، أمر السلطان الشاه سليمان الصفوي بكتابة نسخة له عن نسخة الأصل، فلما أراد الكاتب ميرزا محمد الأردبيلي الشروع فيها دعا جماعة من أعظم العلماء إلى حجرته بالمدرسة المباركية فكتب

(١) ينظر: مع موسوعات رجال الشيعة: ٣/ ٢٤٩-٢٥١.

(٢) ينظر: جامع الرواة: ١/ ٤٥٥.

كل واحد منهم شيئاً من أوله إلى سطرين منها تقديراً منهم له ولكتابه وتيمناً منه بخطوطهم وكان السيد علاء الدين گلستانه أحدهم فكتب بهذا الترتيب:

كتب العلامة المجلسي: بسم الله الرحمن الرحيم، والآقا جمال الخونساري: الحمد لله، والسيد علاء الدين گلستانه: الذي، والسيد الميرزا محمد رحيم العقيلي: زين قلوبنا، والشيخ جعفر القاضي: بمعرفة الثقات والآغارضي الدين محمد أخو آقا جمال الخونساري: والعدول والمولى محمد السراب والاثبات والأعيان ثم كتب الباقيون كلمة كلمة إلى تمام السطرين ثم كتب الكاتب وهو مرتضى بن محمد يوسف الأفشار فرغ من كتابتها سنة مئة بعد الألف وكتب العلامة المجلسي قدس سره بخطه على الورقة الاولى انه أوقفها من قبل الشاه سليمان في شهر شعبان من سنة مئة بعد الألف^(١).

٢. الشيخ عباس القمي:

إذ قال: (هو السيد الأجل، العالم الزاهد، مولانا الميرزا محمد بن أبي تراب الحسيني الأصفهاني، المعروف بالميرزا علاء الدين گلستانه، شارح نهج البلاغة)^(٢).

٣. السيد محسن الامين:

(السيد محمد بن أبي تراب الحسيني من سادات گلستانه المعروف بميرزا علاء الدين گلستانه، جليل القدر، عظيم الشأن، عابد، زاهد، عالم بالعلوم

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣-٤، تكملة امل الامل: ١٠،

(٢) الكنى والألقاب: ٢/ ٤٧٧.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

العقلية، والنقلية أخو زوجة العلامة المجلسي، أو خالها عرض عليه منصب الصدارة مرتين، فلم يقبل له مصنفات جليلة مثل: حدائق الحدائق في شرح نهج البلاغة^(١)

٤. العلامة السيّد محمد حسن الزنوزي

(السيد علاء الدين محمد بن أبي تراب گلستانه، عالم، فاضل، كامل، محقق، مدقق، متكلم، علامة، منشئ، بليغ، امامي، عدل، ثبت، ماهر، متبحر، له كتاب شرح نهج البلاغة المسمى حدائق الحقائق في شرح كلام الله الناطق، ولقد أجاد بما افاد جداً)^(٢).

٥. آقا احمد بهبهاني في كتاب مرآت احوال جهان نما، في ذكر تلامذة العلامة المجلسي قال فيه:

(فاضل قليل النظير ميرزا علاء الدين محمد گلستانه شارح نهج البلاغة)^(٣).

٦. عمر رضا كحالة:

(عالم، مشارك في العلوم العقلية والنقلية، له مصنفات)^(٤).

٧. السيد حبيب الله الخوئي:

(١) اعيان الشيعة: ٩ / ٦١.

(٢) رياض الجنة: ٤ / ٢٨١.

(٣) مرآت احوال جهان نما: ٧٩.

(٤) معجم المؤلفين، عمر كحاله: ٩ / ١٢٥

(علاء الدين محمد بن الأمير شاه أبو تراب الحسيني من سادات گلستانه، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، ثقة ثقة، ثبت، عين، عدل، ورع، زاهد، أورع أهل زمانه وأزهدهم، الجامع لجميع الخصال الحسنة والعالم بالعلوم العقلية والنقلية، كلف مرتين للصدارة فلم يقبل لكمال عقله وغاية زهده)^(١).

٨. صائب عبد الحميد:

(علاء الدين گلستانه، محمد بن ابي تراب الحسيني من سادات گلستانه، بإيران عالم كبير، جليل القدر، عابد، زاهد له مصنفات عالية منها: شرحان لنهج البلاغة، أحدهما لم يتم، وله في التاريخ روضة الشهداء)^(٢).

٩. السيد احمد الحسيني:

(محمد بن أبي تراب بن أبي المعالي بن مرتضى بن منصور مير غياث بن عبد العزيز الحسيني الأصبهاني، المعروف بگلستانه من أجلاء العلماء والمحدثين بأصبهان، وصف بأنه جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة، ثقة ثقة ثبت عين ورع زاهد، أورع أهل زمانه وأزهدهم، الجامع لجميع الخصال الحسنة والعالم بالعلوم العقلية والنقلية، كلف مرتين للصدارة فلم يقبل لكمال عقله

(١) ينظر: معجم رجال الحديث: ١٢ / ١٩٧-١٩٨، وخاتمة المستدرک: ٣ / ٢٠٨. وهذا

الذكر قد كرر عند ثناء ميرزا محمد الارديلي، ينظر صفحة: ٢.

(٢) معجم مؤرخي الشيعة الامامية الزيدية الاسماعيلية: ٢ / ١٢٦.

وغاية زهده. وهو من تلامذة العلامة المجلسي^(١).

أبنائه

لم تشر المصادر الى ذكر عائلته وزوجته، ويبدو إنَّ السبب في ذلك طبيعة هذه العوائل المحافظة، مما قد يمنع من توارد ذكر شيء عن عائلته وزوجته وابنائهم، سوى ما ورد عن أنه خلف ثلاثة ابناء ساروا على طريقه في طلب العلم والمعرفة، ويبدو انهم قد تلمذوا على يد ابيهم، فنشأوا على مكانة عالية في العلم والمعرفة في مدنهم، ومنهم:

١. المير محمد حسين:

من علماء وفضلاء القرن الثاني عشر للهجري، عاش مع والده، وأكمل دراسته في اصفهان^(٢)، فكان من عقبه: الميرزا محمد يلقي ب(مسعود السلطنة)^(٣).

٢. المير محمد باقر:

وفيه قالت المصادر: السيد الشريف الحسيب، ذو المفاخر والمناقب، والنور الباهر، كان عالماً فاضلاً وخبيراً عاملاً جليلاً القدر من بيت رفيع قديم في العلم والشرف وهو من تلامذة العلامة المجلسي قدس سره وقد أعقب من

(١) تلامذة العلامة المجلسي: ٥٧.

(٢) ينظر: اعلام اصفهان، مصلح الدين مهدي: ٢ / ٧٦٤.

(٣) ينظر: المعقبون من آل ابي طالب (عليه السلام): ١ / ٤٧٣.

ولده: السيد محمد إسماعيل گلستانه^(١)

السيد مير محمد كمال الدين: لم تذكر المصادر تفاصيل عن شبابه، وعلمه الا ما ذكر ان له من عقبه ثلاثة رجال، وهم: السيد محمد أمين، والسيد محمد تقى مستوفى الممالك حاكم كرمانشاه، والسيد إسحاق توفى سنة ١١٧٠ هـ^(٢).

محل سكنه

اقتضى طلب العلم عدم الثبوت أو الاستقرار في مكان بعينه، فالسيد علاء الدين گلستانه، رحل في طلب العلم والتلمذة، لكنه بعد أن حط رحاله بالقرب من العلامة المجلسي في الزقاق نفسه، في اصفهان، وقد ذكر ذلك السيد مصلح الدين مهدي الاصفهاني اثناء ذكر محل سكنى العلامة المجلسي حيث قال: (لا يعرف على سبيل القطع، واليقين منزل العلامة المجلسي لكن بحسب القرائن فإن مسكنه يقع في زقاق امام الجمعة بجانب المسجد الجامع؛ لأن كثيراً من افراد عائلته وأقاربه يسكنون حول هذا المكان،

(١) ينظر: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ١٠٢/١٤٨، تكملة امل الامل: ٢/٢١٠، ٥/١٥٤، ٥/٢١٨، الحاشية على مدارك الأحكام، محمد باقر الوحيد البهبهاني، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث: ١/٢٢، حاشية مجمع الفائدة والبرهان، محمد باقر الوحيد البهبهاني، تح: مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني: ٣٣، مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع، محمد باقر الوحيد البهبهاني تح: مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني: ١/٥٩، اعيان الشيعة: ٣/٣٣٦، ريشه هاى و جلوه هاى تشيع حوزة علميه اصفهان در طول تاريخ: ١/٤٨٥، اعلام اصفهان: ٢/١٢٩.

(٢) ينظر: المعقبون من آل ابي طالب عليه السلام: ١/٤٧٣.

وكان منزل السيد علاء الدين گلستانه وهو زوج أخت العلامة المجلسي في آخر الزقاق^(١).

شيوخه

بلغ السيد علاء الدين گلستانه مكانة علمية رفيعة ويعود الفضل في ذلك إلى العلماء الأجلاء، والشيوخ الأفاضل الذين تتلمذ على أيديهم فكان يرحل اليهم ليتزود بعلومهم فأتقن، علم اللغة، والنحو، والأدب، وعلم الفقه، والحديث وغيرها حتى انه كلف للصدارة مرتين لكمال علمه ورجاحة عقله، ومن أشهرهم: العلامة المجلسي.

إجازاته من علماء عصره

أخذ السيد علاء الدين گلستانه العلم عن علماء كثيرين، وقد حظى عندهم بمكانة مهمة، إجازوه الرواية، والحديث، والتدريس. ومن أبرزهم: أستاذه العلامة المجلسي الذي أفاد منه كثيراً وتأثر بعلمه ومنزلته، ومن إجازاته المشهورة:

ما ذكره العلامة المجلسي في كتابه إجازات الحديث، إن السيد علاء الدين گلستان قد قرأ عليه كتاب شرح نهج البلاغة فكتب له انهاء في آخره بتاريخ ثامن شهر رجب سنة ١٠٩٢ هـ، وقال: (بسم الله الرحمن الرحيم أنهاء الأخ في الله المبتغي لمرضاته تعالى مولانا غياث الدين محمد وفقه الله تعالى، سمعاً وتصحيحاً وضبطاً، في مجالس عديدة آخرها ثامن شهر رجب الأصعب لسنة

(١) علامة مجلسي بزرگمرد علم ودين: ٤٦٥.

اثنتين وتسعين والألف الهجرية. فأجزت له روايته عني بأسانيدي المتصلة إلى السيد الاجل قدس الله روحه^(١).

تلامذته

مكانة المصنف العلمية وعلو شأنه - وبعد أن منح الإجازات عن العلماء- تصدى للتدريس، فكانت تعقد له حلقات الدرس، يجتمع حوله طلاب العلم من كل صوب، وحدث للإفادة من علمه،، فتلمذ على يديه تلامذة كثر، ومن أشهرهم:

١. أبو الصلاح سيد ربيع بن شرف جهان بن جعفر الحسني الاردستاني، وقد نسخ بين يديه نسخة من نهج البلاغة، مُدَوَّنًا في حواشيها بعض المطالب العلمية العالية، والمختلفة من إفادات أستاذه وشيخه، انتهى منها سنة ١٠٧٤ هـ.^(٢)

٢. محمد هاشم بن أبي طالب الحسيني، أحد تلامذته المبرزين، حيث حرر بين يدي أستاذه كتاب ترتيب مشيخة من لا يحضره الفقيه لأستاذه وشيخه، أنهاه سنة ١٠٨٧ هـ.^(٣)

(١) ينظر: إجازات الحديث، العلامة المجلسي، تح: السيد أحمد الحسيني: ١٠٤.

(٢) ينظر: مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين: ٦/ ١٦٤، تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني: ١/ ٢١٢.

(٣) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٤/ ٧٠، و ١٠/ ١٤٩، مستدركات أعيان الشيعة: ٦/ ١٦٤، تراجم الرجال: ١/ ٢١٢.

أما البقية فلم نستطع الظفر بهم، لكن يبدو أن مَنْ ما ذكرناهم كانوا من المقربين له، لأنهم كتبوا عنه - بخط يدهم - بعضاً من مؤلفاته.

آثاره

كان المصنف عالماً موسوعياً فلم تكن معرفته مقتصرة على فرع من علوم الدين فقط؛ بل تناول في مؤلفاته صنوفاً من العربية، والحديث، والتراجم، والتاريخ، وقد وثقت كتب التاريخ أغلبها، ومنها:

١. حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق

من أهم آثاره وأكثرها تفصيلاً باللغة العربية، وباللغة الفارسية كما ذكر السيد العاملي في كتابه شروح النهج قال: (هو شرحه الكبير الفارسي الموسوم بـ "حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق". أن الموجود منه ثلاث مجلدات تنتهي إلى خطبة ﴿كُنْتُمْ جُنُودَ الْمَرْأَةِ وَاتَّبَاعَ الْبَيْمَةِ﴾^(١)، وهي الخطبة الثالثة عشرة فقط، ولا يعلم بقية مجلداته)^(٢)، وقد تعرض فيه للجواب عن أجوبة ابن أبي الحديد عن مطاعن الثلاثة^(٣)، لقد أمضى گلستانه عمراً طويلاً في تدريس، وشرح نهج البلاغة، وله أربعة مؤلفات في نهج البلاغة، ويعد كتاب حقائق الحقائق أكثرها تفصيلاً، نقل في هذا الكتاب كثيراً من الحوادث

(١) الخطبة من كلام له ﷺ في ذم البصرة وأهلها بعد واقعة الجمل، نهج البلاغة،

الشریف الرضی، تح: الشیخ فارس الحسون: ٤٩ خ ١٣.

(٢) شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرح، الشیخ حسین جمعة العاملي: ٨٠.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١٠٢/١٤٨.

التاريخية، والروايات المتعلقة بمطالب الكتاب مع شرح، وتوضيح لمفرداته، ومشكلاته في الحواشي، يقع الكتاب في ثلاث مجلدات: الأول أكمله سنة ١٠٧٤ هـ، والثاني أكمله في سنة ١٠٨٠ هـ، والثالث الذي يشمل شرح الخطبة الرابعة عشرة أنهاه في يوم الجمعة ٢٤ من رجب سنة ١٠٨٢ هـ^(١) والجزء الاول منه موضع دراستنا.

٢. بهجة الحقائق (شرح نهج البلاغة)

باللغة العربية، وهو شرح مختصر لنهج البلاغة ألفه بعد كتاب حقائق الحقائق في الجزء الأول شرح ١٧٦ خطبة، وأكمله في ١٩ ربيع الأول سنة ١٠٩٢ هـ، يبدأ بقوله: (الحمد لله الذي أبلغ نهج الحق في مناهج البلاغ ليكون للمستبصرين علماً) وهذا المصنف هو اطروحة دكتوراه قامت بها الطالبة غيداء كاظم عبد الله في جامعة القادسية كلية الآداب ويوجد منه سبع نسخ مخطوطة معروفة، استفاد منه المرحوم علي أكبر غفاري ضمن هوامش المجلد الرابع والسبعين من بحار الأنوار نقل عنه في بعض النسخ المطبوعة لنهج البلاغة^(٢).

(١) ينظر: جامع الرواة: ١/ ٥٤٤، معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٩٧، كتابنامه نهج البلاغه، رضا استادی: ٢٣، كشف الحجب والأستار: ١٩٣، و ٣٥٩، الغدير: ٤/ ١٩٠، الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦١، ٦/ ٢٨٤، ١٣/ ٢١٤، خاتمة المستدرک: ٣/ ٢٠٨، دراسة حول نهج البلاغة: ١٦٠: ١/ ٢٥٥، تلامذة العلامة المجلسي: ٥٧، تشييد المطاعن لكشف الضغائن: ٤٣٩.

(٢) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦١، و ٦/ ٢٨٤، و ١٤/ ١٤٥

٣. شرح الخطبة الشقشقية

وقد فرغ منه في سنة ١٠٨٠ هـ، وذكر صاحب الذريعة عن لسان سيد علاء الدين گلستانه: "انه قد استوفيت شكوى أمير المؤمنين ﷺ بما لم يوجد في غيره"، وكأنه تتميم لحدائقه حيث أنه انقطع في أواسط الخطبة، رأيته عند السيد محمد باقر اليزدي في النجف وتأريخ كتابته سنة ١٢٤٦ هـ^(١).

٤. شرح خطبة^(٢) همام^(٣):

الغدير: ٤/ ١٩٠، كتابنامه نهج البلاغة: ١٠، شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرح: ٨٠، معجم المؤلفين: ٩/ ١٢٦، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٢٥٤، تلامذة العلامة المجلسي: ٥٧، أعيان الشيعة: ١/ ٥٤٥، ٩/ ٦١.

(١) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦١، و ٦/ ٢٨٤، و ١٣/ ٢١٤، كتابنامه نهج البلاغة: ٣٣، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٢٥٤، ٣/ ٥٥، مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت: ٢٢/ ١٥١.

(٢) تسمى خطبة تنبيه العباد: هي أحد خطب الامام علي ﷺ، التي انشأها عندما سألته همام عن صفات المتقين فقال له: (صف لي المتقين) ووصف الامام علي ﷺ المتقين فخر همام مغشيا عليه فحركوه، فإذا هو ميت فقال أمير المؤمنين ﷺ: ﴿أما والله لقد كنت أخافها عليه هكذا تصنع المواضع البالغة بأهلها﴾. ينظر: كشف الرموز، الفاضل الآبي، تح: الشيخ علي پناه الإشتهاردي وآخرون: ١/ ٨، الإثنا عشرية، الحر العاملي محمد بن حسن الحر العاملي: ١١٥.

(٣) همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصحاب ابن كعب بن الحارث، من سعد العشيرة. كان من شيعة أمير المؤمنين ﷺ، وأوليائه، وكان ناسكا عابدا صاحب أمير المؤمنين ﷺ، وهو ابن أخ الربيع بن خيثم أحد الزهاد الثمانية، ينظر: أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٧١، مستدركات علم رجال الحديث،

باللغة الفارسية التي وصف فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقين، وهو شرح كبير على شكل ارجوزة يزيد على ثلاثة آلاف بيت، أدرجه بتمامه في الفصل التاسع والثلاثين من كتابه (روضة العرفاء في شرح الأسماء)، وضمّن هذا الشرح في كتابه روضة العرفاء في شرح الأسماء الحسنی^(١).

٥. منهج اليقين

باللغة الفارسية، وهو شرح وصية الامام الهمام جعفر بن محمد بن الصادق (عليه السلام) بسط فيه القول بالكبائر أول الشرح: (روائح روح افزاي حمديكه مشام مقدسان ملا أعلى را سر گرم عطسهء تسبيح سازد الخ...) (٢)، وأمرهم بمدارستها، والنظر فيها، والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، والرسالة المذكورة رواها الكليني في الكافي، واختصرها ابن شعبة في تحف العقول (٣)، وقيل منهج اليقين في شرح الرسالة المذهبة للرضا (عليه السلام) التي أرسلها للمأمون، وهو يشبه شرح

الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١٦٧/٨.

(١) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٨٩/١٣، ٢٢٥/١٣، ١٤٥/١٥، ٣٢٥/١٧، كتابنامهء نهج البلاغة: ٣٤، شروح نهج البلاغة ٢١٠ شرح: ٨٠، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٣٤١/١، ٥٤/٣.

(٢) كشف الحجب والأستار: ٥٦٨.

(٣) ينظر: جامع الرواة: ٥٤٤/١، الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١٧٠/١٤، ٢٣/٢٠٠، ٢٤/٤٢٧، فهرست نسخه های خطی، ٣/١٢٤، مستدرک سفینه البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١٣٨/٤، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ٢٥٤/١.

المجلسي على وصية النبي ﷺ لابي ذر الموسوم بعين الحياة^(١)، واما الوصية هي: ((بسم الله الرحمن الرحيم: اما بعد، فاسألوا الله ربكم العافية وعليكم بالدعة والوقار، والسكينة، وعليكم بالحياء، والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل))^(٢).

٦. روضة العرفاء ودوحة العلماء في شرح الأسماء الحسنى:

باللغة العربية طبعة حجرية وهذا الكتاب طبع باسم كاشف الأسماء باسم مؤلف آخر ويبدأ بقوله: ((الحمد لله الواحد الاحد الصمد المنتظم بالإلهية المتفرد بالوحدة))، وكما في النسخة الأصلية المصححة. وقد وقع التحريف في المطبوع منه حتى سمي (كاشف الأسماء) طبع بإيران ناقصا في سنة ١٢٩٦هـ، وظفر على النسخة الخطية المصححة الحاج المولى على محمد النجف آبادي، وكتب بخطه نقائص النسخة المطبوعة عنها على نسخته المطبوعة الموجودة في مكتبة (التسترية)، ومن نقائص المطبوعة الموجود في الخطية شرح خطبة همام في يزيد من ثلاثة آلاف بيت وخطبة النسخة الخطية أبسط من المطبوعة وسماه في الخطبة (روضة العرفاء)، وسمى نفسه بقوله: ((المفتقر إلى غفران الملك الحسيب الداعي ربه المجيب محمد الملقب بعلاء الدين الطيب)). ويأتي في المطبوع انه لعلاء الدين گلستانه، والنسخة الخطية الصحيحة كانت موجودة في مكتبة المولى محمد علي (الخوانساري)، وهي الصحيحة. أولها: ((الحمد لله

(١) ينظر: معجم المؤلفين: ٩/ ١٢٦، عيان الشيعة: ٩/ ٦١.

(٢) الكنى واللقاب: ٢/ ٤٧٧، معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٩٨، تلامذة العلامة المجلسي: ٥٨.

الواحد الأحد الصمد المتعظم بالآلهية المتفرد بالوحدة المتخلص بالوحدانية
المتوحد بالاحدية...) مرتب على مقدمة في بيان أمور ثلاث:

١. معاني حروف الهجاء.

٢. عدد الأسماء الحسنی.

٣. معنى الاسم وحقيقته.

ثم تسع وتسعين باباً، ولكل اسم من التسع والتسعين اسماً. وهو للسيد
المير علاء الدين محمد بن المير شاه أبو تراب الحسيني من سادات گلستانه
بأصفهان، المتوفى بها في ٢٧ شوال ١١١٠هـ، كما على ظهر النسخة، لكن بهذه
الصورة ١١٠٠هـ، وهو غلط الكاتب، وعلى النسخة حواش كثيرة بعنوان
(منه دام ظله)^(١).

٧. ترتيب مشيخة من لا يحضره الفقيه المعروف بـ (رجال السيد علاء
گلستانه):

هذا الكتاب يقع في ٢٤ صفحة ذكر فيه أسانيد، ورجال الشيخ الصدوق
في كتاب من لا يحضره الفقيه إذ رتبته على شكل دوائر بطرز لطيف في أربع
وعشرين ورقة في كل ورقة دوائر عدة، بعضها فوق بعض تدور نصف تلك
الدوائر على الصفحة اليمنى من الورقة، والنصف الآخر على اليسرى منها

(١) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٦٧/٢، ٥٢/١١، ٢٩٥/١١، ٢٩٩/١١،

١٣/٨٩، شروح نهج البلاغة: ٨١، فهرست نسخه های خطی، آقاي گلپايگانی:

٣/١٣٧، اعيان الشيعة: ٩/٣٧٦.

ففي الدائرة الصغرى التي هي في وسط الجميع أثبت اسم الشيخ الصدوق، وفي الدائرة المحيطة بالصغرى كتب أسماء ستة أو ثمانية من مشايخ الصدوق الذين يروى عنهم بلا واسطة موازيا لاسمه بعض باليمنى وبعض باليسرى وفي الدائرة الثالثة المحيطة بالدائرتين المذكورتين كتب أسماء مشايخ كل واحد من المشايخ المسطورين في الدائرة الثانية بحيث تصير كتابة اسم كل شيخ محاذية لاسم شيخه وهكذا إلى أن تنتهي الدوائر بأطراف الصفحات وبها تنتهي الأسانيد إلى أحد المعصومين عليه السلام، فيرى الناظر في كل صفحة أسطر عديدة متوازيات يقرأ في كل سطر من وسط الورقة اسم الشيخ الصدوق وبجنبه اسم شيخه ثم شيخ شيخه وهكذا إلى أن ينتهى إلى أهل البيت عليهم السلام مرتبا لأسماء مشايخه على الحروف من الصفحة الأولى إلى آخر الصفحات، ونسخة منه في مكتبة الحاج الشيخ محمد سلطان المتكلمين بطهران ذكر صاحب الذريعة أنه رآها، وتوجد نسخة منها في مكتبة مدرسة سبهسالار الجديدة في طهران^(١).

٨. كتاب منثوي (وامق وعذراء):

لم نستطع ان نظفر بمادة هذا المؤلف ولا تقسيماته ولغته سوى انه ذكره المرحوم سنجلاخ في كتابه (امتحان الفضلاء) وبين انه توجد منه نسخة بخط يد السيد علاء الدين گلستانه^(٢).

(١) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٤/ ٦٩، ١٠/ ١٣١.

(٢) ينظر: امتحان الفضلاء، سنكلاخ خراساني: ٢/ ٢٩٦، الذريعة الى تصانيف الشيعة:

٩/ ٧٧٣، و١٩/ ٣٣١.

٩. روضة الشهداء:

لم يرد في المصادر تفاصيل عن مادته العلمية إلا ما ذكره صائب عبد الحميد في معجمه انه من كتب التاريخ^(١).

١٠. فهرست (شرائع الإسلام، للعلامة الحلي):

فهرسه السيد علاء الدين گلستانه في ربيع الثاني سنة ١٠٧٥ هـ^(٢).

١١. رسالة في أربعين حديثاً:

طبعة حجرية شرح، وتفصيل لأربعين حديثاً، وهو مطبوع، وذكر صاحب الذريعة انه نسب خطأ الى آقا النجفي الأصفهاني^(٣).

١٢. فهرست الكتب الأربعة لأهل السنة:

فهرسه السيد علاء الدين گلستانه^(٤).

(١) ينظر: جامع الرواة: ١/ ٥٤٤، بحار الانوار: ١٠٢/ ١٤٧، الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١١/ ٥٢، و١١/ ٢٩٥، معجم المؤلفين: ٩/ ١٢٦، معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٩٨، تلامذة العلامة المجلسي: ٥٨، أعيان الشيعة: ٩/ ٦١، معجم مؤرخي الشيعة الامامية الزيدية الاسماعيلية: ٢/ ١٢٦.

(٢) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١١/ ٥٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١/ ٣٨٤.

(٤) يوتوجد منه نسخة في مكتبة آية الله گلپايگانی، برقم ٢٤/ ٢٦/ ٥١٤٤ في صفحة ٥١ الواقعة في مدينة قم بأيران.

وفاته

ذكر السيد عبد الحسين خاتون آبادي في كتاب وقائع السنين والاعوام في حوادث سنة ١١٠٠ هـ ما يأتي:

(توفي السيد الفاضل الزاهد جامع الكمالات الدينية والدنيوية الميرزا علاء الدين محمد بن الشاه أبو تراب گلستانه صاحب شرح نهج البلاغة في السابع والعشرين من شوال سنة ١١٠٠ هـ عن عمر ناهز التاسعة والستين)^(١).

وذكر السيد محسن تأثير تبريزي^(٢) في تاريخ وفاته أنه توفي سنة ١١٠٠ هـ، وقد أرخ لوفاته بقوله: ("تاريخ هم غمين شد" وكلمة (غمين) في حساب الابدجية (غ = ١٠٠٠، م = ٤٠، ي = ١٠، ن = ٥٠) فستكون سنة ١١٠٠ هـ، ولكن السيد حزين لاهيجي ذكر انه توفي في يوم الاثنين ٢٧ / ربيع الثاني سنة ١١٠٣ هـ)^(٣)، وقد أرخ على احد مؤلفاته تاريخ وفاته كاملا (السيد المير علاء الدين محمد أبن المير شاه أبو تراب الحسيني من سادات گلستانه بأصفهان، المتوفى بها في ٢٧ شوال ١١١٠ هـ، كما على ظهر النسخة لكن بهذه الصورة ١١٠٠ هـ، وهو غلط الكاتب بل صرح الشيخ علي الحزين المولود ١١٠٣ هـ أنه أدركه في صغره، وانه توفي حدود ١١١٠ هـ، من دون تعيين

(١) وقائع السنين والاعوام: ٥٤٦، ينظر: بحار الانوار: ١٠٢ / ١٤٨، تكملة امل الامل:

٣ / ٤٢٨، الكنى واللقاب: ٢ / ٤٧٧، معجم المؤلفين: ٩ / ١٢٥،

(٢) السيد محسن تأثير تبريزي هو احد شعراء العهد الصفوي في القرن الحادي عشر.

ينظر: فرهنك سنخوران، د. رسول خيام بور: ١٧٦

(٣) مواد التواريخ، حاج حسين نخجواني: ٢٠٨.

اليوم^(١)، ونتيجة لما ذكر تكون سنة ١١١٠ هـ، هي ارجح الآراء في تاريخ وفاته استناداً على ما ذكره الطهراني والتاريخ الذي وجدته على ظهر كتاب السيد روضة العرفاء ودوحة العلماء.

مدفنه

مثلاً لم تقف كتب التاريخ على سنة ولادته اختلف، في مكان دفنه أيضاً، فمما جاء في هذا الامر ما ذكره السيد مصلح الدين مهدي في حواشي تذكرة القبور نقلاً عن رسالة نور القدسي تأليف مير عبد الباقي خاتون آبادي جاء فيها :

(إن الميرزا السيد علاء الدين گلستانه يقع في مقبرة العلامة المجلسي، وقال المرحوم مهدي هذا الأمر لا اعتبار له؛ لأن المرحوم سيد محمد خان مؤرخ الإسلام واحد من فضلاء أصفهان، وصاحب المؤلفات والتصانيف وهو أحد احفاد الميرزا علاء الدين ذكر أن قبره يقع في مقبرة مقابل مسجد المصري من الجهة الشمالية لزقاق مسجد المصري المتفرع عن محلة طوقچي في أصفهان، وتوجد آثار خربة قرب مقبرة في غرفة شبه خربة، ويوجد فيها قبر على هيئة منصّة كبيرة مكتوب عليها اسم حسن بن أبي عدنان احد العلماء، الكبار من القرن الثامن المتوفى في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٧٨٨ هـ، وبعض الكتّاب قالو: إن قبر علاء الدين گلستانه المتوفى سنة ١١٠٠ هـ موجود في هذا المكان ايضاً)^(٢).

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١١ / ٣٠٠، وينظر: اعيان الشيعة: ١ / ٥٤٥.

(٢) ينظر: مزارات أصفهان: ١٨٢.

الفصل الأول

جهود المصنف

المبحث الأول

مصادر ثقافته

ان المعني بشرح كتاب نهج البلاغة لابد ان يمتلك من العلم، والمعرفة ما يعينه على شرح النهج، بمعنى آخر عليه ان يتسلح بما عنده من معارف، وعلوم، حتى يستطيع ان يسبر غور هذا الكتاب لما يمتلك من معلومات متنوعة، ويبدو ان السيد علاء الدين گلستانه عند اقدمه على نهج البلاغة ادرك حقيقة ذلك، ولهذا كان قد اعتمد على حمل مصادر كثيرة ومتنوعة، جعلها معيناً له في شرحه، والملاحظ في منهج المصنف في هذا الموضوع، انه عند الافادة من هذه المعارف بذكر طائفة ويترك الاخر للقارئ، وقد يكون ذلك لأسباب منها شهرة هذه الآراء، أو الاقوال وتداولها بين ارباب العلم، أو معاصرتة لها، ومن هذه المصادر الكتب التي ذكر منها عدداً كبيراً ناسباً إليها الى مؤلف في بعض المواضع، وفي مواضع اخر لم يذكر أسم المؤلف، والقسم الاخر من مصادره هي أقوال العلماء فذكر طائفة من العلماء ممن تأثرهم، وأخذ بأقوالهم في مواضع كثيرة، ولم يصرح في مواضع آخر بأسماء من يأخذ منهم، وفي ما يأتي الكتب استقى علمه منها:

الكتب:

عني السيد علاء الدين گلستانه في استيفاء مادة مصنفه عن مصادر مشهورة، ومعروفة في صحتها وما تحتوي من المادة العلمية الموثوق بها فبعضها محقق، والاخر مخطوط، متفق على صحتها، وهي كما قسمناها

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

بحسب حقلها المعرفي كالآتي:

- كتب المعاجم والنحو:
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي أ ت: ١٧٥ هـ.
- الكتاب، أبو بشر، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ت: ١٨٠ هـ.
- معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء أ ت: ٢٠٧ هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ت: ٢٠٩ هـ.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الأوسط، ت: ٢١٥ هـ.
- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت، الاهوازي، ت: ٢٤٤ هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ت: ٣١١ هـ.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ت: ٣٧٠ هـ.
- تاج اللغة وصحاح العربية الشهير بـ (الصحاح)، الإمام إسماعيل بن حماد الجواهرى، ت: ٣٩٣ هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: ٤٢٥ هـ.
- سر الادب في مجازي لام العرب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ت: ٤٢٩ هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، الامام مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن الأثير الجزري، ت: ٦٠٦ هـ.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأسترباذي، ت: ٦٨٦ هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: ٧٦١ هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، ت: ٨١٧ هـ.
- مصادره وموارده في الحديث:
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ﷺ، الشيخ محمد بن الحسن الصفار، ت: ٢٩٠ هـ.
- الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ت: ٣٢٩ هـ.
- الامالي، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١ هـ.
- التوحيد، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١ هـ.
- ثواب الاعمال وعقب الأعمال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١ هـ.
- الخصال، أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت: ٣٨١ هـ.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

- علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- كمال الدين وتمام النعمة، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- معاني الاخبار، تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- من لا يحضره الفقيه، الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، ابن شعبة الحراني، ت: ٤٠٠هـ.
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الامالي الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الغيبة، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الاحتجاج على أهل اللجاج، أبو علي الطبرسي، ت: ٥٤٨هـ.
- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ت: ٥٧٣هـ.
- إقبال الأعمال، ابن طاووس، ت: ٦٦٤هـ.

- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ.

- كتب التفسير:

١- تفاسير الشيعة الإمامية

- تفسير القمي، لعلي بن إبراهيم القمي، ت: ٣٢٩هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: ٥٤٨هـ.
- تفسير جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: ٥٤٨هـ.
- فقه القرآن، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، ت: ٥٧٣هـ.

٢- تفاسير الجمهور:

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ت: ٤٢٧هـ.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

- مفاتيح الغيب المشهور، فخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين الشيرازي البضاوي، ت: ٦٩١هـ.
- جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد الثعالبي المالكي، ت: ٨٧٥هـ.
- كتب السيرة
- تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، ت: ٤٣٦هـ.
- قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، ت: ٥٧٣هـ.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، ت: ٦٩٣هـ.

- كتب التاريخ:

- الكامل في التاريخ، الشيخ عز الدين ابن الأثير، ت: ٦٣٠هـ.
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، ت: ٨٠٨هـ.

- كتب الفقه

- المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ت: ٢٧٤هـ.
- قرب الإسناد، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري، ت: ٣٠٤هـ.
- معاني الاخبار، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.

- علل الشرائع، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- من لا يحضره الفقيه، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- الخصال، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- عيون أخبار الرضا، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- كمال الدين وتمام النعمة، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين، بن بابويه المعروف بالصدوق، ت: ٣٨١هـ.
- المقنعة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، ت: ٤١٣هـ.
- رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى، ت: ٤٣٦هـ.
- النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- المبسوط في فقه الإمامية، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الخلاف، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.
- الرسائل العشرة لأبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠هـ.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

- مستطرفات السرائر، لأبن إدريس الحلي، ت: ٥٩٨هـ.
- إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، قطب الدين البيهقي الكيدري، ت: ٦٠٠هـ.
- كشف الرموز في شرح المختصر النافع، زين الدين أبي علي الحسن بن أبي طالب ابن أبي المجد اليوسفي المعروف بالفاضل والمحقق الآبي، ت: ٦٧٢هـ.
- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي، ت: ٦٧٦هـ.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي البيضاوي ت: ٦٨٥هـ.
- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.
- مختلف الشيعة، العلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.
- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.
- تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.
- القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، محمد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأول، ت: ٨٧٦هـ.
- تذكرة الفقهاء، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي

المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- الرسالة السعدية، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- مختلف الشيعة، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- الدروس الشرعية في فقه الامامية، محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول، ت: ٧٨٦هـ.

- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول، ت: ٧٨٦هـ.

- غاية المراد في شرح نكت الارشاد، محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول، ت: ٧٨٦هـ.

- القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعريية، الامام أبي عبد الله محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول، ت: ٨٧٦هـ.

- البيان، محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول، ت:

٧٨٦هـ.

- المذهب البارع في شرح المختصر النافع، أبو العباس جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلي، ت: ٨٤١هـ.

- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، ت: ٩٦٥هـ.

- مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، السيد محمد بن علي الموسوي العاملي، ت: ١٠٠٩هـ.

- كتب الأدعية:

الصحيفة السجادية الكاملة، للإمام زين العابدين عليه السلام، ت: ٩٤هـ.

- كتب العقائد:

- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- نهج الحق وكشف الصدق، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦هـ.

- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ت: ٧٩٢هـ.

- كتب المنطق والعرفان:

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ت: ٥٠٥ هـ.

- كتب شروح نهج البلاغة:

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، أبو الحسين قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، ت: ٥٧٣ هـ.

- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ت: ٦٥٦ هـ.

- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي البحراني، ت: ٦٧٩ هـ.

- مصادر رجال الحديث:

- إيضاح الاشتباه، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي، ت: ٧٢٦ هـ.

- اختيار معرفة الرجال، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت: ٤٦٠ هـ.

- الفهرست، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: ٤٦٠ هـ.

المبحث الثاني نقده:

جاء في لسان العرب: (التناقُدُ، والانتقادُ تمييز الدراهم، وإخراج الزيف منها)^(١)، وبهذا يكون معناه خلاف النسيئة اي خلاف الدين.

اما اصطلاحاً فهو: (فن دراسة الأساليب، وتمييزها، وذلك إذا تفهمنا لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، أي علينا أن نتفهم أن المقصود من ذلك ليست طرائق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام، وطريقته في التأليف، والتعبير، والتفكير، والإحساس على السواء)^(٢)، هذا التعريف يقودنا إلى ان النقد عمل يقوم به الإنسان للتعبير عن موقفه ازاء نص معين، وقد يكون هذا التعبير على نتاج كامل أو شرح أو تفسير...، وهي مهمة تقتضي من صاحبها مؤهلات خاصة تنمو، وتتضح على مر الزمان، وتكرر التجارب حتى تستحيل ضرباً من التخصص بمعنى الكلمة^(٣).

والنقد قائم على شروط، منها:

١ . معرفة المادة التي يبحث فيها.

٢ . معرفة اللغة، والاسلوب.

(١) لسان العرب، مادة (نقد).

(٢) في الأدب والنقد، د. محمد مندور: ٦.

(٣) ينظر: مقدمة في النقد الادبي، د. علي جواد طاهر: ٣٣٩.

٣. القدرة على توجيه النص، وتحليله بصورة صحيحة.

ومما لا شك فيه ان النقد لا يمكن ان يكون الا بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف نوجهه؟.

إذا فالناقد هنا تجاوز مرحلة الحكم بجودة، أو برداءة، ولا يرى ذلك همه او واجبه انما يفسر، ويحلل باعتماده على العوامل المؤثرة في النص، والقرائن الأخرى، ومنها بالنص، وصاحب النص^(١).

امتلك علاء الدين گلستانه اداته النقدية فاستطاع ان يبدي رأيه، ويعلق، وينقد اراء الاخرين معتمداً بذلك على اسس موضوعية، ومن ذلك ما ذكره في سبب تكوين الجبال فقد نقد رأي فخر الدين الرازي فقال: ((وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي مَقَامِ التَّعْلِيلِ، فَلَا يَخْلُو عَنْ تَشْوِيشٍ، وَاضْطِرَابٍ))^(٢)، بيد ان نقده لما جاء به الفخر الرازي من اراء في ان الجبال سبب في ثبوت، واستقرار الأرض لم ينفرد به، وإنما قد ذكره العلامة المجلسي في قوله: (واعترض عليه بأن كلامه لا يخلو عن تشويش، واضطراب)^(٣). اما في كلامه عن تكون السماوات، وعددها ((واعلم أَنَّ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، وَالْأَخْبَارُ فِي عَدَدِ السَّمَاوَاتِ: أَنَّهَا سَبْعٌ، وَأَمَّا التَّسْعُ الَّتِي تَزْعُمُهُ الْفَلَاسِفَةُ فَمِمَّا لَمْ يَظْهَرْ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْأَخْبَارِ، بَلِ الظَّاهِرُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى السَّبْعِ نَفِيهَا))^(٤).

(١) ينظر: مقدمة في النقد الادبي: ٣٤٠.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٤٦ ق ١.

(٣) بحار الانوار: ١٠٥ / ٥٧.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٢٣ ق ١.

فقد فند زعم الفلاسفة الذين يقولون: إن عددها تسعة مستندا على القرآن الكريم، والمأثور عن اهل بيت العصمة، والطهارة عليهم السلام، فدليله القرآني هو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١)، ودليله الروائي ما نقله عن الشيخ الصدوق رحمته الله في التوحيد، والعيون عن الرضا عليه السلام: ((... ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَقَلَهُ فَجَعَلَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ...))^(٢). اما في كلامه عن اصل الخليقة، وخلق اول بشر فقال: ((اعلم أَنَّهُ قد اتفقت كلمةُ الملايين مِنَ المسلمين، والنصارى، واليهود، على أَنَّ أَوَّلَ الْبَشَرِ هُوَ آدَمُ عليه السلام، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَخَالَفُوا فِيهِ عَلَى أَقْوَالٍ...))^(٣) اما بقية الآراء التي ذكرها الشارحون فقد انتقدها، واستبشعها فقال: ((وَأَمَّا مَا أوردته بعضُ الشَّارِحِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمُسْتَبْشَعَةِ الرَّكِيكَةِ، فَمِنْهَا لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِذْعَانِ مِنْ صَدَقٍ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَصْغِي إِلَيْهِ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَ الْأَدْيَانَ))^(٤)، وذلك؛ لأنها ليس لها اصل قرآني، ولا اخباري مأثور، وعقلا لا تمت للواقع بصله، والآخذ بها يكون مصيره الالحاد.

(١) فصلت: ١٢، حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣١٠.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٩٥، التوحيد، الشيخ الصدوق، تص وتعد: السيد هاشم الحسيني الطهراني: ٣٢٠ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام،

الشيخ الصدوق، تص وتعد وتقد: الشيخ حسين الأعلمي: ١/ ١٢٣ ح ٣٣.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٧٢ أ ق ٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٧ أ ق ٢.

المبحث الثالث

ترجيحاته

جاء في معجم العين: (رَجَّحْتُ الشيءَ، وزنتُهُ، ونظرتُ ما ثقله، وأرجحت الميزان أي أثقلت حتَّى مال) ^(١)، وقال ابن فارس في معجمه (الراء، والجيم، والحاء أصلٌ واحد يدلُّ على رزانة، وزيادة) ^(٢).

وقال الفيروز آبادي: (رجَحَ الميزانُ يرجُحُ رجوحًا، ورجحانًا: مال) ^(٣)، وراجحه فرجَّحه: فضَّله، وقوَّاه، فالرأي عنده غلب على غيره ^(٤).

وبهذا تظهر لنا معان متعددة للترجيح منها الزيادة، أو التغليب، أو التفضيل.

أمَّا مدلول الترجيح في الاصطلاح، فقد جاء في التعريفات للجرجاني قوله: (إثبات مرتبةٍ في أحد الدليلين على الآخر) ^(٥)، وهذا يحتاج إلى جهد مكثف، ومتابعةٍ دقيقة، وتأملٍ نظر، ليتَّخَبَ المرَجِّحُ أصحَّ الآراء، وأفضلها. فكان المصنف على معرفة، ومنزلة كبيرة في امكانية عرضه للآراء، وترجيح

(١) تهذيب اللغة، للأزهري، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة (رجح).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (رجح).

(٣) القاموس المحيط، مادة (رجح).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (رجح).

(٥) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٥٦.

أحدها على الآخر، فمن ترجيحاته في تفسير معنى (سَقَف) فقد ذكر فيها معاني عدة، ورجح الأنسب فيه للمعنى من خلال القرائن المناسبة للنص كما في خطبة الامام (عليه السلام): ﴿وَعُلْيَاهُنَّ سَقَفًا مَحْفُوظًا﴾^(١) قال الشارح: ((الكف: المنع، والسَّقْفُ: معروف، وقال الجوهرِيُّ، وغيره: (السَّقْفُ اسمٌ للسماء)، ولعلَّ الأوَّل أنسبُ هاهنا))^(٢)، كأن المقصود هاهنا بالمعروف هو سقف البيت، وإن المصنف أراد إن الانسب هاهنا المعروف بسقف البيت، وشبه البيت بالسماء؛ لأنها سقف للأرض بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٣). وكذلك في معنى "سنها" في خطبة الامام (عليه السلام): ﴿تَرْبَةً سَنَهَا بِالمَاءِ﴾^(٤)، قال الشارح: (وَسَنُّ المَاءِ، بالمهملة: صَبُّهُ مِنْ غيرِ تفريقٍ، وَأَمَّا الصَّبُّ الْمُتَفَرِّقُ الْمُنْقَطِعُ فَهُوَ الشَّنُّ بِالْمَعْجَمَةِ، قالوا في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ المسنون: المتغيَّر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ في بعض الأقوال، وقيل: المسنون المَصْبُوب، وقيل: (المحكوك، مِنْ سَنَّ الحَجَرُ إِذَا حَكَّهُ)، والأظهرُ في كلامه (عليه السلام) ما ذكرناه أوَّلًا))^(٥)، يبدو أن الشارح في ترجيحه لهذا المعنى لم يكن من رأيه هو، وإنما استند على رأي استاذه المجلسي في تفسيره لقول الإمام (عليه السلام) لكن لم يصرح

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات الله الناطق: ٣٢٤ ق ١

(٣) الانبياء: ٣٢.

(٤) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٥) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٢ ق ٢.

بقائله بدليل قول العلامة في البحار: (وسن الماء صبه من غير تفريق)^(١). وكذلك عندما فسر (الاحاد) في خطبة الامام عليه السلام: «لَا بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ...»^(٢) فقال: ((وقيل: الإلحاد في اسمه، وهو تسميته الله سبحانه بما لا يجوز تسميته به، كتسمية - أباً - للمسيح، وعزيراً، وإطلاق لفظ الحال، والمتحد بالغير عليه سبحانه، أو تسميته سبحانه بكل ما لم يرد فيه إذن شرعي، وإن لم يُنه عنه على الخصوص، وعلى هذا يصير المشبهون داخلين في الملحدين، وتداخل الأقسام، وإن لم يضر، لكن الأول أولى))^(٣) من خلال تبعية للآراء التي ذكرها المصنف وجدت ان الرأي الذي رجحه سبقه اليه بعض العلماء أمثال الشيخ الطبرسي رحمته الله، حيث قال: (يسمونه بما لا يجوز تسميته به، وهذا الوجه أعم فائدة)^(٤)، كذلك نجد الشارح يورد عدة آراء في "حج اهل جده" فقال: ((ولا خلاف بين المسلمين في أن الواجب بأصل الشرع ليس إلا مرة واحدة، وحملوا ما يدل من الأخبار على وجوب الحج على أهل الجدة في كل عام على الاستحباب، أو على أنه يجب في كل عام على البدل، أي: لو لم يفعل في السنة الأولى، وجب عليه الإتيان في الثانية، وهكذا، ولا يخفى أن الأول أولى))^(٥) فنجد المصنف يذكر انه لا يخفى،

(١) بحار الانوار: ١١/ ١٢٣.

(٢) نهج البلاغة: ٣١ خ ١.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢١٩ أ ق ٢.

(٤) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، تح: مؤسسة النشر الإسلامي: ١/ ٧٢٤.

(٥) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٩٦ أ ق ٢.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

وذلك لان الامر فيه اجماع المسلمين كافه على مخالفة الوجوب، واستحباب صومهم في كل عام بدليل قول الكاشاني في مفاتيح الشرائع قال: (وأكثره من ضروريات الدين، وما ورد في المعتبرة من وجوب الحج على أهل الجدة في كل عام، محمول على تأكيد الاستحباب، لمخالفة الوجوب لإجماع المسلمين كافة)^(١) بهذا يكون السيد علاء الدين كلستانه في ترجيحه لهذا الرأي لم ينفرد في رأيه، وانما سبقه الفيض الكاشاني، وفصل فيه القول.

(١) مفاتيح الشرائع، تح: السيد مهدي الرجائي: ٢٩٤ / ١.

المبحث الرابع

النقل من المصادر

أما طرائق النقل التي اعتمدها السيد علاء الدين كلستانه في نقله عن العلماء، والكتب، فقد تنوعت تنوع المصادر التي نقل منها ووثق ما جاء به وسخرها لخدمة النص وتبيان الغامض منه، وتتلخص في الآتي:

١. يذكر اسم المؤلف، وكذلك اسم المصدر الذي نقل منه كما في قوله: ((وروى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام...))^(١)، وأيضا في قوله: ((وذكر ابن هشام في مغنى اللبيب، في قولك: بينما أنا قائم إذ جاء عمر، وقيل: بين مبتدأ...))^(٢).

٢. عندما ينقل من مصدرين للمؤلف نفسه فيصرح باسم المؤلف ثم بعد ذلك يرد أسماء المصادر، نحو قوله: ((روى الصدوق رحمته الله في كتاب العيون، وكتاب العلل بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في جملة مسائل))^(٣).

٣. يذكر اسم المؤلف ولا يذكر اسم المصدر لشهرته نحو قوله: ((قال الفاضل الشارح عبد الحميد بن أبي الحديد: قال لي إمام من أئمة اللغة في زماننا: هو الفخار، بكسر الفاء، قال: وهذا مما يغلط فيه الخاصة

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢١٥ ق ١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٨٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٢.

فيفتحونها...))^(١).

٤. في بعض الأحيان يذكر رواية عن اهل البيت عليهم السلام من مصدر تفسير ويوثقها بمصدر اخباري، نحو قوله: ((ما رواه الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي في مجمع البيان عن الشيخ أبي جعفر بن بابويه، أنه روى في كتاب النبوة، بالإسناد عن جميل بن درّاج...))^(٢).

٥. واحيانا ينقل الرواية من مصدر، أو مصدرين اخباريين، ويذكر ان كان هنالك تغير في الرواية، وكذلك يحكم بدرجة هذا التغير، فيقول: ((وقد روى محمد بن يعقوب رحمته الله عن محمد بن عطية عن أبي جعفر عليه السلام هذا الخبر الذي رواه الصدوق رحمته الله بتغير يسير...))^(٣).

٦. في توجيهه النحوي، عادة لا يذكر عنوان الكتاب، ولا اسم المؤلف الذي نقل منه، نحو قوله: ((وكلمة: إذ، هاهنا تعليلية...))^(٤)، وكذلك قوله: ((ويمكن أن يُقال: لعل المراد بالصفة المعنى المصدري...))^(٥).

٧. يذكر اسم المصدر الذي يعتمد منه من دون ذكر اسم مؤلفه نحو قوله: ((وفي الخصال، وكتاب معاني الأخبار بالإسناد عن ابن عباس، قال:

(١) المصدر نفسه: ١٣١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨١.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٩٠ ق ١.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٩.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٤.

سألتُ النَّبِيَّ ﷺ عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه...^(١).

٨. لا يذكر اسم المصدر، ولا اسم مؤلفه، نحو قوله: ((وعن إسماعيل بن

همّام عنه عليه السلام مثله، وعن صفوان بن يحيى عنه عليه السلام مثله))^(٢).

٩. نجد عندما يوثق من مصدر معين بالنص كما هو ظاهر في قوله: ((وقال ابن

السكيت: الشرفُّ والمجدُّ يكونان بالآباء، والحسبُ والكرمُ يكونان

في الرَّجل، وإن لم يكن له آباء شرفاء))^(٣)، وعند الرجوع الى المصدر اي نص

ابن السكيت في كتابه اصلاح المنطق: ((والشرف والمجدُّ لا يكون إلا بالآباء يقال:

رجلٌ شريفٌ، ورجلٌ ماجد. أي له آباء متقدمون في الشرف، والحسب، والكرم يكون

في الرجل، وإن لم يكن له آباء لهم شرف))^(٤) نجد ان النص غير متكامل في نقله عن

المصدر بحيث يمكن ملاحظة الفروق بين النصين.

(١) المصدر نفسه: ٣٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٣١.

(٤) ينظر: اصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق، محمد مرعب: ٢٩٨.

الفصل الثاني

مباحث اللغة

المبحث الأول النحو

النحو لغة: هو مَصْدَرٌ نَحَا: يُقال: نَحَا إِلَى الشَّيْءِ نَحْوًا مَالِ إِلَيْهِ، وَقَصْدُهُ فَهُوَ نَاحٍ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ، وَالشَّيْءُ قَصْدُهُ، وَكَذَا عَنْهُ أَبْعَدُهُ، وَأَزَالُهُ^(١)، وَمِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي أوردتها الْمُضَانِ الْمُعْجِمِيَّةُ^(٢)، هِيَ:

١. الْقَصْدُ: يُقال: نَحَوْتُ نَحْوَكُ، أَي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ
 ٢. التَّحْرِيفُ: يُقال: وَنَحَا الشَّيْءَ يَنْحَاهُ، وَيَنْحُوهُ إِذَا حَرَّفَهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ النَّحْوِيُّ لِأَنَّهُ يُحَرِّفُ الْكَلَامَ إِلَى وَجْهِهِ الْإِعْرَابِ.
 ٣. الْمَثَلُ: تقول: مررت برجل نحوك، أَي: مثلك.
 ٤. الْمَقْدَارُ: تقول: له عندي نحو ألف دينار، أَي: مقدار ألف دينار.
 ٥. الْجِهَةُ أَوِ النَّاحِيَةُ: تقول: سرت نحو المسجد، أَي: جهته.
 ٦. النُّوعُ أَوِ الْقِسْمُ: تقول: هذا على ستة أنحاء؟ أَي: أنواع.
 ٧. الْبَعْضُ: تقول: أكلت نحو السمكة، أَي: بعضها.
- وذكر العلامة الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل عن الإمام

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (نحو).

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة (نحو)، الصحاح مادة (نحو)، لسان العرب، مادة (نحو)، تاج العروس مادة (نحو).

الداودي أنه نظم معاني كلمة النحو؛ فقال^(١):

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً جَمَعْتُهَا ضَمْنَ يَتِّ مُفْرَدٍ كَمَلًا
قَصْدٌ وَمِثْلٌ وَمَقْدَارٌ وَنَاحِيَةٌ نَوْعٌ وَبَعْضٌ وَحَرْفٌ فَاحْفَظِ الْمَثَلَا

اما اصطلاحا، ذكره ابن السراج: (إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة)^(٢)، وهو لدى أبي علي الفارسي تلميذ ابن السراج: (علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب)^(٣)، وان أول من وضع هذا العلم، وأسس قواعده وحد حدوده أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام، وأخذ عنه ابو الأسود الدؤلي، وناسب وضع الإمام عليه السلام هذا العلم ما روى أبو الاسود، قال: (دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلي الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام اسم، وفعل،

(١) ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الشافعي: ١٠/١.

(٢) الاصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي: ٣٥/١.

(٣) الاقتراح في أصول النحو وجدله، جلال الدين السيوطي، تح: د. محمود فجال، وسمى شرحه: ١٧٩.

وحرف، فالاسم...، وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك،
واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر، ولا
مضمر،...، وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن
حصلت ما فيه الكافية، قال: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت! فلذلك
سمي النحو^(١).

والمصنف عني بشرح نهج البلاغة، فكان لزاماً عليه أن يبين القضايا
النحوية التي وردت في الكتاب في اثناء شرحه لخطب الامام (ع)، وكان عمله
في ثلاث أركان:

اولاً: المصطلح النحوي

ثانياً: الوجوه النحوية

ثالثاً: الخلاف النحوي

اولاً: المصطلح النحوي:

لكل علم نشأة تراقفها مصطلحات تكون (أعلاماً على موضوعات،
وعلى معانٍ يطلقها أصحاب الصناعة يفهمها الدارسون من أهلها)^(٢)،
ومنها علم النحو؛ فله مصطلحاته التي نشأت معه، وكان للمدرستين
البصرية، والكوفية أثر في هذه المصطلحات فتشكل مصطلحات علم النحو،

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، تح: أبو محمد عبد الرحمن بن
محمد بن إسماعيل: ٢٢-٢٣.

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي: ٣٤٨.

وإن كان منبعها واحداً، وهو الخليل الفراهيدي^(١).

وقد استعمل المصنف مصطلحات عدة جاءت في شرحه لنهج البلاغة، كانت محل اتفاق بين المذهبين البصري، والكوفي، فمثال ذلك ما ذكره المصنف عن الفاعل حيث ذكره لإيضاح كلمة "نواصعه" التي وردت في مقدمة الشريف الرضي التي قال فيها: ((ومتعجبين من نواصعه))^(٢)، فقال: ((والنَّاصِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْخَالِصُ، يُقَالُ: أَبْيَضُ نَاصِعٌ، وَنَصَعَ الْأَمْرُ وَضَحَ وَفِي بَعْضِ النَّسَخِ: مُعْجَبِينَ بِبِدَائِعِهِ، بِالتَّشْدِيدِ عَلَى صِيغَةِ الْفَاعِلِ، أَي: أَنَّهُمْ يَعْجَبُونَ غَيْرَهُمْ...))^(٣)، وايضاً نجده قد اورد اكثر من مصطلح لـ "كان" الواردة في قول الامام (عليه السلام): ﴿كَأَنَّ لَا عَنْ حَدَثٍ﴾^(٤) فقال: ((كان تُستعمل على ثلاثة أوجهٍ؛ أحدها: أن يكون بصيغتها دالٌّ على الْحَدَثِ، وَالزَّمانِ، بِمعْنَى: ثَبَتَ، وَتُسَمَّى تَامَّةً، وَثانيها: أن تدلَّ على الزَّمانِ وحده، ويحتاجُ في الدَّلالةِ على الْحَدَثِ الى الْخبرِ تَمَّ به، وَتُسَمَّى ناقصة...))^(٥) فهنا نجد ان المصنف قد ذكر مصطلحات عدة في استعمال كان، ومن هذه المصطلحات هو "كان التامة"، وكذلك كان الناقصة، وبين كلاً منهما، وذكر قاعدتهما الاساسية إن "كان" التامة تكتفي بالفاعل وحده، ولا تحتاج إلى خبر،

(١) ينظر: المدارس النحوية، د. شوقي ضيف: ٣٤ - ٣٥.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٩٩ أ ق ١.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٤) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٥) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٧٢ أ ق ١.

وهي تدل على الكون المطلق "كان" الناقصة تدل على الزمان وحده، وتحتاج في الدلالة على الحدث إلى خبر يتم به، كما ان المصنف قد اورد مصطلحات اخرى مشتقة، ومنها اسم الفاعل في تبيانه لكلمة سجود في قول الامام عليه السلام: ﴿مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ﴾^(١)، فقال: ((السُّجُود، وَالرُّكُوع، بِالضَّمِّ فيها، جمعٌ ساجِدٍ، وراكعٍ...))^(٢)، نجد ان ساجداً، وراكعاً هي عبارة عن اسماء مشتقة على وزن الفاعل، كما اورد المصنف مصطلح الاضافة ايضا في تبيانه لكلمة مِنْ رُوحِهِ التي وردت في قول الامام عليه السلام: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ﴾^(٣)، حيث قال: ((الإضافةُ إلى ضميره سُبْحَانَهُ للتَّشْرِيفِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ، كما رواه في الاحتجاج عن مُحَمَّد بن مسلم قال: (سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ كَيْفَ هَذَا النَّفْخُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرَّيْحِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً؛ لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمُهُ مِنَ الرَّيْحِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَلَى لَفْظِ الرُّوحِ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ مُتَجَانِسٌ لِلرَّيْحِ، وَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَرْوَاحِ، كَمَا اصْطَفَى بَيْتاً مِنَ الْبُيُوتِ، فَقَالَ: بَيْتِي، وَقَالَ لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خَلِيلِي، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ))^(٤)، نجد ان مصطلح الضمير هو مصطلح بصري، وذلك لأن المدرسة الكوفية قد استعملت مصطلح المكنى،

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٤٦٣ ق ١.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩ خ ١.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٨١ ق ٢..

والكنية الذي يقابله مصطلح الضمير عند البصريين، استخدم المصنف مصطلح الاستثناء لإيضاح ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) التي ذكرت في كلامه عن سجود آدم ﷺ حيث ذكر نوع الاستثناء المنقطع حيث قال: ((لأنَّ حمل الاستثناء على أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ حَمْلٌ لَهُ عَلَى الْمَجَازِ، كَمَا أَنَّ تَخْصِصَ الْعُمُومِ مَجَازٌ...))^(٢)، وكذلك مصطلح الاستثناء من المصطلحات التي استعملها البصريون، وايضاً من الأساليب التي ذكرت اسلوب الاستفهام حيث بين قاعدة في "ما" الاستفهام اذا سبقت بحرف الجر يحذف الفها مثل: فيم، وعلام الواردة في قول الامام ﷺ: ﴿لَا وَمَنْ قَالَ: فِيمَ...، وَمَنْ قَالَ: عَلَامَ؟﴾^(٣) حيث قال: ((أصلُ فيم، وعلام: فيما، وعلى ما، حُذِفَ الألف عن ما الاستفهامية تخفيفاً، وهذا في الاستفهام خاصة...))^(٤)، ومن هنا يتضح ان اغلب المصطلحات التي وردت عنده هي مصطلحات بصرية شائعة.

ثانياً: الوجوه النحوية

قد تعرض على النحوي العربي قراءة قرآنية، أو شاهد شعري؛ يرى بأكثر من وجه إعرابي كأن يرد بالرفع، والنصب، أو بأكثر من صورة كأن يُذكر ما عُرف أنه مؤنث، أو يؤنث ما عُرف أنه مذكر، وما الى ذلك.

(١) سورة ص: ٧٤.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٥٢ق ٢.

(٣) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٧٠ق ١.

فيحاول أن يعمل فكره النحوي؛ لإيجاد حل يؤمن من خلاله تفسيراً يجعل الحالة الذهنية المدروسة تتطابق، والقواعد النحوية التي يحكم اليها مذهبه النحوي، بمعنى أكثر بياناً انه يسوق الحالة النحوية قيد الدرس لتطابق قاعدة نحوية معروفة تجعل للنص وجهاً مقبولاً في العربية، جائزاً عند دارسيها، وهو بهذا نوع من اعمال للفكر النحوي، ووسيلة لحل ما قد يكون في ظاهره تعارضاً بين النص، والقاعدة النحوية، ومن أمثلة وروده عند سيد علاء الدين كلستانه ما جاء في شرح «ثم» في قول الامام عليه السلام: «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَّانِكَ الْهَوَاءِ»^(١)، فقال: ((كلمة ثُمَّ ههنا: أمّا للترتيب الذكري، والتدرّج في الكلام، لا للتراخي في الزّمان، ويكون لوجوه، منها: انتقال من الإجمال الى التفصيل لكون تقديم الإجمال أولى، ويكون لغير ذلك، كما في قوله:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبَوُهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

فقدّم سيادته لكونها أخصّ بالممدوح، ثُمَّ سيادة الأب أخصّ من سيادة الجدّ، وقد يُستعمل الفاء أيضاً على هذا الوجه، وأمّا بمعنى الواو مُفيدة للجمع المطلق، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وعلى أيّ تقدير: فلا يدلّ تقدّم إنشاء الخلق على إيجاد الماء، والأرض، والسّماء))^(٢) ان المقصود بالترتيب الذكري اي ترتيب الاخبار

(١) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات الله الناطق: ١٩٦.

لا الحكم، وكذلك التدرج في الكلام، وذكر ما هو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي، والبعد بين تلك الدرج، ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان، كما بينه المصنف في البيت الشعري: فالمقصود ترتيب درجات معالي الممدوح، فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جده؛ لأن سيادة نفسه أخص ثم سيادة الأب ثم سيادة الجد، وإن كانت سيادة الأب مقدمة في الزمان على سيادة نفسه، فثم، هاهنا، كالفاء^(١)، وأمّا بمعنى الواو مُفيدة للجمع المطلق، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢)، وعند انتهائه من ذكر الوجوه، وتبينها ذكر رأيه فقال: ((وعلى أيّ تقدير: فلا يدلُّ تقدُّمُ إنشاء الخلق على إيجاد الماء، والأرض، والسَّماء))^(٣) اي انه كانت فائدة "ثم" الترتيب الذكري للإخبار لا الحكم المقترن بالزمان، وفي موضع آخر نجده يفصل القول عند تبينه لأحد نواسخ الابتداء، وهو "كان" الواردة في قول الامام عليه السلام: ﴿كَانَ لَّا عَنْ حَدَّثٍ﴾^(٤)، فقال: ((كان تُستعمل على ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون بصيغتها دالٌّ على الحدِّث، والزَّمان، بمعنى: ثَبَّتَ، وتُسَمَّى تامَّةً، وثانيها: أن تدلَّ على الزَّمان وحده، ويحتاج في الدَّلالة على الحدِّث الى الخبر تمَّ به، وتُسَمَّى ناقصة.

والناقصة: تكونُ على وجهين:

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأسترابادي: ٣٩٠ / ٤.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات الله الناطق: ٢٨٦ أ ق ١.

(٤) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

أحدهما: أَنْ يَدُلَّ عَلَى ثُبُوتِ مُقْتَرَنِ الزَّمَانِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صِيغَةُ الْفِعْلِ
إِمَّا مَاضِيًّا، أَوْ حَالًا، أَوْ اسْتِقْبَالًا، وَذَهَبَ بَعْضُ النُّحَاةِ عَلَى أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى
اسْتِمْرَارِ مَضْمُونِ الْخَبَرِ فِي جَمِيعِ الزَّمَنِ الْمَاضِي، مُتَمَسِّكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ
اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وَرُدَّ: أَنَّ الْاسْتِمْرَارَ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَرِينَةٍ وَجُوبِ كَوْنِ اللَّهِ
سَمِيعًا بَصِيرًا، لَا مِنْ لَفْظِ كَانَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا
نِصْفَ سَاعَةٍ فَاسْتَيْقَظَ، وَإِذَا قُلْتَ: كَانَ زَيْدٌ ضَارِبًا، لَمْ يُفَدِ الْاسْتِمْرَارَ.

وثاني الوجهين: أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: صَارَ، وَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَوَّلِ...،
وثالثهما: أَنْ تَكُونَ زَائِدَةٌ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لَشَيْءٍ إِلَّا مُحَضَّ التَّأَكِيدِ، وَعَلَيْهَا حَمَلَ
بَعْضُهُمْ: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمُهْدِ صَبِيًّا﴾ لِيُفِيدَ الْإِعْجَازَ، فَيَكُونَ الطَّرْفُ
صِلَةً مَنْ وَصِي حَالٌ مِنَ الْمُسْتَكْنِ فِيهِ، وَكَلِمَةٌ كَائِنٌ هَاهُنَا تَدُلُّ عَلَى الْوُجُودِ
الْمُسْتَمِرِّ، مِنْ قِبَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١)، بَيْنَ الْمُصَنِّفِ
أَنْ اسْتَعْمَالَ كَانَ الْعَامَ عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهِ: أَمَّا تَامَةٌ أَوْ نَاقِصَةٌ أَوْ تَأْتِي زَائِدَةٌ،
وَإِذَا خُذَ يَفْصَلُ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْأَوَجِهِ كَمَا مَرَّ سَالِفًا فِي شَرْحِهِ لَكِنِ الشَّارِحُ أَرَادَ
أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ "كَانَ" التَّامَّةَ الَّتِي تَقْتَرِنُ بِالزَّمَانِ إِذَا اقْتَرَنْتَ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ دَلَّتْ عَلَى
الْكُونِ الْمَطْلُوقِ، وَانْتَفَى عَنْهَا الْحُدُوثُ أَيُّ الزَّمَانِ، وَاسْتَشْهَدَ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ
مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٢)، وَإِنْ كَانَ خَبَرُهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي
الزَّمَنِ الْمَاضِي فَأَنَّهُ بَاقِي مُسْتَمِرٌّ بِمَعْنَى الْأَزَلِ، وَالْأَبَدِ^(٣)، كَمَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) حُدَاتِقُ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ اللَّهِ النَّاطِقِ: ١٨٧.

(٢) النِّسَاءُ: ١٣٤.

(٣) الْبَرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِيُّ، تَحَدُّ: مُحَمَّدٌ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ:

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

ثالثاً: الخلاف النحوي

إن الخلاف النحوي موضوع خصب في اللغة العربية، تتفرع عنه مسائل النحو، وتتعدد وجهات النظر، فيتحفز الفكر في التحليل، والاستنتاج، والتنظير، فنجد الخلاف النحوي يرتبط بفهم المسائل النحوية، وأحكامها، وهذا من خلال ما يقدمه كل فريق من أدلة تسهم في إثراء المعرفة النحوية، وتوجيهها، وهذا الخلاف النحوي كان من نتاج المدرستين البصرية، والكوفية في المسائل النحوية، التي تميل احداها عن الاخرى في المسألة النحوية، حتى انه بمرور الزمن وسم لها، وعرف عنها.

وقد يتبادر الى الآخر سؤال: هل كان للمصنف مذهب نحوي له مذهب يمكن ان يتسم به، والجواب واضح انه لم يكن نحويّاً كعلماء النحو الكبار، ومن الصعوبة بمكان أن يظهر عنده مذهب نحوي.

لكننا نلاحظ عنه بعض مواضع الخلاف بين البصرة، والكوفة من دون ان يظهر مذهباً خاصاً له بل يحاول من خلال عرضه للخلاف الوصول الى المعنى الذي يرمي اليه الامام عليه السلام في خطبه، فكان للسيد علاء الدين گلستانه وقفات في شرحه يذكر فيها اختلافات بين العلماء لكي يصل الى المعنى الذي يرمي اليه الامام عليه السلام في خطبته، ومن جملة ما أورده من خلافات، لماذا

وصف بدافق نحو قوله: ((اختلفوا في أنه لم يُوصَفَ بأنه دافقٌ على وجوه: أحدها: قال الزجاج: معناه ذو اندفاقٍ، كما يُقال: دارعٌ، وتامرٌ، ولابنٌ، أي: ذو هذه الأشياء، وذكر أنه مذهبُ سيويه. والثاني: أنهم يُسمُّون المفعول باسم الفاعل، قال الفراء: وأهل الحجاز أفعلٌ لهذا من غيرهم، يجعلون الفاعل مفعولاً إذا كان في مذهب النعت، كقولهم: سرُّ كاتمٍ، وهم ناصِبٌ، وليلُ نائمٌ، كقوله تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية، الثالث: ذكر الخليل في الكتاب المنسوب إليه: دَفَقَ الماءُ دفقاً، ودُفوقاً، إذا انصبَّ بمرّة، واندفق الكوزُ: إذا انصبَّت بمرّة، ويُقال: في الطَّيْرَةِ عند انصباب الكوز، ونحوه: دافقٌ خيرٌ، وفي كتاب قطرب: دَفَقَ الماء يدفقُ، إذا انصبَّ، والرَّابِعُ: صاحبُ الماء، لَمَّا كَانَ دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز))^(١).

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٣٠١ ق ١.

المبحث الثاني

الصرف

وردت أصول مادة (صرف) في المعاجم العربية في معانٍ مختلفة تفيد كلها التغير، والتحويل، والانتقال، ومنها^(١):

١. الصَّرْفُ: رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَإِنْ صَرَفَ؛ أَي رَجَعَ.

٢. والصَّرْفُ: أَنْ تَصْرِفَ إِنْسَانًا عَنْ وَجْهِهِ يَرِيدُهُ إِلَى مَصْرِفٍ غَيْرِ ذَلِكَ.

٣. صَرَّفَ الشَّيْءَ: أَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَى وَجْهِهِ.

٤. وَتَصَارِيفُ الْأُمُورِ: تَحَالِيفُهَا، وَمِنْهُ تَصَارِيفُ الرِّيَّاحِ، وَالسَّحَابِ.

وقد وردت اصول هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، كلها بمعنى التغير، والتحول^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣)، و﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾^(٤)، وهذه دلالة على ان الكلمة ذات اصول راسخة

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (صرف)، الصحاح، مادة (صرف)، لسان العرب، مادة (صرف).

(٢) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ٤٠٨ أ
المصطلح الصرفي مميزات التذكير والتأنيث، عصام فور الدين: ٤٦.

(٣) النور: ٤٣.

(٤) يوسف: ٣٤.

في لغة العرب قبل أن يعرف علم الصرف.

اما اصطلاحاً فيطلق علم الصرف على شيئين:

الاول: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة؛ لأداء ضروب من المعاني كالتصغير، والتكسير، والتثنية، والجمع، وأخذ المشتقات من المصدر، وبناء الفعل للمجهول، وغير ذلك.

الثاني: تغيير الكلمة عن أصل وضعها؛ لغرض آخر غير اختلاف المعاني، ويسمى هذا التغيير بالإعلال، وينحصر في ستة أشياء: الحذف، والزيادة، والاببدال، والقلب، والنقل، والادغام^(١).

فقد عني المصنف بمباحث الصرف المتنوعة، وتدل على قدم راسخة في هذا العلم المهم، وهذا يدل على معرفة لمباحث هذا العلم، فمن المباحث التي جاءت عنده، ما ذكر في الابدال حيث أوضح المصنف مفردة "لَزَبْتُ" في قول الامام عليه السلام: ﴿وَلَا طَهَّاءَ بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبْتُ﴾^(٢) التي أبدلت فيها الباء ميماً فأصبحت بمعنى واحد مع مفردة اللازم نحو قوله: ((الَلَّازِب، والَلَّازِم بِمَعْنَى أُبْدِلْتُ مِنَ الْمِيمِ الْبَاءَ))^(٣)، كذلك من هذه المباحث القلب حيث ورد في مفردة النيران في قول الامام عليه السلام: ﴿مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ﴾^(٤)،

(١) ينظر: في علم الصرف، د. امين علي السيد: ٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٤ أ ق ١.

(٤) نهج البلاغة: ٣٢ خ ١.

حيث أوضح ان النيران جمع النار، واصلها من الواو؛ لان تصغيرها نُؤِيرَة، وجمعها نور أنور فانقلبت الواو ياء في نيران؛ لأنَّ ما قبلها مكسور نحو قوله: ((وَالنَّيْرَانُ: جَمْعُ النَّارِ، وَهِيَ مِنَ الْوَاوِ، لِأَنَّ تَصْغِيرَهَا نُؤِيرَة، وَالْجَمْعُ: نُورٌ أَنْوَرُ، وَنَيْرَانٌ أَيْضاً، انْقَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً، لَكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا...))^(١)، ومن هذه المباحث ايضاً التصغير في توضيح مفردة الانسان في قول الامام عليه السلام: ﴿فَمَثَلْتُ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا﴾^(٢)، حيث يوضح المصنف إن أصلها الانس أي، البشر وزيدت لها الألف، والنون، وجمعها على أناسي، وزيد في تصغيرها ياء فأصبحت انسيان كما زيد في تصغير رجل، فأصبحت رويجل نحو قوله: ((الْإِنْسُ، أَي: الْبَشَرُ، بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ، وَالنُّونِ، قَالَ: وَيُجْمَعُ عَلَى أَنْاسِيٍّ، فَتَكُونُ الْيَاءُ عَوْضًا عَنِ النُّونِ، وَتَقْدِيرُ إِنْسَانٍ فَعْلَانِ، وَإِنَّمَا زِيدَ فِي تَصْغِيرِهِ، يَاءٌ، كَمَا زِيدَ فِي تَصْغِيرِ رَجُلٍ، فَقِيلَ: رُويْجِلُ، وَقَالَ فِي الْعَيْنِ: سُمِّيَ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّسِيَانِ، وَالْإِنْسَانُ فِي الْأَصْلِ: إِنْسِيَانٌ؛ لِأَنَّ جَمَاعَتَهُ: أَنْاسِيٌّ، وَتَصْغِيرُهُ أُنْسِيَانِ، يَرْجِعُ الْمُدَّةُ الَّتِي حُذِفَتْ، وَهُوَ الْيَاءُ، وَكَذَلِكَ إِنْسَانُ الْعَيْنِ، جَمْعُهُ: أَنْاسِيٌّ))^(٣)، ومما أورده المصنف في الاعلال في توضيح مفردة معاش في قول الامام عليه السلام: ﴿وَمَعَاشٍ تُحْيِيهِمْ﴾^(٤)، حيث أوضح ان الياء في مفردة معاش لا تقلب همزة في الاكثر، وكذلك كل ما وقع بعد ألف الجمع فيه واو أو ياء سواء

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٤٠ أ ق ٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢٩ خ ١.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٥ أ ق ٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣٠ خ ١.

كانت اصلية كما في مُقاوم، ومَرايب أم زائدة للإلحاق، كما في جداول، وعثائر نحو قوله: ((والياء في معاش لا تُقلبُ همزةً في الاكثر، وكذا كُلُّ ما وقعَ بعدَ ألف الجمع فيه واو، أو ياء ليست بمُدَّة زائدة، سواءً كانت أصليَّة، كما في مُقاوم، ومَرايب، أو زائدة للإلحاق، كما في جداول، وعثائر، فتبقى على حالها، وإن كانت الواو، والياء مُدَّة زائدة في المفرد قُلبت الفاء، ثُمَّ همزة، كما في نَتائِف، وكبائر، وكذا في صيغة فاعلٍ مِمَّا أُعِلَّ فعله، نحو قائل، وبائع بخلافٍ، نحو عاور، وقد يُهمزُ معاش تشبيهاً لمعيشة بفعيلة، وكذا قد يُهمزُ المنائر في جمع منارة؛ تشبيهاً لها بفعالة، والفصيحُ المَناور، والتزامُ الهمزِ في مصائب تشبيهاً لمُصيبة بفعيلة))^(١)، ونجد المصنف قد ذكر الوزن الصرفي لبعض الكلمات التي أوردها حرصاً منه على ضبطها، مثال ذلك في تبيانه كلمة "عنفوان" في مقدمة الشريف الرضي قال: ((في عُنْفُوانِ السَّنِّ))^(٢)، فقال: ((وعنفوان السَّنِّ: أوَّله، ووزنه فُعْلُوان من اعتنف الشيءَ إذا ابتدأه))^(٣)، وعلى ما يبدو ان الأصل فيه أنَّفُوان من اتَّنفَت الشيء، واستأنفتَه إذا اقتبَلتَه فأقبل إذا ابتدأت، فقلبت همزة أنْفُوان عيناً، فأصبح عُنْفُوان^(٤)، وكذلك قوله في بيان

(١) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٨٥ أ ق ٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٤) ينظر: الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري: ١ / ٢٠٤، لسان العرب، مادة (عنف)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: السيد إبراهيم الميانجي: ٢٥٨ / ٩.

معنى الميثاق في قول الإمام عليه السلام: ﴿أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ﴾^(١)، فقال: ((الميثاق، والعهد: (مفعالٌ مِنَ الْوَثَاقِ، بالفتح، وهو في الأصل حبلٌ، أو قيدٌ، ويُشَدُّ به الأسير، والدَّابَّةُ))^(٢)، وعلى ما يبدو انه بين ان معنى الوثاق هو حبلٌ، أو قيدٌ، ويُشَدُّ به الأسير، والدَّابَّةُ، وربط هذه الدلالة مع دلالة المبالغة في الوزن مفعال أي قوة الميثاق، وشدته، وتأكيد العمل، والسير على طبق ما عاهدوا الله عز وجل عليه، ومما تقدم يتضح عناية المصنف بالمباحث الصرفية التي من شأنها تفسير المفردات، أو توضيح عبارة تلبس على القارئ، ولا يكتفي احياناً بذكر المسائل الصرفية فحسب، وإنما يتبعها بتعليل يفسره، ويكشف عن غامضها.

(١) نهج البلاغة: ٣٠ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٧٩ أ ق ٢.

المبحث الثالث

المادة المعجمية

المعاجم لغة: هي جمع معجم، وهو مشتق من عَجَمَ، ولهذه الكلمة معاني متضادة أقربها: قولهم أعجمت الكتاب إذا بينته، وأوضحته فهو إذاً لسلب معنى الاستبهام لا إثباته^(١).

أما اصطلاحاً فقد ذكر تعريفه الزبيدي في مقدمة فقال: (كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها)^(٢).

اسباب تأليف المعاجم، وفوائدها^(٣)

١. العناية بفهم آيات القرآن الكريم؛ حيث أن تفسير مفرداته يُعين على معرفة معنى آيات، وذلك بمراجعة المؤلفات في غريب القرآن.

(١) ينظر: الخصائص، ابن جني: ٣/ ٧٨، لسان العرب، مادة (عجم)، تاج العروس، الزبيدي، تح: علي شيري، مادة (عجم).

(٢) تاج العروس: ٩ / ١.

(٣) ينظر: المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، أحمد بن عبد الله الباتلي: ١٣-١٤.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

٢. معرفة المراد بألفاظ بعض الفقهاء في المتون، وربطها بالتعريفات الاصطلاحية عندهم، وذلك في المؤلفات الخاصة بغريب ألفاظ الفقهاء. أو كما يسميها بعضهم (لغة الفقه).

٣. فهم مفردات القصائد الشعرية الغريبة، والقطع الثرية الغامضة.

٤. تدوين اللغة العربية خشية ضياع شيء من مفرداتها لا سيما في حياة فصحاءها، والمحافظة عليها من دخول ما ليس من مفرداتها.

٥. ضبط الكلمات المعضلة بالشكل، ومعرفة نطقها الصحيح، وبيان اشتقاقاتها، وتصريفاتها، وجموعها، ومصادرها، ونحو ذلك.

٦. تحديد أماكن بعض المواقع الجغرافية، والمدن التاريخية.

٧. حفظت لنا المعاجم كمّاً من الشواهد الشعرية لولاها لماتت مع أصحابها الذين لم تجمع أشعارهم.

٨. اكتساب ثروة لغوية كبرى؛ لا سيما عند تعدد مدلولات الكلمة، واختلاف معانيها بحسب سياقاتها، وذلك دليل على سعة، وشمول اللغة العربية، وأنها لغة حية، ولودة معطاء لديها القدرة على تلبية مطالب الحياة الحضارية.

ومن هنا ان أهمية المعجم، والحاجة إليه ليست وليدة عصرنا الحاضر؛ بل منذ القدم، والانسان المتكلم باللغة يشعر دائماً بعجزة وقصور فهمه عن الإحاطة بجميع مفردات اللغة أفمن الشطط أن يظن الإنسان أن كل عربي فصيح يحتاج بلغته كان يعرف كل كلمة تقع في سمعه، ولقد ثبت أن الراسخين في فهم اللغة العربية، وفصحاءها، ونوادرها كانوا يجهلون معاني

كثيرة من الألفاظ ^(١).

وقد كان السيد علاء الدين گلستانه كثيراً ما يبين المعاني معتمداً اعتماداً كبيراً على المعاجم، ومادتها التي تصب في خدمة نصوص الإمام عليه السلام، وبيانها فكان منهجه في النقل من هذه المعاجم كالآتي:

- النقل بالنص.

- النقل بالمعنى.

- النقل من معجمات المعاني والتفاسير.

- الضبط، والتقيد.

النقل بالنص:

النقل من المعاجم هو منهج اتبعه الشارح گلستانه في تبيان معاني الكثير من خطب الامام عليه السلام، يبين معنى "عمد" في قوله عليه السلام: ﴿لَا بَغَيْرَ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا﴾ ^(٢)، فينقل الشارح معناها اللغوي على لسان صاحب كتاب العين فيقول: ((وقال في العين: العُمْدُ، بضمّتين (جمعُ عِمَادٍ، والأَعْمَدَةُ جمعُ العמוד، مِنْ حديدٍ أو خشبٍ)) ^(٣)، عند تتبعي لمادة عمد في كتاب العين وجدت ان المصنف كان دقيقاً جداً في نقل معنى الكلمة حتى

(١) ينظر: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، د. عبد الحميد محمد: ٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٢٦ أ ق ١.

انه قد ضبط حركتها كتابةً لئلا يلتبس معنى الكلمة المقصودة بالمعاني التي بينها الخليل للحروف نفسها، وفيصل تحديد المعنى هو الحركة بدليل قوله: ((العُمْد بضمّتين))^(١)، أو أنه قد ضبط حركتها كتابةً؛ حتى لا يلتبس الأمر على القارئ بسبب اخطاء النساخ بعده.

وفي بيان معنى واطر في قول الامام (عليه السلام): ﴿وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبَاءُهُ﴾^(٢) قوله: (وقال في العين: (المُواتِرَةُ الْمُتَابَعَةُ))^(٣)، فنجد المصنف قد نقل معنى من دون زيادة، وإضافة؛ وذلك لأنه وجد فيه تمام المعنى الذي يبين معنى واطر في قول الامام (عليه السلام).

النقل بالمعنى:

اما النوع الثاني هو النقل بالمعنى، فقد كان المصنف كثيراً ما يتكئ على هذا النوع في بيان المعنى الغامض من بطون المعاجم، فيذكر الكلمة المراد تبيان معناها، وازالة ما يحيط بها من غموض بإيراد معناها فقط من دون ذكر المعجم الذي اعتمده في بيان معناها، وهذا النوع من النقل قد ساد في أغلب شرحه، عند ابتدائه بالمعنى المعجمي لكلمات الإمام (عليه السلام)، ومن أمثلة ذلك: في تبيانه معنى كلمة عصي في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾^(٤) في كلامه

(١) المصدر نفسه: ٢٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠ خ ١.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢١٨٢.

(٤) طه: ١٢١.

عن السجود لآدم ﷺ قال: ((قال الجوهری فی الصحاح: العِصْيَانُ: خِلَافُ الطَّاعَةِ، وَقَدْ عَصَاهُ مَعْصِيَةً، فهو عاصٍ))^(١)، وعند تتبعي للنص الذي اورده الجوهری: (والعصيان: خلاف الطاعة. وقد عصاه يعصيه، عصيا، ومعصية فهو عاص، وعصى. وعصاه أيضا مثل عصاه، واستعصى عليه...) ^(٢)، وجدت ان المصنف قد تصرف بالنص لكن هذا التصرف لم يخل بالمعنى إطلاقاً، وانما كان يصيغ النص، ويستخرج المعنى الذي يخدم النص المراد تفسيره، وعلى ما يبدو انه كان بهذه الطريقة تجنب الاسهاب لكي يصل الى المعنى المراد.

النقل من معجمات المعاني، والتفاسير:

عني السيد علاء الدين گلستانه بشرح المفردات، وذكر منها الكثير في كتابه، حتّى تكاد الشروح المبثوثة في شرحه تشكل معجماً صغيراً لهذه المفردات فقد جرى العرف عند أكثر اللغويين، والشراح في توثيق مادتهم اللغوية بالرجوع إلى المعاجم لما تحتويها من مادة شاملة؛ تكاد ان تكون وافية في استيعاب كلام العرب، وتبيان معناه؛ لكن نجد سيد علاء الدين لم يكتفِ بذلك، وانما جاء بالمعاني من منابع متنوعة منها ما يعنى بعلم غريب الحديث، قد تمثل كتاب النهاية في غريب الحديث، والاثر لابن الاثير، وكذلك جاء بالمعاني من بعض التفاسير المشهورة أمثال: مفاتيح

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٣ أ ق ٢.

(٢) ينظر: الصحاح، الجوهری، تح: أحمد عبد الغفار عطار، مادة (عصا).

الغيب لفخر الدين الرازي مثال ذلك في شرحه لكلمة "مثاقيل": ((ومثاقيل الفضل الرَّاجحة))^(١)، فقال: ((قال ابن الأثير: (المِثْقَالُ في الأصل: مقدارٌ من الوزن، أي: كان شيءٌ من قليلٍ، أو كثيرٍ، ومثقالُ ذرَّةٍ: وزنُ ذرَّةٍ، والنَّاسُ يطلقونه في العُرف على الدِّينار خاصة، وليس كذلك))^(٢)، وكذلك تفسير معنى "سَكَايِكَ" في قول الامام عليه السلام: ﴿وَسَكَايِكَ الْمَوَاءِ﴾^(٣) شرحها بالاعتماد على ما فسره ابن الاثير فقال: ((والسَّكَايِكَ: جمعُ سُكَاكَة، وفسَّرَهَا ابنُ الأثير بالجَو: ما بين السَّمَاءِ، والأَرْضِ قال: ومنه حديث عليٍّ عليه السلام))^(٤)، وايضاً في شرحه لكلمة فَمَثَلْتُ في قول الامام عليه السلام: ﴿فَمَثَلْتُ إِنْسَانًا إِذَا أَذْهَانِ يُجِيلُهَا﴾^(٥)، فقال: ((قال ابنُ الأثير: تقولُ: (مَثَلْتُ، بالثَّقِيلِ، والتَّخْفِيفِ، إِذَا صَوَّرْتَ مِثَالًا، ومنه الحديث: (رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، وَالنَّارَ مُمَثَّلِينَ فِي الْجِدَارِ))^(٦). اما في شرحه لكلمة "فطر" في قول الامام عليه السلام: ﴿فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ﴾^(٧)، فقال على لسان الفخر الرازي: ((قال الفخرُ الرَّازي في التَّفْسِيرِ: الْفَطْرُ في اللُّغَةِ: الشَّقُّ، يقالُ: فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ، إِذَا بَزَلَ، وَفَطَرْتُ الشَّيْءَ فَانْفَطَرَ، أَي: شَقَقْتُهُ فَانْشَقَّ، وَتَفَطَّرَتِ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ، وَالشَّجَرِ بِالْوَرَقِ إِذَا تَصَدَّعَتْ هَذَا

(١) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٩٧ أ ق ١.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٣) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٤) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٨٧ أ ق ١.

(٥) نهج البلاغة: ٢٩ خ ١.

(٦) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٥ أ ق ٢.

(٧) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

أصله في اللغة. ثُمَّ صَارَ عِبَارَةً عن الإيجاد؛ لأنَّ ذلك الشَّيءَ حالَ عَدَمِهِ كَأَنَّهُ كان في ظُلْمَةٍ، وَخَفَاءٍ، فَلَمَّا دَخَلَ في الوجود صارَ كَأَنَّ العَدَمَ انشَقَّ، وَخَرَجَ ذلك الشَّيءُ منه.

وقد يُظَنُّ أَنَّهُ عبارة عن تكوين الشَّيءِ عن العَدَمِ المحضِ، بِدليل الاشتقاق الَّذي ذكرناه، إِلَّا أَنَّ الحقَّ أَنَّهُ لا يدلُّ عليه، لوجوه:

أحدهما: أَنَّهُ تعالى قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ خلقها مِنَ الدُّخَانِ، حيثُ قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، فدلَّ على أَنَّ لفظَ الفاطرِ لا يدلُّ على أَنَّهُ أحدث ذلك الشَّيءَ مِنَ العَدَمِ المحضِ.

وثانيها: أَنَّهُ تعالى قال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ مع أَنَّهُ تعالى إِنَّمَا خَلَقَ الإنسانَ مِنَ التُّرَابِ، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

وثالثها: إِنَّ الشَّيءَ؛ إِنَّمَا يكونُ حَاصِلًا عندَ حُصُولِ مادَّته، وَصُورَتِهِ، فعندَ عَدَمِ الصُّورَةِ ما كان المجموعُ مَوْجُودًا، وبإيجادِ الصُّورَةِ صارَ موجودًا.

فثبتَ أَنَّ لفظَ "الفاطرِ" لا يدلُّ على كونه تعالى مُوجِدًا للأجزاء التي منها تَرَكَّبَتِ السَّمَاوَاتُ، وَالْأَرْضُ، وَإِنَّمَا عَلِمَ كَوْنُهُ تعالى مُوجِدًا لها بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ العقلِيَّةِ، لا بِحَسَبِ لَفْظِ الْقُرْآنِ^(١). كانت المعاني التي ذكرها الفخر الرازي في تفسيره لفظِ قد جمعها من معاجم مختلفة، وقد افاض في بيانها، وذكر وجوها مختلفة في تبيانها، وهذا ما وجدته من خلال تتبعي لمعاجم مختلفة

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٢٨-٢٢٩ أ ق ١.

فوجد المصنف في هذا المعنى تبياناً وافياً لكلمة فطر لم يجده في المعاجم قد سخرها في توضيح الكلام الإمام عليه السلام.

من ذلك يتبين سعة ثقافة الشارح، وإطلاعه على المعجمات، والتفاسير فيعمد إليها من أجل توضيح العبارة، وتبيانها، فضلاً عن أنه يدقق النظر في النصوص التي تستشهد بأقوال الامام علي عليه السلام مثلما وجدناه في نقله عن ابن الاثير من كتابه النهاية في غريب الحديث، والأثر كذلك إنه ينقل من التفاسير التي يجد فيها معنى لغوياً وافياً للكلمة التي يسعى لبيانها.

الضبط، والتقييد:

حرص السيد علاء الدين گلستانه على ضبط خطب الامام عليه السلام بالعبارة، إذ إنَّ الضبطَ بالحركات فقط، لا يضمنُ سلامةَ الكلمات من التصحيف، والتحريف، ولهذا سلك أساليب كثيرة في ضبط مادة خطب الإمام عليه السلام، وبقية النصوص التي يردها في استشهاده، هي:

١. الضبط بذكر الحروف، وحركاتها:

لم يكتفِ برسم الحركات على حروف الكلمة، بل كان يذكر حروف الكلمة، وحركاتها بالعبارة، كقوله في اثناء شرحه لكلمة "نشر" من خطبة الامام عليه السلام: ﴿وَنَشَرَ الرِّبَاحَ بِرَحْمَتِهِ﴾^(١)، قال: ((نَشَرُهُ يَنْشُرُهُ بِالضَّمِّ، أَي: بَسَطَهُ))^(٢) إشارة الى باب الفعل، وقوله في شرحه لكلمة "الدين" من

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٣١ أ ق ١.

خطبة الامام العلي عليه السلام: ﴿أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ﴾^(١)، فقال: ((الدِّينُ: بالكسر الإسلام، والطَّاعَةُ: ...))^(٢)، وكذلك عند شرحه لكلمة "جزأه" من قول الامام العلي عليه السلام: ﴿وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ﴾^(٣)، قال: ((جزأه: بالهمزة، والتشديد، أي: قسَّمه))^(٤)، وأيضا في شرحه لقول الامام العلي عليه السلام: ﴿مُتَوَحِّدٌ إِذَا لَا سَكَنَ﴾^(٥)، فقال: ((سكن بفتح النون...))^(٦)، وبهذا نجد المصنف قد سلك هذه الطريقة منهجاً يسير عليه في شرحه لخطب الامام العلي عليه السلام، وهذه الطريقة اتبعها معظم المعجميين في معاجهم، ونحو هذا النحو، ومنهم الرازي في مختار الصحاح، وتكمن اهميتها في الحفاظ على الكلمة من التصحيف، والتحريف.

٢. الضبط بذكر كلمة تشبه الكلمة المفسرة في وزنها:

اعتاد كلستانه أن يذكر مقابل الكلمة التي يريد تقييدها كلمة شائعة في الاستعمال، ووزنها معروفاً، أو واضحاً، كقوله في بيان معنى "الفخار" من مقدمة الرضي قوله: ((المفاخرة، وهو: نشرُ المناقب، وذكرُ الكرام بالكِرم يُقال: فاخرته ففخرته كنصرته))^(٧)، وكذلك في بيان معنى "حلوان" قوله:

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٥٥ أ ق ١.

(٣) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٤) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٦٦ أ ق ١.

(٥) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٦) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٧٧ أ ق ١.

(٧) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٩٥ أ ق ١.

((وَحُلُوَانِ الْكَاهِنِ: أَجْرُهُ، وَهُوَ مُصَدِّرٌ كَالْغُفْرَانِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحُلَاوَةِ))^(١)، وقولُهُ في بيان "الزينة" من قوله تعالى: ((إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ)...) والزينة: إمَّا مصدر كالنَّسَبَةِ، أو أَسْمٌ لِمَا يُزَانُ بِهِ كَاللُّقِيَةِ لِمَا يُلَاقِ بِهِ))^(٢)، كما نجده يجمع طريقتين في سبيل ضبط النص من التحريف، والتصحيح فيضبطه بذكر الحروف، والحركات، وكذلك بذكر الكلمة، وكلمة تشابه المفسرة بالوزن مثال ذلك قوله: عندما بين معنى كلمة "شهاد" في قول أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: (يَمَصَّوْنَ الشَّهَادَةَ...) ^(٣)، فقال: ((الشهاد: بالشاء المُثَلَّثَةِ، والدَّالُّ الْمُهِمَلَةِ، على وزن كِتَابٍ: الماءُ القليلُ، لا مادة له، أو ما يظهرُ في الشَّتَاءِ، ويذهبُ في الصَّيْفِ))^(٤). ويبدو أن المُصَنِّفَ في اختياره للكلمة المشابهة ليس بالوزن فقط، وإنما بعدد حروفها أيضاً، يدلُّ على عنايته بالكلمة المراد تفسيرها، ودقة اختياره للكلمة المشابهة لها في الوزن، وكذلك عدد حروفها.

الفروق اللغوية:

إنَّ من جملة علوم العربية المهمة التي اهتم بها اللغويون قديماً، وحديثاً علم الفروق اللغوية المعني بتمييز المفردات المتقاربة المعاني، والتي تبدو مترادفة إذا نظر إليها من غير تدقيق الامر الذي دفع قدماء علماء اللغة إلى

(١) المصدر نفسه: ٤٣٥.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٢٧ ق ١.

(٣) الكافي: ١/ ٢٢٢ ح ٦.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٦٥ ق ٢.

تصنيف كتب مستقلة في هذا المضمار^(١).

فقد لاحظوا ان ألسنة الناس صارت تستعمل عدداً غير قليل من المفردات المتقاربة في المعاني بوصفها متماثلة، ومتشابهة، ولها المعنى نفسه، وهذا الامر ساهم في منح اللغة نوعاً من الاتساع، والثراء مما دفع العلماء الى الاهتمام بهذه الظاهرة، ومن اهم الكتب التي عنيت بمسألة الفروق (الفروق اللغوية لابي هلال العسكري)، ونجد السيد علاء الدين كلستانه قد اولاهها اهمية كبيرة في جانب الاستشهاد، وذلك لما فيها من دلالة واضحة على دقة كلام الامام عليه السلام في خطبه حتى، ولو كانت الفروق لا تدرك إلا بتبصر في معاني الكلمات، ومن جملة ما قاله المصنف - على سبيل المثال لا الحصر - في مقدمة الشريف الرضي فقد فرق بين كلمتي "المنتجب، والمنتخب" فقال: ((المنتجب بالجيم، وكذلك المنتخب بالخاء المعجمة المختار المصطفى، وقد ضُبِطَ في النُّسخ الصَّحيحة بهما))^(٢)، فعند تتبعي لمعنى الكلمتين في المعاجم العربية فكان من معاني المنتخب: (المُختارُ من كل شيء؛ وقد انتَجَبَ فلانٌ فلاناً إذا استَخْلَصَه، واضْطَفاه اختياراً على غيره)^(٣)، اما من معاني المنتخب:

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي:

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٩٤ أ ق ١.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (نجب)، الصحاح، مادة (نجب)، لسان العرب، مادة

(نجب)، مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: السيد احمد الحسيني،

مادة (نجب).

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

(خيار الناس، يقال: انتخبت أفضلهم، والانتخاب: الاختيار، ومنه وصي رسولك الذي انتخبته من خلقك)^(١)، فوجدت ان كلتا الكلمتين ذواتا دلالة مشتركة، وهي الاختيار فكان المصنف دقيقاً في تبيان المعاني، والحكم عليها باتفاق معناها او اختلافه، وفي هذه دلالة واسعة على سعة ثقافة المصنف المعجمية، واحاطته بمعاني الكلمات القديمة، كذلك نطالع في مقدمة الشريف الرضي فروقاً لغويةً بين كلمتي "الطين، والطينة" فقال المصنف: ((والطِئْنَةُ أَحْصُ مِنَ الطِّينِ، وهي: القطعة منه، والطِئْنَةُ: الخلقة، والجبلة))^(٢) فعند الرجوع الى المعاجم نجد أن المصنّف كان دقيقاً في بيانه للمعنيين لان معنى الطين في المعاجم: هو (الطين: معروف)^(٣) اي كما فسرہ الراغب الاصفهاني: هو (التّراب، والماء المختلط، وقد يسمّى بذلك، وإن زال عنه قوّة الماء)^(٤) أي أنه كان بمعناه العام من دون تخصيص على خلاف كلمة الطينة التي وردت بمعانٍ مختلفة منها كما ذكر في المعاجم: (الطينة: الخلقة، والجبلة يقال: فلان من الطينة الأولى)^(٥) لذلك كانت احص من كلمة الطين في المعنى^(٦)، كما

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (نجب)، الصحاح، مادة (نجب)، لسان العرب، مادة (نجب)، مجمع البحرين، مادة (نجب).

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٩٤ أ ق ١.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (نجب)، الصحاح، مادة (نجب)، مجمع البحرين، مادة (نجب).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، مادة (طين).

(٥) الصحاح، مادة (طين)، لسان العرب، مادة (طين).

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (طين).

نجده يذكر الفوارق اللغوية بين "الحمد، والشكر، والثناء، والمدح، والذم، والكفران" عند تبيانه لكلمة "الحمد" في قول الإمام (عليه السلام): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُبْلَغُ مَدْحَتُهُ الْقَائِلُونَ﴾^(١)، فقال: ((الحمد - على المشهور - هو: الثناء على الجميل الاختياري من نعمة، أو غيرها، والمدح هو: الثناء على الجميل مطلقاً، والشكر مُقابِلَةُ النعمة قولاً، وعملاً، واعتقاداً، فالحمد: أعمُّ مِنَ الشُّكْرِ مُتَعَلِّقاً، وأخصُّ مَوْرِداً، والمدح: أعمُّ منه مُطلقاً، وَمِنَ الشُّكْرِ مِنْ وَجْهِ، والذَّمُّ: نقيضُ الحمدِ، والكُفْرَانُ: نقيضُ الشُّكْرِ، وقيلَ: الحمدُ؛ هو القولُ الدالُّ على اختصاصِ المنعمِ بفضيلةِ الإحسانِ، والشُّكْرُ: مُتَخَصِّصٌ بالإنعام الواصِلِ الى الشَّاكِرِ، والمدحُ: يكونُ للحَيِّ، وغيره، وللمُخْتَارِ، وغيره، وقيلَ: الإحسانُ، وبعده، فيكونُ أعمُّ مِنْهُمَا، كما أنَّ الأوَّلَ أعمُّ مِنَ الثاني، وقيلَ: الحمدُ، والشُّكْرُ مُتَرَادِفَانِ؛ لَأنَّه يُوضَعُ كُلُّ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ، ويُقالُ: الحمدُ لله شُكْرًا، وهو الأظهرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَرَجَّحَهُ شَيْخُ الطَّائِفَةِ فِي التَّبْيَانِ قَالَ: (وهو الاعترافُ بِالنَّعْمَةِ مَعَ ضَرْبٍ مِنَ التَّعْظِيمِ))^(٢)، نجد أن المصنف قد استوعب هذه المعاني، وسخرها لاستخراج معنى الحمد في قول الإمام (عليه السلام)، باعتياده على الكثير من المصادر التي تعزز قوله منها: كتب لغوية ككتاب الفروق اللغوية للعسكري، وايضا اعتماده على التفاسير، واستخراج المعنى الذي يبين كلام الامام (عليه السلام).

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٠٩ أ ق ١.

الفصل الثالث

علوم القرآن والحديث

المبحث الأول القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، الذي ربط السماء بالأرض، واقدس كتاب لدى المسلمين، وخاتم الكتب السماوية، وبه ثبت نبوة محمد ﷺ، وبه تقوم الحجة على الناس جميعاً، فهو معجزة إلهية أنزلها الله سبحانه وتعالى على البشرية؛ ليخرجهم من الظلمات الى النور، نزل بلسان عربي مبين على النبي محمد ﷺ عن طريق الوحي، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تكفل الله تعالى بصيانتِه عن النسخ، والتحريف، والمحو بحفظه فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

فقد كان القرآن الكريم بوصفه أعلى النصوص العربية فصاحة، وتوثيقاً مصدره الأول، وكلام الله تعالى ابلغ كلام، وأفصحه، لذا عول الشارح عليه في الاستدلال على شتى القضايا التي شرحها، من ذلك ما اتخذه من شواهد لشواهد من وضوح المعنى، في كلمة "مَيِّدَانِ" في قول الإمام العلي عليه السلام: ﴿لَا وَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيِّدَانِ أَرْضِهِ﴾^(٢)، فقال: ((وقد وقع ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم في المواضع، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ قال المبرد: معنى تَمِيدَ، أي: مَنَعَ الْأَرْضُ أَنْ تَمِيدَ، وقال بعضُ المُفسرين: أي: لئلا تَمِيدَ، وقال بعضهم: أي: (كراهة أن تَمِيدَ)، ومثله قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ

(١) الحجر: ٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

أَنْ تَضِلُّوا، وقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾^(١)، نجد ان الشارح قد وضع معنى قول الامام عليه السلام بدلالة معنى النص القرآني الذي اورده المفسرون، والتي وافقت دلالتها بدقة للفظ القرآني ودلالة هي ان الله عزوجل قد ثبت الارض بالجبال حتى لا تتحرك وتضطرب.

اما في قوله عليه السلام: ﴿وَحَذَّرُهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتُهُ﴾^(٢)، فقد بين معناه بالإشارة الى الآية القرآنية فقال: ((إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٣)). وان التحذير الذي ورد في النص القرآني، هو نفسه الذي أورده الإمام عليه السلام في قوله هو أن ابليس لعنه الله هو عدو لك ولزوجك. وكذلك شرحه لقول الامام عليه السلام: ﴿وَرُخْصَتُهُ، وَعَزَائِمُهُ﴾^(٤)، فقال: ((وَرُخْصَتُهُ، وَعَزَائِمُهُ: الرُّخْصَةُ في الأمر: خلافُ التَّشْدِيدِ وعزائمُ الله: ما قَطَعَ اللهُ عليك بفعله، والعزمُ، هُوَ: الْقَطْعُ على الأمر، والجدُّ فيه أمَّا الرُّخْصُ، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وأمَّا العزائم، فكقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾^(٥)، بعد أن بين معناها اللغوي شرع الى بيان حكمها الشرعي، فجاء بالآية القرآنية؛ ليبين قصد الامام عليه السلام الشرعي فكان حكم الرخصة شرعاً:

(١) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٤٠ أ ق ١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٩ خ ١.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٨٧ أ ق ٢.

(٤) نهج البلاغة: ٣٢ خ ١.

(٥) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٣٠ أ ق ٢.

أن تأذن للمكلف بفعل ما كان ممنوعاً عنه، ويكون الإذن لسبب موجب كالإذن للمضطر بالأكل من الميتة، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(١)، وكذلك فعل في بيان معنى العزائم فكان حكمها الشرعي: الإلزام بإيجاب من الله سبحانه^(٢)، كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣).

(١) البقرة: ١٧٣.

(٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٦٦.

(٣) محمد: ١٩.

المبحث الثاني القراءات القرآنية

بقي القرآن الكريم موضع اهتمام وعناية المسلمين، ولا عجب فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حكيم بلسان عربي مبين، وهو دستور المسلمين الدائم، أخذوه عن رسول الله ﷺ، والمعلوم أن القرآن الكريم وقراءاته كانت أهم الشواهد لدى اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين^(١)، فكان موضوعاً لكثير من الدراسات قديماً، وحديثاً، وعكف العلماء يستنبطون منه القواعد، والأحكام أو يفسرونه، ويظهرون مواطن الجمال فيه، على حين عكف آخرون على البحث في قراءاته المختلفة.

وفي القراءات القرآنية ثروة ثقافية كبيرة لاسيما في علوم اللغة العربية كالأصوات، والتصريف، والنحو.

وقد وقف النحاة، واللغويون من القراءات مواقف متباينة، فمنهم من قبل بعضها، وشذذ بعضها الآخر، وتطرف بعضهم، فطعن على القراء، واتهمهم بالسهو، والوهم، والجهل. وقد وضع علماء القراءات ضابطاً للقراءة الصحيحة المقبولة فقالوا: هي:

(١) ينظر: منهج أبي عبيدة في تفسير غريب الحديث، درسه: أ.د كاصد ياسر الزبيدي وآخرون: ٢٥٠.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة، سواء كانت من السبعة أم غيرهم - إلى أن قالوا - : هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، لا نعرف من أحد منهم خلافه، وما عداها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت من السبعة أو غيرهم)^(١)، ولقد ذكر الشارح القراءات القرآنية بوصفها جانباً مهماً من جوانب الاستشهاد، فنجده يتخذها وسيلة مساعدة في شرحه لمواضع من خطب الإمام عليه السلام وجعلها حجة في الاستدلال على مقولاته ومنها: احتج بالقراءة القرآنية في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٢)، على قول الشيخ الطوسي: ((يجوز في العربية رفع آدم، ونصب كلمات، وبالعكس...))^(٣)، فنجد ابن خالويه قد وضع تبرير لقراءة الرفع ولقراءة النصب فقال: (فالحجة لمن رفع آدم أن الله تعالى لما علم آدم الكلمات، فأمره بهن تلقاهن بالقبول عنه والحجة لمن نصب آدم أن يقول ما تلقاك فقد تلقيته وما نالك فقد نلته...)^(٤) وذكر ابن الجزري والشهيد هذه القراءة لا تصح؛ لفساد المعنى فقال الشهيد: (إنه لا يجوز الرفع فيها ولا النَّصْب وإن كان كلٌّ منهما متواتراً، بأن يؤخذ رفع آدم من غير قراءة ابن

(١) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري تح: علي محمد الضباع: ٩/١، الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ١٠١/٨، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، السيد مير محمدي زرندي: ١٧٠.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٥٧ أ ق ٢.

(٤) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تح: د. عبد العال سالم مكرم: ٥١.

كثير، ورفع كلمات من قراءته...^(١).

كذلك اختلفوا في قراءة "بُشْرًا" في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ فـ "نُشْرًا" ((على قراءة نافع، وابن عامر بالنون وضمها وسكون الشين، أو على قراءة ابن كثير، وأهل المدينة، والبصرة بضم النون والشين، أو بفتح النون وسكون الشين، وعلى قراءة أهل الكوفة غير عاصم،...، ويُضَعَّف قراءة عاصم بالباء وسكون الشين))^(٢)، فيكون على قراءة ابن كثير، وأهل المدينة، والبصرة: نُشْرًا فهو جمع نُشُور مثل: رسول ورسل، وعلى قراءة نافع وابن عامر: نُشْرًا أسكن الشين استخفافاً فيكون المعنى، وهو الذي يُنْشِر الرياح مُنْشَرَةً نُشْرًا، وعلى قراءة أهل الكوفة غير عاصم: نُشْرًا فالمعنى: اي هو الذي يُرْسِل الرياح مُتَشِرَةً نُشْرًا، اما قراءة عاصم: بُشْرًا، بالباء، فهو جمع بشيرة وبُشْر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾^{(٣)(٤)}.

(١) المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية، الشهيد الثاني، تح: مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية - محمد الحسون: ٢٤٥، وينظر: النشر في القراءات العشر: ١٩ / ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٣٣ أ ق ١.

(٣) الاعراف: ٥٧.

(٤) ينظر: معاني القرآن، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي: ٣٤٥ / ٢، النشر في القراءات العشر: ٢ / ٢٦٩، لسان العرب، ماده (نشر).

المبحث الثالث

الحديث النبوي الشريف

يُعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ليس لمرحلة خاصة بدائية، بل كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ إنه قال: (ما من شيء يقربكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلاّ قد أمرتكم به، وإنه ما من شيء يقربكم إلى النار ويبعدكم من الجنة إلاّ نهيتكم عنه) ^(١).

فهو التالي لكتاب الله تعالى في المكانة، والتشريع، ولا غنى عنه لمعرفة دين الله عز وجل، وبيان مقاصده، إذ حافظ على مضمون القرآن من التغير، والتحريف.

فإذا كان القرآن قد استطاع أن يحافظ على مضمونه من التغير والتحريف؛ بوصفه كتاب الله المنزل، والحافظ له، فقد أخذ اعداء الدين يضعون على لسان الرسول الكريم ﷺ ما ليس منه، حتى انبرى علماء الحديث، وتصدوا لكل ما يشينه، فاستطاعوا من خلال الاسناد، والرواية الصحيحة الوقوف

(١) المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، تح: سعيد اللحام: ١٢٩ / ٨، الكافي، الشيخ الكليني، تص و تعد: علي أكبر الغفاري: ٧٤ / ٢ ح ٢، المهذب، القاضي ابن البراج: ٣٤٣ / ١، إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٧٠ / ٤، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ٩٤ / ٥، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، صح وعلق: عليه علي أكبر الغفاري: ١٤١ / ٣ روي باختلاف يسير باللفظ.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

عند الاحاديث المنسوبة فعلاً الى الرسول ﷺ ، وتميزها من الاحاديث المزيفة ، وما وصلت إلينا منها هي احاديث منقحة منسوبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالفعل . وله دور لا يقل أهمية عن دور القرآن الكريم في تقعيد القاعدة اللغوية، والنحوية، والصرفية، بل إنه جاء بعد القرآن من ناحية الاستشهاد .

وكان المصنف من الذين عزوا آراءهم من خلال الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وكانت إفادته من الحديث النبوي في مواضع مختلفة من مصنفه فكان الملاحظ في استشهاده بالحديث، إنه قد أهمل السلسلة، والسند لها؛ أي لا يذكر لها سنداً، ويبدو ان السبب في ذلك لصحته في المصادر المعتمدة التي أخذ منها، ومثال ذلك انه عندما بيّن معنى "الرياح" في قول الامام العلي عليه السلام:

﴿وَنَشَرَ الرَّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ﴾^(١)، فأورد حديثاً نبوياً على لسان الشيخ الطوسي، فقال: ((شيخ الطائفة في التبيان: ما جاء في الحديث من أن النبي ﷺ كان يقولُ إذا هبَّت ريحٌ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحاً حَسَنَةً، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً) ...))^(٢)، وهذا الحديث متفق عليه عند جميع المسلمين فقد روته كتب المذهبين فقد ذكرت أن النبي ﷺ كان قاله عندما أتت الرياح الشديدة^(٣)، فكان السبب من عدم ذكر سلسلة الرواة لهذا الحديث لسببين احدهما اتفاق روايته بين الفريقين،

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١ .

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٣٣ أ ق ١ .

(٣) ينظر: المسند، الامام الشافعي: ٨١، مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تح: حسين

سليم أسد: ٤ / ٣٤١، منتهى المطلب، العلامة الحلي، تح: قسم الفقه في مجمع

البحوث الإسلامية: ٦ / ٨٢ .

واشتهاره، والآخر انه اراد ان يبين ان الحديث قد رواه من مصدر موثوق لا غبار عليه وهو العلامة الطوسي الذي عرف بشيخ الطائفة أعلى الله مقامه. وايضاً نجد المصنف عند تبيانه معنى كلمة "المارقة" في قول الامام عليه السلام: ﴿وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّاءِ الْعُلْيَا أَعْنَأُفُهُمْ...﴾^(١)، فقد بين معناها استناداً لقول النبي ﷺ: ((وُسِّمَتِ الْخَوَارِجُ مَارِقَةً، لقوله ﷺ: (إِنَّهُمْ يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ))^(٢). بيد ان المصنف لم يذكر سلسلة لهذا الحديث دليلاً على ان مثل هذه الاحاديث لا خلاف في صحتها لشهرتها وكثرت روايته في كتب الفريقين^(٣)، كان داعياً الى ان يهمل ذكر سلسلة اسناده. اما الاحاديث التي لا يتم نقلها في كتب العامة وإنما تناقلتها مصادر مذهب أهل البيت عليهم السلام عن الرسول الاكرم ﷺ مثال ذلك: ((روى الصدوق في كتاب العلل: عن جعفر بن محمد، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَسْبُوا الرِّيَّاحَ؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَا تَسْبُوا الْجِبَالَ، وَلَا السَّاعَاتِ، وَلَا الْأَيَّامَ، وَلَا اللَّيَالِيَ فَتَأْتُمُوا، وَتَرْجِعُ عَلَيْكُمْ))^(٤). فمن تتبعي لهذا الحديث وجدت ان المصدر الذي اشار اليه المصنف قد ذكر سلسلة رواة الحديث كاملة بدليل ما ذكره الصدوق: (أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن الحسين بن يزيد النوفلي عن إسماعيل بن مسلم السكوني عن جعفر بن

(١) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٢) نفس المصدر: ١٣٥.

(٣) الصحيح، البخاري: ١٧٩/٤، من لا يحضره الفقيه: ١/١٢٤ ح ٣٨٨.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٣٦ أ ق ١.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

محمد عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ^(١) لكن المصنف قد اقتصر في نقله على ذكر اسم المصدر، واسم مؤلفه عن الامام عليه السلام عن النبي محمد ﷺ كأنه في نقله بهذه الطريقة إشارة الى ان من يريد التدقيق في صحة هذه الرواية وتتبع سندها فليطلع عليها في المصدر الذي أشار إليه، وكذلك انه عندما ذكر الصدوق، وشخص الكتاب الذي روى فيه هذه الرواية بكامل سندها؛ لانها ذكرت في اكثر من كتاب له امثال من (لا يحضره الفقيه) نجد ان الصدوق لم يذكر فيه سلسلة رواة هذا الحديث وانما ذكره عن النبي ﷺ ^(٢).

(١) الأمامي، الشيخ الصدوق، تح: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة: ١٦٩.

(٢) ينظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، تحقيق: تصح و تع: علي أكبر الغفاري:

الفصل الرابع

التاريخ والفلسفة والعلوم الأخرى

المبحث الأول التاريخ

التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية؛ إذ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم، وسياستهم. حتى تتم فائدة الاقتداء به لمن يرومه في أحوال الدين، والدنيا^(١) فهو بذلك يعكس ماضي الامم، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، فمن اهميته تطلب الاهتمام، والوعي به، والحفاظ عليه ليس حفظاً للذاكرة، وتسجيلاً للحدث، وانما إعمالاً للتفكير، وجعله أداة للثقافة العقلية، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، بحيث يكون نبراساً، وهادياً لهم في حاضرهم، ومستقبلهم من هنا نجد ان السيد علاء الدين كلستانه اهتم بالشواهد التاريخية الصحيحة، والمؤكدة؛ لأنها ركن اساس في توثيق الخبر فقد اورد عدداً من الشواهد التاريخية اثناء شرحه لخطب الامام (عليه السلام)، ومنها: عند تفسيره لقول الامام (عليه السلام): «لَا فَرْعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوْ مُنْفَتِقٍ، فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ»^(٢)، فقال على لسان الرازي: ((جاء في كتب التواريخ أن الأرض في موضع صخرة بيت المقدس...))^(٣)، وكذلك

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: ٩ / ١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣١٨ أق ١.

قوله: ((وحكاية دحو الأرض التي أسندها إلى كتب التواريخ، فمما تظافرت به الأخبار، لا بأنها دُحيت من موضع الصخرة، بل من تحت الكعبة...))^(١)، وايضا عندما فسر قول الامام عليه السلام: ﴿لَوْ ضِيَاءُ الثَّوَابِ﴾^(٢) تحدث عن ولادة النبي ﷺ، وما حدث من احداث كونه، ومنها حدوث الشهب فقال: ((أَنَّ التَّوَارِيخَ المتواترة دَلَّتْ عَلَى أَنَّ حُدُوثَ الشُّهْبِ كَانَ حَاصِلًا قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وولادته، وقد تكلَّمت الفلاسفة الَّذِينَ كانوا موجودين قَبْلَ مجيئه ﷺ بزمانٍ طَوِيلٍ فِي سَبَبِ حُدُوثِهِ، فكيفَ يَسْتَقِيمُ ما ذَكَرْتُمُوهُ، وما دَلَّتْ عَلَيْهِ الآيةُ الكريمة؟، وأُجِيبَ: بِأَنَّ الشُّهْبَ، وَإِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ بَعْثَةِ ﷺ، وولادته، إِلَّا أَنَّهَا كَثُرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَارَتْ بِسَبَبِ الْكَثْرَةِ مُعْجِزَةً^(٣)، وَلَعَلَّهُ يُؤَيِّدُ هَذَا الْوَجْهَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْجَنِّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾^(٤)))^(٥)، فهنا يرد على شبهة وردت في كتب التواريخ، وهي ان الشهب كانت موجودة قبل بعثته ﷺ، وولادته اي انها امر معهود، ولا يدل على أمر معجز فيردها بأن كثرتها هي الاعجاز بحد ذاته.

(١) المصدر نفسه: ٢٢٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٢٦/١٢١، بحار الانوار: ٦٠/١٨٨.

(٤) الجن: ٨.

(٥) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٣٧ أ ق ١.

المبحث الثاني الفلسفة والمنطق

لقد احتلت الفلسفة مكاناً مرموقاً قديماً، وحديثاً؛ وذلك لأن الفهم الذي يملكه الإنسان عن ذاته وعن العالم يظهر من خلال اللغة لذلك كانت مصب اهتمام العلماء قديماً، وحديثاً، ففي شرح سيد علاء الدين كلستانه كان ذلك واضحاً في مناقشته لأراء العلماء، وتعليلاته وكذلك استعماله للمصطلحات الفلسفية، وإيراده آراء الفلاسفة، والمناطق، ومثال ذلك في تعريفه "للحد" عندما شرح خطبة الامام (عليه السلام): ﴿الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مُحَدَّدٌ﴾^(١)، قال الشارح: ((والحدُّ في اللُّغة: المنعُ، والحاجز بين الشَّيئين، ومُتَّهَى الشَّيْءِ، وفي عُرْفِ الْمُنْطِقِيِّينَ، التَّعْرِيفُ بِالذَّاتِ))^(٢)، كذلك تعريفه "للمعرفة" عندما شرح خطبة الامام (عليه السلام): ﴿وَمَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ، وَالْبَاطِلِ﴾^(٣)، فقال: ((المرادُ بالمعرفة: أمَّا إدراكُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ بِنَاءً عَلَى كونها هي المُدْرِكُ، مُطْلَقاً، أو أعمُّ مِنْ إدراكها، وإدراكُ القُوَى الجُزْئِيَّةِ فوحدةُ المعرفةِ جُنسِيَّةٌ))^(٤).

أما استعماله للمصطلحات المنطقية في شرحه فقد تنوعت بتنوع

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٣٤ ق ١.

(٣) نهج البلاغة: ٢٩ خ ١.

(٤) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٨ ق ٢.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

الموضوعات ومن هذه المصطلحات "الجنس"، مثال قول الشارح: ((ويُتَمَلُّ أن يكون المراد بالإشارة العقلية، أي: تَصَوُّرُهُ بِكُنْهه، أو بوجه جزئي، حتَّى يكون مُحْطاً بالآلات الجزئية، فيكون محدوداً بالمعنى المصطلح بين المنطقيين، فيكون مُرْكَباً من جنس، وفصلٍ معروضاً للعَدَدِ كما مرَّ))^(١)، ومن المصطلحات التي أوردها "الوجود" مثال ذلك في شرحه خطبة الامام (عليه السلام): ﴿لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا﴾^(٢) قال الشارح: ((فَأَوَّلُ النَّعْمِ: نِعْمَةُ الْوُجُودِ؛ فَإِنَّهُ لَوْلَاهُمْ لَمَا خَلَقَ اللَّهُ جَنًّا، وَلَا إِنْسًا، وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا، وَقَدْ مَرَّ شَيْءٌ يُسِيرُ مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، فِي قِصَّةِ آدَمَ (عليه السلام))^(٣)، وغيرها من المصطلحات ومنها أيضاً -على سبيل المثال لا الحصر-: "التصور"^(٤) "الذات"^(٥) "الجوهر"^(٦)، "العقل"^(٧)، "المفهوم"^(٨)، "اليقين والشك"^(٩).

أما عرضه لآراء الفلاسفة تارةً لدحض حججهم في الموضوع الذي يناقشه

(١) المصدر نفسه: ١٨٥.

(٢) نهج البلاغة: ٣٥ خ ٢.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٤٣ أ ق ٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٥.

(٥) المصدر نفسه: ١٥١، ١٥٣، ١٨١، ١٨٢.

(٦) المصدر نفسه: ٢٠٢، ٢٥٦، ٢٩٠، ٢٩٢.

(٧) المصدر نفسه: ١٥٦، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٠.

(٨) المصدر نفسه: ١٨٣، ١٩٢، ٢٥٣.

(٩) المصدر نفسه: ١٦٦، ٣٠٥.

ضمن اطار الخطبة او لتدعيم رأيه واسناده فمن جملة ما اورده من اقوالهم وآرائهم التي فندها في خبر وجه تسمية الرياح وحدوثها، فقال الشارح: ((وقد ظهر من هذا الخبر وجه تسمية الرياح، وَضَعْفُ مَا زَعَمْتُهُ الفلاسفة سبباً هُبُوبِ الرِّيحِ؛ مِنْ حَرَكَةِ الْأَجْسَامِ وَالسُّحُبِ، وَالْأُبْحَرَةِ النَّازِلَةِ لثِقَلِهَا بِالْبَرْدِ بَعْدَ صُعودِهَا بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ ونحوها، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، مع أَنَّ الْعَقْلَ أَيْضاً يَسْتَبْعِدُهُ جَدًّا؛ لِحُدُوثِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ بَغْتَةً عِنْدَ سُكُونِ الْأَجْسَامِ، وَاسْتِرَاحَتِهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَعَدَمِهَا عِنْدَ تَحَرُّكِهَا واضطرابها، واختلاف هبوبها باختلاف الفصول، مع وجودها عِنْدَ عَدَمِ السَّحَابِ وسكونه، وَعَدَمِهَا عِنْدَ وُجُودِهِ وَتَحَرُّكِهِ، بِالْجُمْلَةِ: فَلَا أَمْرُ فِي ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى ذَوِي الْأَبَابِ))^(١)، وكذلك في شرحه قوله عليه السلام: «لَا مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ»^(٢) في نفي الحدوث الذاتي عن الذات المقدسة، فقال: ((وفي الثانية: نفي الحدوث الذاتي، ولا يخفى: إِنَّ إِطْلَاقَ الْعَدَمِ، وَالْحُدُوثِ، وَأَمْثَلَهُمَا عَلَى الذَّاتِ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي كَلَامِهِمْ سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا فِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ مُصْطَلِحَاتِ الْفَلَسَفَةِ، وَمَنْ يَحْذُوهُمْ، وَلَيْسَ شَائِعاً فِي عُرْفِ الْعَرَبِ، وَالْمُقَارَنَةُ الْمُنْفِيَّةُ فِي كَلَامِهِ عليه السلام هِيَ الْمُصَاحَبَةُ الزَّمَانِيَّةُ، أَوِ الْمَكَانِيَّةُ، أَوِ الْمُصَاحَبَةُ الْحَالِّ وَالْمَحَلِّ، أَوِ الْأَعْمُ))^(٣)، وكذلك في اثبات ان السماء مكونة من سبع سماوات كما بينها الامام عليه السلام:

(١) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٨٨.

﴿فَسَوَّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١)، فقال: ((واعلم أنَّ الَّذِي تدلُّ عليه الآيات والأخبار في عددِ السَّمَاوَاتِ: أنَّها سَبْعٌ، وأمَّا التَّسْعُ التي تزعمه الفلاسفة فمِمَّا لم يظهر مِنَ الآياتِ والأخبارِ، بل الظَّاهِرُ الاقتصارُ على السَّبْعِ نفيها))^(٢)

وتارة اخرى يذكر آراءهم لكي يسند بها رأيه ومثال ذلك في حديثه عن نفي الصفات الزائدة عن الله عز وجل، فقال: ((واعلم أنَّه قد اتفق الجمهور - عدا الكرامية - على أنَّه سبحانه لا يُوصَفُ بالحوادث، واختلفوا في الصِّفَاتِ القديمة، فذهبت الإمامية، والمعتزلة إِلَّا مَنْ شَدَّ مِنْهُمْ، وجمهور الفلاسفة، الى نفي الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ القديمة مُطلقاً))^(٣).

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٢٤ ق ١.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٧.

المبحث الثالث

العلوم الاخرى

ما زال نهج البلاغة مفخرةً من المفاخر التي قدمتها الحضارة الاسلامية للبشرية جمعاء، فبفضل ما يختزنه هذا الكتاب من المعاني صار بعد كتاب الله عز وجل، وكلام رسوله ﷺ قِمة الذخائر البيانية التي تمدُّ الفكر الإنساني بأضخم الطاقات الفكرية، والعلمية، مما يدل على ان ما تناوله الامام على عليه السلام في خطبه، وتوجيهاته هو العلم الالهي، عرض فيه الكثير من آلاء الله تعالى، وبين المزيد من أوجه قدرته، فكان الإمام عليه السلام من جملة ما اورده في نهج البلاغة يمثل لنا مقاطع، وصوراً حية متنوعة عن خلق الانسان، والملائكة، والحيوان، الى خلق السموات، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، الى خلق الارض، والجبال، والسحب، والامطار، وفي حديث الامام عليه السلام عن نظرية نشوء الكون، قال: ﴿لَا تَمَّ أَنْشَأُ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءُ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءُ، وَسَكَئِكَ الْهَوَاءُ﴾^(١) فقد شرحها السيد علاء الدين كلستانه على عدة وجوه:

أولاً: تقدُّمُ خَلْقِ الهَوَاءِ على الماء، كما ذكره علي بن إبراهيم في التفسير، والظاهر: أَنَّهُ مضمَّنُ الخبر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٢)، قال: ((وَذَلِكَ فِي مَبْدَأِ الْخَلْقِ، أَنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْهَوَاءَ، ثُمَّ خَلَقَ

(١) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٢) هود: ٧.

الْقَلَمَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْرِيَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ بِمَا أَجْرِي؟ فَقَالَ: بِمَا هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ خَلَقَ الظُّلْمَةَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ الْمَاءَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ الْعَرْشَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ الْعَقِيمَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَهُوَ الرِّيحُ الشَّدِيدُ، وَخَلَقَ النَّارَ مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مِنْ هَذِهِ السَّتَةِ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الْهَوَاءِ))^(١).

ثانياً: تقدم خلق الماء فقال الشارح: ((بأن يُقال: والله يُعلم المراد بأوليته الماء المتقدم الإضافي بالنسبة إلى الأجسام المحسوسة التي يُدرِكُها أكثر الناس، فإنَّ الهواء ليس منها))^(٢).

ثالثاً: تقدم خلق القلم فقال الشارح: ((وقد روى عليُّ بن إبراهيم في التفسير عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَكُتِبَ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...))^(٣).

رابعاً: تقدم خلق النور فقال الشارح: ((وروى الصَّدوق عليه السلام في كتاب عُيُون الْأَخْبَارِ: بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ فِي الْجَامِعِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ؟ فَقَالَ: سَلْ تَفْقَهَا، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتُثَا، فَأَحَدَقَ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَلَقَ النُّورَ...))^(٤).

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٨٨ ق ١.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٨٩ ق ١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٠.

خامساً: تقدم خلق الروح قال الشارح: ((وفي بعضها: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحِي...))^(١).

سادساً: تقدم خلق العقل قال الشارح: ((وأما ما اشتهر بين المتفلسفة في هذا الزمان من ورود الخبر، عن النبي ﷺ بأن: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلُ، فقليل في الأخبار، مع أن تأييده لمعتقدهم...))^(٢).

وبعدها قال: ((وأعلم: إن كلامه عليه السلام في هذه الخطبة لا يدل صريحاً على أن الصادر الأول ماذا، وأيضاً لا يدل على تقدم خلق الماء على الهواء، بل الظاهر هو العكس بأي معنى يُرادُ بالهواء، إلا أن يكون بعداً موهوماً، وقوله عليه السلام: ﴿وَشَقُّ الْأَرْجَاءِ﴾ كالتفسير لفتق الأجواء، أو المراد بالأرجاء: الأمكنة، والفضاء، وبالأجواء: عنصر الهواء، وقوله عليه السلام: ﴿وَسَكَايَاكَ الْهَوَاءِ﴾ بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على: ﴿وَفَتَقَ الْأَجْوَاءِ﴾، أي: أنشأ سبحانه سكائك الهواء، والأظهر أن يكون بالكسر، معطوفاً على الأجواء، أي: أنشأ سبحانه فتق سكايك الهَوَاءِ))^(٣).

(١) المصدر نفسه: ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٢.

(٣) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٩٧ أق ١.

الفصل الخامس

شواهد

المبحث الأول الامثال

كلمة مثل في اللغة لا تخرج في - اغلب - معاجم اللغة عن معنى المماثلة والمشابهة قدرأً وصفة^(١).

أما المثل في الاصطلاح يقول ابن المقفع: (إذا جعلَ الكلامُ مثلاً كان أوضح للمنطق وأنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث)^(٢). أي: إن وضوح الكلام وأناقته في الذهن يكمن من خلال الأمثال فيه، وعند ابن السكيت: (لفظٌ يخالفُ لفظَ المضروبِ ويوافقُ معناهُ معنى ذلك اللفظ)^(٣)، وعليه فالأمثال تعدُّ خزيناً لتجارب أبناء المجتمع عامتهم وخاصتهم، لأنها زمام كل معنى، ومناط كل مبنى، ومنار كل مرمى أو مصباح كل ظلمة أو بها يرتاض كل جموح، ويصبحُ ذا وضوح أو بها يعود الغائب مشهوداً بل المعدوم موجوداً^(٤).

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي الخزومي وآخرون، مادة (مثل) أجمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، الأمثال، أبو عبيد البغدادى، تح: د. عبد المجيد قطامش: ١/ ٤٧٩ أساس البلاغة، الزمخشري: ٥٨١، لسان العرب، ابن منظور، مادة (مثل)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (مثل).

(٢) مجمع الأمثال: ١/ ٦.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٦.

(٤) ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، تح: د. محمد حجي

وقد اولى الدارسون عنايتهم بهذا الفن حتى ان كثيراً من المصنفات الادبية التي ظهرت في ذلك الزمن استوفت جميع الامثال التي ضربت، ومنها: جهرة الامثال للعسكري، ومجمع الامثال للميداني. وهناك كتب عن الامثال صنفها ابن سلام، والاصمعي... وغيرهما من العلماء.

وقد كان المثل مدار استشهاد اللغويين، والنحويين، والسيد علاء الدين گلستانه أحد الذين استشهدوا بهذا الفن، ومثال ذلك: عندما أراد المصنف ان يبين معنى "الدين" في قول الامام (عليه السلام): ﴿أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ﴾^(١)، فقال: ((الدِّينُ: بالكسر الإسلام، والطَّاعَة، ودَانَ لَهُ، أي: أَطَاعَهُ...، ومنه الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَيَدِينُ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ)، أي: يَقْتَصُّ لِمَا لَا قَرْنَ لَهَا، ومنه يُقَالُ: (كَمَا تَدِينُ تُدَانُ))^(٢)، فكانت مناسبة هذا المثل قد سأل الامام الصادق (عليه السلام) عن معناه فقال: (كانت امرأة على عهد داود (عليه السلام) يأتيها رجل يستكرهها على نفسها فألقى الله عزَّ وجلَّ في قلبها، فقالت له: إنك لا تأتيني مرة إلا وعند أهلك من يأتيهم، قال: فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً فأتى به داود (عليه السلام)، فقال: يا نبي الله اتى إلى ما لم يؤت إلى أحد، قال: وما ذاك؟ قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي، فأوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) قل له: "كما تدين تدان"^(٣) ومن هنا نعلم ان هذا المثل هو سماوي من الله

واخرون: ١٣/١.

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٥٥ أ ق ١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٤/٢٢.

عز وجل بحسب المعطيات التي وردت بالرواية ^(١)، ويكون معناه كما تفعل يفعل بك ^(٢)، فقد ناسب المثل المقام الذي استشهد به لأنه قد سبق بحديث سلمان المحمدي عليه السلام، والاثنين يدلان على القصاص والجزاء. كذلك عندما فسر كلمة "متلاطماً"، في قول الامام عليه السلام: ﴿فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ﴾ ^(٣)، فقال: ((اللَّطْمُ: فِي الْأَصْلِ: الضَّرْبُ عَلَى الْوَجْهِ بِبَاطِنِ الرَّاحَةِ، فِي الْمَثَلِ: لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي، قَالَتْهُ امْرَأَةٌ لَطَمَتْهَا مَنْ لَيْسَتْ بِكَفِيٍّ لَهَا)) ^(٤)، ومناسبة المثل يقوله الكريم إذا ظلمه اللئيم، وأصله أن امرأة لطمت رجلاً، فنظر إليها، فإذا هي رثة الهيئة عاطل، فقال: لو ذات سوار لطمتني أي لو كانت ذات غنى، وهيئة لكانت بليتي أخف، ولكن ظلمني من هو دوني، ودنى ^(٥). فقد ناسب ورود المثل في تفسير معنى اللطم في قول الامام عليه السلام لأن المعنيين يدلان على الضرب وهو المعنى العام الذي اشتركا فيه.

اما في كلامه عن تنزيه آدم فقد استعرض كلام للمخطئة في زعمهم ان آدم عليه السلام غاوباً مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ^(٦)، فأخذ الشارح

(١) ينظر: الامثال في نهج البلاغة، محمد الغروي: ٦٣.

(٢) ينظر: جمهرة الأمثال: ١٦٨ / ٢ أجمع الامثال الميداني: ١٠٩ / ٢.

(٣) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٤) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٩٧ أ ق ١.

(٥) ينظر: مجمع الامثال: ١٧٤ / ٢، جمهرة الامثال: ١٩٣ / ٢ الأمثال، ابن سلام، تح: د.

عبد المجيد قطامش: ٢٦٨.

(٦) طه: ١٢١.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

يبين معنى "غوى" في الآية الكريمة لتنزيه آدم ﷺ فقال: ((... الغيُّ: الضَّلال، والحَيبة، وقال: خَابَ الرَّجُلُ يَخِيبُ، حَيْبَةً: إِذَا لَمْ يَنْلُ مَا طَلَبَ، وفي المثل: (الْهَيْبَةُ حَيْبَةٌ))^(١) ومناسبتة انه من تهيب أمرًا خاب من ادراكه، فقد ناسب المثل المقام الذي اوردته فيه المصنف عندما بين معنى الغي فكان من معانيها الحيبة، فقد اتفق معناها مع معنى المثل ضمن اطارها العام.

(١) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٢٢ أ ق ٢.

المبحث الثاني البلاغة

البلاغة باب من ابواب اللغة العربية التي يظهر من خلالها جمالية اللغة، وتجانس الفاظها، وتعريفها في وضع اللغة: (الوصول الى الشيء، والانتهاء إليه، والاسم منه بلاغة، وسمي الكلام بليغاً؛ لأنه قد بلغ به جميع المحاسن كلها في الفاظه، ومعانيه)^(١)، وهي مشكلة من ثلاثة علوم هي: المعاني، البيان، والبديع، ولكل علم منها مباحثه الخاصة به، ولعلماء البلاغة الفضل في مباحث هذه العلوم، وهدفها هو وصول الانسان بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل بالمعاني، وعن الإطالة المملة للخواطر.

فقد تجلت بعض مظاهرها في شرح السيد علاء الدين كلستانه فيما أورده من موضوعات بلاغية، ومنها (التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، والجناس...) فقد تطرق الشارح هذه الموضوعات البلاغية، وغيرها في مواضع مختلفة نورد منها على سبيل المثال قوله في المجاز: ((ولو كان المراد بالمهجة القلب، كان نسبة القطر إليها مجازاً))^(٢)، وفي موضع آخر قوله: ((وما ذكره بعض الشارحين، من أن قوله: يسوغ "لي" التمثيل مجازاً في الإسناد،

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: ٦٦.

(٢) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٠٧ أ ق ١.

فإنَّ السَّوْغَ حَقِيقَةً فِي الشَّرَابِ، فإِسْنَادُهُ إِلَى التَّمَثُّلِ مَجَازٌ^(١)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ((وَحِينَئِذٍ: فَالْمُرَادُ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ - : أَنَّهُ لَا يُعَدُّ نِعْمَاءَهُ، وَلَا يَقْدَرُ عَلَى إِحْصَائِهَا الْعَادُّونَ، أَيِ: الَّذِي شَأْنُهُمْ عَدُّ الْأَشْيَاءِ، وَاحْصَاؤُهَا، أَوْ الْمُرِيدُونَ لِعَدِّ نِعْمَائِهِ سُبْحَانَهُ، وَاحْصَائِهَا الْمُعْتَرِضُونَ لِهَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، أَوْ الْعَادُّونَ لَهَا فِي الْجُمْلَةِ مَجَازاً))^(٢)، وَقَوْلُهُ فِي التَّشْبِيهِ: ((وَالْتَّشْبِيهُ بِالْعَصْفِ بِالْفَضَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَصْفَ بِلَا مَانِعٍ يَكُونُ أَشَدَّ))^(٣)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ((وَالْمُرَادُ تَشْبِيهِ السَّمَاءِ مَمْلُوءَةً بِأَصْوَاتِ الْمَلَائِكَةِ بِالتَّسْيِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ بِصَوْتِ الْقَتَبِ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ مِنْ ثِقَلِ الْحَمْلِ، وَتَشْبِيهِ أَصْوَاتِهَا بِالأَصْوَاتِ الْمَذْكُورَةِ))^(٤)، وَأَيْضًا فِي الْكِنَايَةِ قَوْلُهُ: ((وَجِبَالُ الدِّينِ: كِنَايَةٌ عَمَّا يَسْتَقَرُّ بِهِ الدِّينُ، وَيَحْفَظُهُ عَنِ الْمِيدَانِ بِأَهْلِهِ، وَالتَّزَلُّزِ، وَالِاضْطِرَابِ، كَمَا تَسْتَقَرُّ الْأَرْضُ بِالْجِبَالِ، أَوْ عَمَّا يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ فِي طَرِيقِ الدِّينِ))^(٥).

أَمَّا الِاسْتِعَارَةُ فَيَبْدُو أَنَّ الْمَصْنِفَ جَعَلَهَا مُرَادِفَةً مَعَ التَّشْبِيهِ، أَيِ إِنْ مَفْهُومُ الِاسْتِعَارَةِ عَنْهُ مُخْتَلَفٌ فَمَا أَوْرَدَهُ مِنْ امْتِلَافٍ أَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْتِعَارَةً هِيَ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ((ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ هُمْ السَّبَبُ فِي انْتِظَامِ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَعَدَمِ اضْطِرَابِ أَحْوَالِ أَهْلِهَا، كَانُوا كَالْأَوْتَادِ لِلْأَرْضِ،

(١) المصدر نفسه: ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٠.

(٤) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٥٧ ق ١.

(٥) المصدر نفسه: ٤٨٠.

فلا جَرَمَ صَحَّتْ استعارة لفظِ الصُّخُورِ لهم، ولذلك يَحْسُنُ في العُرفِ أن يُقال: فلانٌ جبَلٌ منيعٌ، يأوي إليه كُلُّ ملهوفٍ، إذا كان يَرَجِعُ إليه في المُهمَّاتِ، والحوائج، والعلماءُ أوتادُ الله في الأرض))^(١)، ويبدو ان المصنف يقصد بدلالة الاشياء للآخر بمعنى ان هذا الشيء يشبه الآخر به، نعم ان اصل الاستعارة قائمة على التشبيه لكن ليست على اطرافه، فشرطها ان يحذف احد اركان التشبه حتى تتحقق الاستعارة، وهو في أمثله جعلها تشبيها، ولا يوجد استعارة، وانما فهمها استعارة، ولم يكتفِ فقط بذكر مصطلحات البلاغة، وانما جاءت له أمثلة فيها اشارة الى مصطلحات البلاغة فمثال ذلك: وردت الكناية في مقدمته عندما قال: ((إِنِّي مُذْ عَرَفْتُ الْيَمِينَ مِنَ الشَّامِ))^(٢)، حيث جاءت فيها كناية عن بلوغ الرشد، وايضا الاستعارة في مقدمته فقال: ((لا تَمَسَّهَا أَيْدِي الْبَصَائِرِ))^(٣) حيث استعار الايدي للأبصار، وغيرها من الفنون البلاغية التي استعملها؛ لأنها تمنح الكلام قوةً، وتكسوه حسناً، ورونقاً، كما انه ليس غريباً أن يغني الشارح بالمباحث البلاغية، فالنص الأصل هو نهج البلاغة تفيض منه العبارات الجميلة، والالفاظ الرشيقة، والمعاني المكتنزة.

(١) المصدر نفسه: ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ١١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١١٨.

المبحث الثالث

الشعر

يعد الشعر مصدراً من مصادر الادب العربي، الموثوق به قديماً، وحديثاً، لم يخلُ كتابٌ من الاحتجاج به، بل ان المؤلفين صبوا جُلَّ اهتمامهم به بعد القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، حيث كان ابن عباس أول من تكلم في القرآن من خلال اللغة، فكان يفسر آي القرآن الكريم من خلال معرفته باللغة، والشعر، وكان يقول: (إذا سألتُموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب)^(١).

وذهب احمد بن فارس الى قوله: (والشعر ديوان العرب، وبه حُفِظَت الانساب، وعُرِفَت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما اشكل من غريب كتاب الله جلَّ ثناؤه، وغريب حديث رسول الله ﷺ، وحديث صحابته، والتابعين... الى ان يقول: والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدُّون المقصور، ويقدِّمون ويؤخرون، ويؤمنون ويشيرون، ويختلسون، ويُعيرون، ويستعيرون)^(٢).

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تح: محمد حسين شمس الدين: ١/ ١٢٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/ ٢٤، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي تح: سعيد المندوب: ١/ ٣٤٧، السيرة الحلبية، الحلبي: ٢/ ٢٦٠.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس:

والسيد علاء الدين گلستانه شأنه شأن سابقيه فلم يشذ عن هذه القاعدة، بل إنه استشهد به الى جانب القرآن الكريم، واحاديث الرسول ﷺ، وكان للشعر عنده، أبيات وانصاف أبيات حضوراً فجاءت استشهاده، إما لإسناد الرأي في مسألة ما، او لتوضيح قاعدة، وكانت شواهد الشعر مقصورة على الشعر العربي القديم وكالآتي:

١. الشعر الجاهلي:

أحتج بيت شعري لعَمْرُو بن حَرَمَلَة في حديثه عن تنزيه آدم عليه السلام، وبيان لفظة "غوى" انها بمعنى خاب، ((قال الشاعر: [من الطويل]

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لَائِمًا

وكذلك استشهد ببيت عامر بن الطفيل عندما بين معنى "الوعد" فقال: (والوعد: يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ، وَالشَّرِّ، وَوَعْدُ شَرًّا، فَإِذَا أَسْقَطُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، قَالُوا فِي الْخَيْرِ الْوَعْدَ وَالْعِدَّةَ، وَفِي الشَّرِّ الْإِيْعَادَ وَالْوَعِيدَ.

[قال الشاعر:] [من الطويل]

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمْخِلْفُ إِيْعَادِي وَمُنْجَزُ مَوْعِدِي^(١)

٢. الشعر الاسلامي:

تمثل بشعر أبي طالب عندما شرح جزءاً من مقدمة الشريف الرضي فقال: ((وَعِصَمِ الْأُمَمِ: الْعِصْمَةُ مَا يَعِصُمُكَ مِنَ الْمَهَالِكِ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَالِبٍ فِي

(١) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٤٠ أ ق ٢.

مدح النَّبِيِّ ﷺ :

[من الطويل]

ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

أي: يمنعهم من الضياع والحاجة^(١).

وكذلك عندما شرح معنى "كفاء" في مقدمة الشريف الرضي احتج بشرط بيت لحسان بن ثابت في تعزيز رأيه فقال: ((وَكِفَاءٌ لَطِيبٌ فَرَعِهِمْ، وَأَصْلُهُمُ الْكِفَاءُ بِالْكَسْرِ: الْمَثَلُ وَالنَّظِيرُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ، وَفِي شِعْرِ حَسَّانَ:

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ))^(٢)

وأيضا استشهد بقول حسان في كلامه عن سجود آدم ﷺ فقال: ((وَأُجِيبَ: عَنِ الْأَوَّلِ: بَأَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ صَلَّيْتُ إِلَى الْقِبْلَةِ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: صَلَّيْتُ لِلْقِبْلَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، وَالصَّلَاةُ لِلَّهِ لَا لِلذُّلُوكِ، وَقَوْلُ حَسَّانَ بَنِ ثَابِتَ:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي حَسَنِ
أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِكُمْ وَأَعْرِفُ النَّاسَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ^(٣)

واستشهد بشعر زيد الخيل الطائي في حديثه عن معنى السجود في اللغة فقال: ((أَنَّ السُّجُودَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ هُوَ: (الانقياد والخضوع).

(١) المصدر نفسه: ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٣.

(٣) حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٣٣ - ٣٤ ق ٢.

قال الشاعر:

[من الطويل]

تَرَى الْأَكْمَ فِيهَا سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(١)

٣. الشعر الأموي:

فقد استشهد بشعر ابي فراس الفرزدق في باب الافتخار بالإمام عليه السلام عندما شرح جزءاً من مقدمة الشريف الرضي، فقال: ((أَنْ يَسُوغَ لِي التَّمَثُّلُ فِي الْإِفْتِخَارِ عليه السلام بِهِ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ: [من الطويل]

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ^(٢))

وكذلك استشهد بقول ذي الرمة: [من الطويل]

أَنَاسِيٌّ مَلْحُودٌ لَهَا فِي الْحَوَاجِبِ

وذلك عندما بين معنى اناسي من معجم العين، فقال: ((وقال في العين: سُمِّيَ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّسِيَانِ، وَالْإِنْسَانُ فِي الْأَصْلِ: إِنْسِيَانٌ؛ لِأَنَّ جَمَاعَتَهُ: أَنَاسِيٌّ، وَتَصْغِيرُهُ أُنَيْسِيَانٌ، يَرْجِعُ الْمَدَّةُ الَّتِي حُذِفَتْ، وَهُوَ الْيَاءُ، وَكَذَلِكَ إِنْسَانُ الْعَيْنِ، جَمْعُهُ: أَنَاسِيٌّ^(٣)))

٤. الشعر العباسي:

كذلك استشهد الشارح بشعر ابي نؤاس عندما بين معاني "ثم" الواردة

(١) المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٨.

في قول الإمام (عليه السلام): ﴿لَمْ أَنْشَأْ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءِ...﴾^(١)، وقد ذكر ان من وجوها انها تفيد الانتقال من الإجمال الى التفصيل فاستشهد ببيت ابي نؤاس ليعزز قوله، فقال: ((كما في قوله:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

فقدّم سيادته لكونها أخص بالممدوح، ثُمَّ سيادة الأب أخص من سيادة (الجد))^(٢)

الشعر المجهول النسب

على الرغم من أن المصنف لم يشر في الايات السابقة الى اسماء الشعراء الا في مواضع قليلة، لكننا استطعنا إرجاع نسب كل بيت الى قائله، لكنه في موضع أورد ابياتاً لشعراء مجهولين ومنها في موضع شرح فيه معنى الظلم في الآية الكريمة: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾^(٣) لغويًا في كلامه عن تنزهة آدم (عليه السلام) فأورده على سبيل الاستشهاد وتبيان المعنى فقال:

((قال الشاعر:

[من الطويل]

تَظَلَّمَنِي حَقِّي كَذَا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ
أي: تنقّصني، وتظلمني وظلمني بمعنى))^(٤).

(١) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ٢٨٦ أ ق ١.

(٣) الأعراف: ٣٣.

(٤) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٣٠ أ ق ٢.

ثبت عنوان الكتاب (حَدَائِقُ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ)

اتفق مترجمو السيد علاء الدين كلستانه على تسميته بكتاب (حَدَائِقُ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ)^(١)، كذلك إنه قد ذكر اسم الكتاب في مقدمته التي قال فيها: ((وَسَمَّيْتُ كِتَابِي هَذَا: "بِحَدَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ"، وَالْمَأْمُولُ مِنَ النَّاطِرِينَ أَنْ لَا يَعْدِلُوا عَنْ مَنْهَجِ الْعَدْلِ، وَسَنَنِ الْإِنْصَافِ، وَلَا يَنْظُرُوا إِلَيْهِ شِزْراً بَعَيْنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْتِسَافِ))^(٢) وكذلك ذكره في نهاية الجزء الاول فقال: ((تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ حَدَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ))^(٣)، ويبدو أنَّ ذهاب المصنف الى تسمية كتابه بـ (حَدَائِقُ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ) مادته هو نهج البلاغة، كأنما اعطى مناسبة العنوان مع المادة التي شرع بشرحها، وعلى ما يبدو ان السيد علاء الدين كلستان كان ذكياً قاصداً في تسميته بـ "كلمات كلام الله الناطق" لأن فيه اشارة الى قول الإمام علي عليه السلام: ﴿أَنَا كَلَامُ اللَّهِ النَّاطِقِ﴾^(٤).

(١) ينظر: جامع الرواة: ١/ ٥٤٤، معجم رجال الحديث: ١٢/ ١٩٧، كتابنامهء نهج البلاغة: ٢٣، كشف الحجب والأستار: ١٩٣، و٣٥٩، الغدير: ٤/ ١٩٠، الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦١، و٦/ ٢٨٤، و١٣/ ٢١٤، خاتمة المستدرک: ٣/ ٢٠٨، دراسة حول نهج البلاغة: ١٦٠، مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٢٥٥، تلامذة العلامة المجلسي: ٥٧، تشييد المطاعن لكشف الضغائن: ٤٣٩.

(٢) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٨٧ أ ق ١.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٦.

(٤) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشي:

توثيق نسبته للسيد علاء الدين كلستانه

عند وقوفي على مخطوطات الكتاب، وما كتب حولها، لم أجد من ينفي نسبته الى المصنف، بالعكس، تشير جميعها الى أنَّ المؤلف للسيد علاء الدين كلستانه ولزيادة للتوثيق أورد ما ظفرت به لذلك منها:

١. ذكر اسمه في مقدمة الكتاب إذ قال: ((أما بعد فيقول اللائدُ بصفح ربِّه سُبْحانه علاء الدين محمد بن أبي تراب كلستانه))^(١)، وكذلك ذكر اسمه في خاتمة الجزء الاول فقال: ((على يد مؤلفه الفقير، المحتاج إلى رحمة ربِّه، علاء الدين محمد بن أبي تراب كلستانه، عفى الله عنهما، وتجاوزَ عن زلَّاتهما، بمحمدٍ، وعلى آلهما الأطيبين، صَلَّواتُ الله عليهم أجمعين، سنة أربع، وسبعين بعد الألف من الهجرة المقدَّسة))^(٢).

٢. ان المؤرخين الذين ترجموا للسيد علاء الدين كلستانه، ذكروا هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه من بين مصنفاته بل هو الأشهر من بين مؤلفاته^(٣).
إذن من خلال ما ذكرناه نطمئن من صحة نسبة الكتاب الى مصنفه.

٣/ ١٣٧، الوافي، الفيض الكاشاني، تح: ضياء الدين الحسيني: ٢/ ٢٧٢، بحار الانوار: ٣٠/ ٥٤٦.

(١) حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق: ١٧٥ أ ق ١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠٦.

(٣) ينظر: الكنى والألقاب: ٢/ ٤٧٧، اعيان الشيعة: ٩/ ٦١، كشف الحجب والأستار:

١٩٣، و٣٥٩، اعيان الشيعة: ٩/ ٦١، معجم المؤلفين: ٩/ ١٢٥، معجم رجال

الحديث: ١٢/ ١٩٧، خاتمة المستدرک: ٣/ ٢٠٨.

نهج البلاغة

يُعدُّ نهج البلاغة من أهم كتب التراث الإسلامي وأبرزها، خصوصاً عند الشيعة؛ جمعه الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسين الهاشمي العلوي (٣٥٩-٤٠٦ هـ)، اختاره، وانتخبه من كلام أمير المؤمنين^(١) عليه السلام يضم الكتاب (٢٤٠) خطبة، وكلاماً، و(٧٨) بين كتاب، ووصية، وعهد، و(٤٩٨) كلمة من يواقيت الحكمة، وجوامع الكلمة^(٢).

فهو كتاب جامع للمعارف الالهية، والأسرار النبوية، والأحكام الاسلامية، والقواعد السياسية يستفيد منه الحكيم الالهي، والفقيه الرباني، والواعظ الصمداني، والمصلح السياسي، وفيه آداب الحرب، وتنظيم العساكر، والجيوش كذلك المواعظ الشافية للمتعبين، وآداب للعارفين، وترغيب للعابدين، وتحذير للمنافقين، وتخويف للأمرء، والسلاطين، وإرشادهم لما يبسط العدل للمسلمين، فمن نظر في نهج البلاغة، وتعمق في خطبه، ورسائله يرى نفسه مع خطيب، وأمير الهي تارة يتكلم في التوحيد، ويبحث عن اسرار الكائنات ويكشف عن غوامض المسائل ويشرح مكنون العلم، وتارة يتكلم عن النبوة، وصفات الانبياء عليهم السلام، والأولياء، وأخرى يتكلم

(١) قال الدكتور زكي مبارك: (أمير المؤمنين هو اللقب الاصطلاحي لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فإن رأى القارئ هذا اللقب في كتاب قديم من غير نص على اسم فليعرف أن المراد هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وإذا رأيت من الأسماء اسم عبد الأمير فاعرف أن المراد عبد علي بن أبي طالب عليه السلام)، عبقرية الشريف الرضي: ٢١٢.

(٢) ينظر: من بلاغة الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، عادل حسن الأسدي: ٣١.

عن العبّاد، والزهاد، وصفات المتقين، وآونة عن فنون الحرب، والجهاد مع الاعداء في الغزوات، ومقارعة الابطال، ومصارعة الشجعان، وحيناً يعظ الناس، ويحذرهم من الدنيا، وزيتها، ويرغبهم بالآخرة، ونعيمها^(١). اما ما تمثلت به شروح نهج البلاغة فقد شكلت حركة فكرية كبيرة مادتها نص نهج البلاغة محاولة فيها إبراز ما في مكنونه من عقائد وتاريخ وعلوم العربية المتنوعة وسنتطرق هاهنا الى اهم الشروح التي عنت بهذا النص المبارك وهي:

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

للفقيه المحدث الأديب المفسر قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ويقع في ثلاثة اجزاء تاريخ تأليفه ٥٥٦ هـ. قد شرح جميع خطب الإمام عليه السلام^(٢)، قال في مقدمته: (كنت قديماً شرحت الخطبة الأولى من نهج البلاغة بالأطناب، وكشفت بيان جميع ما فيها من أنواع العلوم التي أوما إليها بالإسهاب، وهو كلام عند أهل الفطنة، والنظر دون كلام الله، ورسوله، وفوق كلام البشر، واضحة مناره مشرقة آثاره، ولا يستبعد في هذا الدهر أن يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس أما من ألفاظه الغرائب، أو معانيه العجائب، فعزمت على شرح جميع الكتاب مستعيناً بالله على وجه الصواب، وان استخرج مكنونه، واستكشف مخزونه، ومصونه، ليتففع به

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، لشارح محقق من اعلام القرن الثامن، تح: الشيخ عزيز الله العطاردي: ٥-٦.

(٢) ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١٤ / ١٢٦، ٢١ / ١٧٨، ٢٣ / ١٥٧.

المسلمون، ويستفيد منه الناظرون)^(١). وبهذا يكون قد شرح جميع خطب نهج البلاغة وقد غلب عليه الطابع الأدبي العقائدي فقهي كما بين ذلك ابن أبي الحديد في مقدمته^(٢).

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

للفاضل الأديب المؤرخ الحكيم عز الدين عبد الحميد بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني^(٣)، يقع في عشرين جزءاً، وقد شرح جميع خطب نهج البلاغة وذكر في مقدمته: (وشرع فيه بادي الرأي شروع مختصر، وعلى ذكر الغريب والمعنى مقتصر، ثم تعقب الفكر فرأى أن هذه النغمة لا تشفى أواماً، ولا تزيد الحائم الاحياماً، فتنبك ذلك المسلك، ورفض ذلك المنهج، وبسط القول في شرحه بسطاً اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان، وما عساه يشتهه ويشكل من الاعراب والتصريف، وأورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر والأشباه، نثراً ونظماً، وذكر ما يتضمنه من السير والوقائع والاحداث فصلاً فصلاً، وأشار إلى ما ينطوي عليه من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة خفيفة، ولوح إلى ما يستدعي الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت تلويحات لطيفة، ورصعه من المواعظ الزهدية، والزواج الدينية، والحكم النفسية، والآداب الخلقية، المناسبة لفقره، والمشاكله لدرره، والمنظمة مع معانيه في سمط، والمتسقة مع جواهره في لط،

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤ / ١.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ١.

(٣) ينظر: الكنى والالقب: ١٩٣ / ١.

بما يهزأ بشنوف النصار، ويخجل قطع الروض غب القطار، وأوضح ما يومئ إليه من المسائل الفقهية، وبرهن على أن كثيراً من فصوله داخل في باب المعجزات المحمدية، لاشتغالها على الاخبار الغيبية، وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية. وبين من مقامات العارفين، التي يرمز إليها في كلامه ما لا يعقله إلا العالمون... فخرج هذا الكتاب كتاباً كاملاً في فنه...^(١) فهو بحق كتاب موسوعي ضم اللغة، والأدب، والتاريخ، والكلام، وغيرها من نواذر المعرفة المتنوعة^(٢).

شرح نهج البلاغة

للفيلسوف المحقق والمتكلم البارع والفقيه المحدث العالم الرباني كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني سنة ٦٧٩ هـ، وهو شرح كبير يقع في خمسة اجزاء^(٣) تميّز الشرح بكونه قد ملئ بالملاحظات البلاغية وكونه الشرح الوحيد الذي قدّم فيه مؤلفه مقدمة بلاغية تجاوزت ستين صفحة وقد عرض من خلالها معظم المباحث البلاغية حتى انه يكاد يكون شرحاً بلاغياً لولا لغة الشارح القريبة من المنطق والجدل والكلام، أي انه قد غلب عليه الطابع الكلامي الفلسفي على الرغم من أن فيه طابعاً بلاغياً واضحاً وجلياً

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٤-٥.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية، د. جواد كاظم منشد النصر الله: ١١.

(٣) ينظر: شروح نهج البلاغة: ٨٦.

في طرحه^(١)، ولا عجب فأن الشارح معدود في الفلاسفة والحكماء، والعلماء والفقهاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(٢).

دواعي تأليف الشرح

وهكذا فقد توفرت في نهج البلاغة كل عوامل التعبير الفني الراقي والتصوير البلاغي المقتدر، والاحاطة بأسرار البيان حتى انه قد وصفه كبار الشراح - كما اسلفنا - بأنه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق^(٣). وقد ذكر الاميني انه كان يهتم بحفظه حملة العلم، والحديث في العصور المتقدمة حتى اليوم ويتبركون بذلك كحفظه القرآن الشريف^(٤)، كل هذه المعطيات كانت كفيلة بأن تشد من ازر السيد علاء الدين گلستانه وتدفعه الى الخوض في غماره واستخراج مكنوناته والكشف عن مخزونه العميق حتى انه قد ذكر في مقدمة شرحه الدافع الذي حدا به لشرح خطب نهج البلاغة فمما جاء فيه: ((وكنْتُ قد عَلَّقْتُ عَلَيْهِ في سَالِفِ الزَّمانِ ما يَدُلُّ شَيْئاً مِنْ صَعَابِهِ لِلنَّاظِرِينَ. وَأَضْأْتُ بِمَصَابِيحِ الايضاحِ، بُنْداً مِنْ مُعْضَلاتِهِ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ. وَكانَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْنَعُ بِهِ، مَنْ قَصُرَتْ بِهِ الهِمَّةُ عَنْ تَوَقُّلِ شَوامِخِ المعالي. وَيَتْتَهَجُّ بِهِ مَنْ عَجَزَتْ طَوِيَّتُهُ عَنْ اقْتِحامِ اللَّجَجِ لِاقْتِناءِ فرائِدِ اللَّألى، ثُمَّ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد رؤية اعتزالية: ٧.

(٢) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١/ ٢٤٢.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٤، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١/ ٢٤.

(٤) ينظر: الغدير: ٤/ ١٨٦.

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ شَوَاهِقَ حَقَائِقِهِ لَا تَكَادُ تَصْعَدُهَا خُيُولُ الْحَوَاشِي، وَأَنَّ رِيَاضَ دَقَائِقِهِ لَيْسَتْ مَرْتَعاً لِمِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاشِي. أَرَدْتُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ عَذَارِي حِجَالِهِ الْمَسْتُورَةِ فِي خُدُورِهَا جَلَابِيبَ الْخَفَاءِ. وَأَدُلُّ عَلَى مَعَادِنِ اللَّجَيْنِ، وَمَنَابِعِ الْعُقَيَانِ مَنْ رَكِبَ مَتْنِ هَذَا الْمَهْمَةِ الْيَهْمَاءِ، لَكِنْ عَاقَنِي عَنْ ذَلِكَ عِلْمِي بِأَنَّ الْقَاعَ السَّمْلَقَ "لَا يُمَسَّحُ" بِالذَّرَاعِ. وَلَا تُنَجِّي السَّابِحُ فِي الْقَمَقَامِ الزَّائِرِ سَعَةَ الْبَاعِ، فَمَا زِلْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُثَبِّطُنِي عَنْهُ، وَأَشْوَاقٍ تُنَشِّطُنِي إِلَيْهِ، حَتَّى هَدَانِي دَاعِي التَّأْيِيدِ، "وَحَدَانِي" سَائِقُ التَّوْفِيقِ بِأَنَّ فَضَلَ اللَّهِ الْعَظِيمَ لَا يَتَعَاطَمُهُ خَطَرُ الْمَسَائِلِ. وَالتَّعَلَّقَ بِذَيْلِ الْعِترَةِ الطَّاهِرَةِ أَنْجَحَ الْوَسَائِلِ، فَشَطَطْتُ عَنْ عِقَالِ الْإِحْجَامِ، وَقُمْتُ عَلَى سَاقِ الْإِقْدَامِ مُسْتَعِيناً بِفَضْلِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَشَرَعْتُ فِي شَرْحِهِ بِتَفْصِيلِ الْمَقَالِ، مُبَيِّناً فِي مُهِمَّاتِ مَطَالِبَةِ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ، وَمَا اكْتَرَثَتْ بِطُولِ الْكَلَامِ إِذَا دَعِيَ إِلَيْهِ الْمَقَامُ، وَلَا احْتَرَسْتُ عَنِ الْإِطْنَابِ إِذَا مَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ لِحَقِّ الشُّكُوكِ، وَالْأَوْهَامِ. فَإِنَّ الصُّبْحَ، لَا يَقْمَعُ الظُّلْمَ، إِلَّا بِاسْتِطَارَةِ الضِّيَاءِ. وَبِهِمَ اللَّيَالِي لَا تُدْبِرُ إِلَّا بِانْتِشَارِ أَسْنَةِ سَنَاءِ الْبَيْضَاءِ))^(١)

إذن من خلال ما ذكر يبدو أن السبب الذي دعا المصنف أنه كان على مذهب الامامية ينتصر لمصادر أهل البيت عليهم السلام، وأن قضية نهج البلاغة وشرحه كالسباح في بحر متلاطم الأمواج لا يتصدى لها إلا العالم العارف القادر المتمكن من أدواته حتى تمكنه من تفصيل المقال وسوقه الى الغرض الذي يهدف اليه كردّ الاوهام والشبهات عن الانبياء عليهم السلام وعن العترة الطاهرة عليهم السلام.

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

يقسم هذا الوصف على قسمين :

القسم الاول:

وصف عام لجميع النسخ المعتمد عليها في التحقيق مجمعة نوجزه في ما يأتي:

١. جاء فيها رسم ثلاثة: ثلثة ، بحذف الفها تقليداً لرسم المصحف ، وايضاً في تورية: توراة، عليه السلم: عليه السلام، صلوة: صلاة، حيوة: حياة، الحرث بن كعب: الحارث بن كعب.

٢. جاء بالحاشية تبيان بعض الكلمات الغامضة التي أوردتها المؤلف في مقدمته بعض الرموز هي حروف تدل على اسماء معاجم وتفسير قد اعتمدها في تبيان هذا المعنى مثال ذلك: الحرف (ص: الصحاح للجوهري، ق: القاموس المحيط للفيروز آبادي، كشا: الكشاف للزمخشري).

٣. ورد في النسخ الرمز: (جـل) يكون في الحاشية متبوعاً بالكلمة الصحيحة وفيها دلالة على وجود تصحيح ورد في كلمة، وتعرف الكلمة المراد تصحيحها بوجود الرمز (V) فوقها.

٤. ورد في النسخ الرمز (معا) يوضع فوق الكلمة بالتحديد فوق الحرف الذي فيه حركتان اشارة الى جواز القراءة بكلتا الحركتين.

٥. ورد في الحواشي النسخ عنوانات تبوب الشرح، وتجعله اكثر تنظيماً،

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

وتفصيلاً باللون الاحمر وبخط كبير تميزاً لها عن بقية التعليقات، وجعل كل عنوان بجانب السطر الذي يعنى به.

٦. ورد في النسخ انه قد يذكر الشارح بعض التوضيحات لحديث او لرواية فيكتب كلمة (توضيح، او تبيان باللون) الاحمر.

٧. ورد في النسخ أشكّل مقدمته ومقدمة الشريف الرضي اما في بقية الشرح اشكل كلام الامام (عليه السلام)، ووضع خط أحمر يدل على أنه من نصوص نهج البلاغة وأما بقية الشرح فإنه إشكل ما يشكل من كلماته.

٨. حرص الناسخ على تسلسل الأوراق بكتابة ما يسمى بـ (التعقّية) وهي أن يكتب في نهاية الورقة أول كلمة من الورقة التي تليها.

٩. كما ورد في النسخ انه يضع بعض الخطوط الحمراء القصيرة للدلالة على ابتداء او انتهاء الكلام.

القسم الثاني :

اعتمدت في تحقيق هذا الشرح على ما توافر لدي من نسخ وهي كالاتي :

- نسخة مكتبة امير المؤمنين (عليه السلام) العامة (أ):

وقد رمزت لها بالحرف (أ)، (التسلسل العام: ٥٨٥ - أدب، والتسلسل المخزني: ١١٣ / ١٠)، تقع في ١٤٤ ورقة وفي كل صفحة ٢٤ سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٨) كلمة، خطها نسخي واضح.

ختمت في اعلى وجه الورقة الأولى من جهة اليسار بختم مكتبة امير

المؤمنين ﷺ العامة وختم توقفي للمكتبة . وعليها تملك ل: عبد الرزاق الاصفهاني^(١). نسخها ابن ربيع الدين محمد نور الدين محمد في ١٠٨١هـ أي في حياة المؤلف رحمه الله. أما قياس المخطوط فهو ٢٦ × ١٦,٥ في الصفحة الاولى، كُتب في أعلى الصفحة :

بسم الله الرحمن الرحيم ثم بدأ بكتابة مقدمة الكتاب التي أولها .

((الحمد لله الذي رَفَعَ لَنَا أَعْلَامَ الْمَجْدِ، بِوِلَاءِ حَامِلِ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ، فَفَضَّلَنَا بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا... الخ)) ، وقد ختم نص الكتاب على ظهر الورقة ١٤٤ بقوله ((فَكَأَنَّ الرَّأْيَةَ تُجْعَلُ مِنْ تَحْتِهَا غَالِبًا عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَمَّا بِالْتَّخْفِيفِ، وَكَسْرِ الْمِيمِ، عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الآلَةِ، وَالتَّمِيمَةِ فِي رِوَايَةِ الْمُفَضَّلِ: عُوْذَةُ تُعَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ)) ، واختتم الكلام بهذه العبارة ((تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ حَدَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ، عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ الْفَقِيرِ، الْمُحْتَاجِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، علاء الدين محمد بن أبي تُرَابِ كُلْستَانِه، عفا الله عَنْهُمَا، وَتَجَاوَزَ عَنْ زَلَّاتِهِمَا، بِمُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِمَا الْأَطْيَبِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ))

(١) الشيخ الميرزا عبد الرزاق بن علي رضا بن عبد الحسين بن أبي طالب الواعظ الهمداني الأصفهاني الحائري عالمٌ ومحدثٌ شيعي إيراني، اشتهر بلقب الواعظ الهمداني، ولقبه الهمداني هو نسبة إلى مدينة همدان إذ استقر فيها، أمّا الأصفهاني فهو نسبة إلى أصفهان، وولد فيها سنة: ١٢٩١هـ، من مؤلفاته: الخلافة بين الشيعة وسائر الامامية، السؤال والجواب في مجلدين، رسائل في دراية الحديث، السيف القاطع في ابطال الركن الرابع، توفي سنة: ١٣٨٣هـ، ينظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ٢٣٩/٧، رسائل في دراية الحديث، إعداد أبو الفضل حافظيان البابلي: ٥١٣/٢.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

أجمعين، سنة أربع وسبعين بعد الألف من الهجرة المقدسة، ويتلوه الجزء الثاني في شرح الخطبة المشهورة بالشُّشُقِيَّة، ومن الله استمدُّ المعونة في الافتتاح، والاختتام، إنَّه وليُّ الفضلِ والإنعام)) فيكون تاريخ الفراغ من الجزء الاول من الكتاب سنة ١٠٧٤ هـ وذكر اسم الناسخ بقوله: ((قد تشرَّفْتُ بكتابته، ووُفِّقْتُ لإتمامه، في يوم السبت، السادس والعشرين من شهر الصَّيَّام، من شهور سنة إحدى وثمانين بعد ألف، وأنا المفتاق الى رحمة الله الملك الغني ابن رفيع الدين محمد نور الدين محمد، غفر الله لهما سواف الزَّلاَّت، ورزقهما من فضله العظيم عوالي الدَّرجات بالنبِّي وآله)).

ومن الملامح الخاصة المميزة لهذه النسخة ما يأتي:

١. إنَّها نسخة مصححة، فقد كان الناسخ يستدرك على ما ينسأه في الهامش بعد وضع إشارة يشير بها إلى موضعه من النص كما بيناه في الوصف العام للمخطوطات، وتكرر ذلك مراراً.

٢. في حال وجود تقديم وتأخير في الكلمات وضع الرمز: (ع) بخط صغير فوق الكلمة، للدلالة على إنها الكلمة المراد تأخيرها والرمز: (ف) بخط صغير فوق الكلمة، للدلالة على إنها الكلمة المراد تقديمها.

٣. ندرة الأخطاء الاملائية، والنحوية.

٤. وردت رموز مختصرة، اوردت كل رمز ودلالته كالتالي: (صر: )، عز: )، ره: )، يخ: يخلو، لا يخ: لا يخلو، فح: فحينئذ، وح: وحينئذ، ح: حينئذ، إلخ: الى آخره).

٥. إنها نسخة كاملة تماماً لكن فيها القليل من السقط في الورقة الاولى
أتمناه من نسختي (ب، ج).

٦. في اغلب الكلمات التي تبدأ بالحرف (ب، ت، ي) لا يكتبها منقوطة،
وكذلك الكلمات المنتهية التاء: (ة) يكتبها: (ه) بلا نقط، وأيضاً مع التاء
المربوطة: (ة) يكتبها: (ه).

٧. ندرة أخطاءها، ومواضع التصحيف، والتحريف فيها.

٨. خطها جيد، ذات ورق لونه أصفر، وبحالة جيدة.

٩. صفحات المخطوطة غير مرقمة وقد استعمل التعقيية كما اشرنا
بالوصف العام للنسخ.

ولكمال هذه النسخة وندرة سقطها وأخطائها، فضلاً عن قدمها، وكونها
كتبت في حياة المؤلف اخترتها أصلاً في التحقيق، وأشرت إليها أنها النسخة
المعتمدة ورمزت لها (أ) أي النسخة الأم.

- نسخة مكتبة امير المؤمنين ﷺ العامة (ب):

وقد رمزت لها بالحرف (ب)، (التسلسل العام: ٢٠ - أدب، والتسلسل
المخزني: ٩٦ / ١٠)، تقع في ١٤١ ورقة وفي كل صفحة ٢٣ سطراً، ومتوسط
عدد الكلمات في السطر الواحد (٢٣) كلمة، خطها نسخي واضح، أمّا قياس
المخطوط فهو: ١٧ × ٢٤

من الصفحة الاولى الى الصفحة الثالثة كتب فيها أشياء كثيرة منها:

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ لَنَا أَعْلَامَ الْمَجْدِ، بَوْلَاءِ حَامِلِ لِيَوَاءِ الْحَمْدِ، فَفَضَّلَنَا بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا... الخ)) ، وقد ختم نص الكتاب بالورقة ١٤٠ بقوله ((فَكَأَنَّ الرَّايَةَ تُجْعَلُ مِنْ تَحْتِهَا غَالِبًا عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَمَّا بِالتَّخْفِيفِ، وَكسر الميم، على صيغة اسم الآلة، والتَّيمِمةُ في رواية الْمُفَضَّل: عُوْذَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ)) ، وأختتم الكلام بصفحة ١٤١ بهذه العبارة: ((تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ كِتَابِ حَدَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ، عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ الْفَقِيرِ، الْمُحْتَاجِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، عِلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي ثُرَابِ كَلِسْتَانِهِ، عَفَى اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَجَاوَزَ عَنْ زَلَّاتِهِمَا، بِمُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِمَا الْأَطْيَبِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، سَنَةَ أَرْبَعٍ، وَسَبْعِينَ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهِجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَيَتْلُوهُ الْجُزْءُ الثَّانِي فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالشُّقْشُقِيَّةِ، وَمِنْ اللَّهِ اسْتِمْدُ الْمَعُونَةِ فِي الْإِفْتِتَاحِ، وَالْإِخْتِمَامِ، إِنَّهُ وَلِيُّ الْفَضْلِ، وَالْإِنْعَامِ))، فيكون تاريخ الفراغ من الجزء الاول من الكتاب سنة ١٠٧٤ هـ، ولم يذكر اسم الناسخ.

١ . ذكر عبارات الشاء، كتابة لا رمز مثال : (ﷺ ، السلام) ، قُدَسَ سَمِيٍّ ، بِحَجَّ اللَّهِ ،

﴿ص ۱۰﴾) كما انه قد اورد بعض الكلمات قد جاءت في بقية النسخ رموزاً مثال

ذلك: (يخلو، لا يخلو، حيثئذ، الى اخره...) كتابة لا رمزاً.

٢. كثر فيها الشطب، والتصحيحات، وقد وضع التصحيحات على الكلمة مما سبب عدم وضوح الكلمة المصححة لان خطها دقيق، وغير واضح في اغلب الاحيان.

٣. دائماً ما يكتب الهمزة، ياء، أي إنه يعتمد مبدأ تسهيل الهمز في نسخه مثال ذلك: (التلايم، الغايصة، ساير، قايم...) على خلاف بقية النسخ تأتي بالهمزة بدل الياء.

٤. فيها تعليقات لكن عدم وضوح الخط حال دون فهم اغلبها.

٥. المخطوطة خطها جيد لكن حجم الخط متفاوت على ما يبدو انه قد نسخها اكثر من ناسخ، الورق لونه اصفر، كما ان نوع الخط هو النسخ.

٦. ورد فيها بعض السقط وقد وجدت تتمته في نسختي (أ، ج)، وهو غير ظاهر عثرت عليه اثناء المقابلة بينها وبين النسخة الام (أ).

٧. صفحات المخطوطة غير مرقمة، وقد استعمل التعقيب كما اشرنا بالوصف العام للنسخ.

- نسخة مكتبة مجلس الشورى (ج):

وقد رمزت لها بالحرف (ج)، (التسلسل العام: ٧٥١٧ - أدب، والتسلسل المخزني: ٦٣٤٧١ / ١١٠٠٤)، تقع في ١٩٠ ورقة، وفي كل صفحة ٢٠ سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (١٦) كلمة، خطها نسخي واضح،

أما قياس المخطوط فهو: ٥، ٢٤ × ١٨

ختمت في اعلى وجه الورقة الأولى بختم مكتبة مجلس الشورى، وختم توقفي للمكتبة . وعليها تملكان غير واضحتين لان المخطوط نسخة مصورة عن الاصل كُتب في اعلى ظهر الصفحة الاولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثم بدأ بكتابة مقدمة الكتاب التي أولها .

((الحمد لله الذي رَفَعَ لَنَا أَعْلَامَ الْمَجْدِ، بَوْلَاءِ حَامِلِ لَوَاءِ الْحَمْدِ، فَفَضَّلَنَا بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلاً... الخ)) ، وقد ختم نص الكتاب بالورقة ١٩٠ بقوله: ((فكأنَّ الرَّايَةَ تُجْعَلُ مِنْ تَحْتِهَا غَالِباً عَلَى الْعَدُوِّ، وَأَمَّا بِالتَّخْفِيفِ، وكسر الميم، على صيغة اسم الآلة، والتَّيمِمةُ في رواية المُفَضَّل: عُوْذَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى الْإِنْسَانِ)) ، وأختتم الكلام بالصفحة ذاتها بهذه العبارة: ((تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ حَدَائِقِ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ، عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ الْفَقِيرِ، الْمُحْتَاجِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، علاء الدين محمد بن أبي ثراب كلستانه، عفى الله عنهما، وتجاوزَ عن زَلَّاتِهِمَا، بِمُحَمَّدٍ، وعلى آلهما الأَطْيَبِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، سنة أربعٍ، وسبعين بعد الألف من الهجرَةِ الْمُقَدَّسَةِ، ويتلوه الجزء الثاني في شرح الحُطْبَةِ المشهورة بالشُّقْشَقِيَّةِ، وَمِنْ اللَّهِ اسْتِمْدُ الْمَعُونَةِ فِي الْإِفْتِتَاحِ، وَالْإِخْتِمَامِ، إِنَّهُ وَلِيُّ الْفَضْلِ، وَالْإِنْعَامِ))، وبهذا يكون تاريخ الفراغ من الجزء الاول من الكتاب سنة ١٠٧٤ هـ، ولم يذكر اسم الناسخ.

وأهم ما تتميز به هذه النسخة:

١. أنها نسخة كاملة، ومصححة.

٢. قليلة السقط والتصحيف والتحريف.
٣. أنّها قليلة التعليقات في حواشيها.
٤. المخطوطة خطها جيد ذات ورق لونه اسمر (اصفر) نوع الخط هو النسخ، وخطها قريب جداً من خطنا الحديث .
٥. شاع في هذه النسخ ابدال الهمزة ياء، فمثلاً: حقائقه كتبت فيها: حقايقه، قائمة: قائمة.
٦. وردت رموز مختصرة، اوردت كل رمز ودلالته كالتالي: (صر: صلى الله عليه وسلم)، (ع: عليه السلام)، (ره: رحمته الله)، (رض: رضي الله عنه)، (يخ: يخلو، لا يخ: لا يخلو، فح: فحينئذ، وح: وحينئذ، ح: حينئذ، الخ: الى اخره).
٧. في اغلب الكلمات التي تبدأ بالحرف (ب، ت، ي) لا يكتبها منقوطة.
٨. المخطوط مرقم بالقلم الرصاص وبالأرقام الفارسية كما حرص الناسخ على تسلسل الأوراق بكتابة (التعقيية)، اي يكتب في نهاية الورقة أول كلمة من الورقة التي تليها.
- اما عدم اختياري لنسخة (ب)، أو لنسخة (ج) النسخة الأصل بدل النسخة (أ)، على الرغم من تقدمهما الزمني على النسخة (أ) كما هو ظاهر في الخاتمة، وذلك لان النسختين (ب، ج) ليستا بخط المؤلف وانما قد نسختا على يد النساخ الذين كانوا يمتهنون مهنة النسخ مقابل اجر حيث كان ديدن الغالب منهم انه لا يذكر اسمه في الخاتمة فضلاً عما وجدناه من قرائن تدلُّ على انهما ليستا بخط المؤلف لما فيهما من تصحيف وتحريف وسقط ليس

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

حرف او كلمة وانما كان السقط في سطر او اكثر وكل هذا ظهر جلياً في أثناء المقالة بين النسخ، اما النسخة (أ)، فقد نسخت على يد ابن ربيع، وهو احد زملاء السيد بدليل انه احد تلامذة العلامة المجلسي، فكان نسخه لها لغرض الانتفاع من علمها كما ان العناية بها وبتصحيحاتها وبخطها واضحة لذلك اعتمدناها هي الاصل.

عملي في التحقيق:

تأكدت من نسبة الكتاب إلى مؤلفه عن طريق الرجوع إلى المصادر، وفهارس الكتب التي تحدثت عنه، وعن مؤلفاته، حيث اتفقت هذه المصادر على نسبة الكتاب إليه، وأهمها (الذريعة لآغا بزرك) للمؤلف الذي سرد فيه آثاره، وهذا أمر لا شك، ولا لبس فيه.

بعد أن تم لي اختيار نسخة الأصل (وهي قد نسخت من نسخة المؤلف) شرعت بنسخها أوهي نسخة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، ورقمها التسلسلي العام: ٥٨٥، وراعت في النسخ قواعد الرسم المعروفة إلا ما كان يقتضيه رسم المصحف الشريف.

رمزت لنسخة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، وهي الأصل بالرمز (أ)، ورمزت لنسخة الثانية، وهي أيضا من مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة بالرمز (ب)، ورمزت للنسخة الثالثة من مكتبة مجلس الشورى بالرمز (ج).

استعمل هذه النسخ، وان أثبتُّ النصُّ الأصح، والأنسب للسياق من النسخ الثلاث، ثم الإشارة في الحاشية إذا ما ورد اختلاف بين النسخ، كما أنّي لم أثبت ما في النسخة (ب-ج) من تحريفات، وتصحيفات لكثرتها، واكتفيت بالإشارة إلى ما فيها من اختلاف في قراءة النص، مما لا يدخل في باب التحريف، والتصحيح، والسبب الذي جعلني أتبع هذا المنهج هو أنّ النسخ نُقلت من أصل واحد كما يبدو لي، لكثرة التحريفات، والتصحيفات المتشابهة في النسخ الثلاث، وقد تكون من عمل الناسخ لها.

بعد أن تم النسخ قابلت النسخة الأصل بالنسخ الأخرى المعتمدة، وأشرت إلى ما كان بينها من فروق باعتماد الرمز الموضوع لكل نسخة في الهامش.

عرفت بأسماء النحويين، واللغويين، والمفسرين، والمحدثين من رواة الحديث الشريف، وروايات أهل البيت عليهم السلام، باعتماد على كتب السير، والتراجم، أمثال: سيبويه، والمبرد، والجوهري، والعلامة الطوسي، والقمي، والفخر الرازي بصورة وافية ومفيدة إلا القليل، الذين لم أقف على ترجمة لهم فيما أتيج لي من مصادر.

حرصت على جعل هوامش التحقيق مستوفية للمادة المعرفية التي تدل بوضوح من دون إخلال، وتعقيد.

وثقت الآيات القرآنية من كتاب الله عز وجل، وكتابة الآيات القرآنية بالرسم القرآني، وحصرتها بين قوسين مزهرين ❀❀.

خرجت نصوص نهج البلاغة من نهج البلاغة بتحقيق الشيخ فارس الحسون، أما النصوص التي لم أجدها فيه فخرجتها من شروح النهج المعتمدة، وحصرتها بين قوسين مزدوجين ❀❀.

خرجت جميع القراءات التي ذكرها المؤلف من كتب القراءات، وبالاختصاص الكتب المعتمدة في مجالها.

أخرجت الشواهد الشعرية، بذكر الديوان أو الشعر المجموع إن كان للشاعر ديوان أو شعر مجموع، وخرجت شعره من كتب الأدب، واللغة،

والنحو، والمعجمات، وغيرها، وأشارت إلى الأبيات التي لم أقف على قائلها مع بيان نوع البحر الشعري للبيت، وإن ورد الصدر، أو العجز في المتن أوردت البيت بتمامه في الهامش مع بيان الموقف الذي ورد فيه بإيجاز.

خرجت الأمثال، والأقوال الماثورة من كتب الأمثال مع بيان معنى المثل بإيجاز.

أشرت إلى مواضيع كثيرة من الأقوال النحوية، واللغوية، والصرفية، وروايات، وأخبار عن أهل البيت عليهم السلام في كتب أصحابها، أو في الكتب قد نقلتها.

حصرت ما أضفته من سائر النسخ، ومن الكتب في المتن بين قوسين معقوفين [].

اثبت رقم الورقة من المخطوط، ورمز صفحتها فكانت (و)، وتعني وجه الورقة في المخطوط، و(ظ)، وتعني ظهر الورقة في المخطوط، وحصرتها بين قوسين معقوفين [].

جعلت كلام الامام علي عليه السلام مطبوعا بحرف يختلف عن كلام الشارح للتمييز بين الكلامين.

وضعت النصوص التي أوردها الشارح بين أقواس التنصيص ()، كذلك النصوص التي أوردها، من الأمثال، والأقوال الماثورة.

خرجت الأحاديث النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت عليهم السلام من كتب الحديث، والرواية المعتبرة، وحصرتها بين قوسين ().

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

مقابلة ما ورد من روايات مع مصادرها التي ذكرها المؤلف او لم يذكرها صريحا، والاشارة إلى مواضع الاختلاف الواردة بين المخطوط، والمصدر الذي اخذت منه الرواية.

بينت معاني بعض الكلمات الغريبة، والتي تحتاج إلى شرح، وتوضيحها معتمداً في ذلك على بعض المعاجم اللغوية التي اعتمدت عليها.

عبئت الفراغات، والبياضات الموجودة في المخطوط، واستكملها من بطون الكتب التي تناقلته في المتن.

قمت بتصحيح أخطاء الهمز الواقعة في النسخة.

قمت بعمل مكملات التحقيق وأعني الفهارس العامة وفيها: (فهرست الآيات القرآنية، وفهرست الاحاديث تضمن الاحاديث النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام، اما فهرست الأعلام قسم على اساس الاسم الصريح للعلم، وكذلك الكنى والالقب واعلام من النساء، وكذلك فهرست اللغة تضمن جميع كلمة تم تبيان معناها من قبل المصنف أو الباحث).

حصرت ما زدته على النص مما يقتضي السياق زيادته بين معقوفين []، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

أصلحت ما وجدته مخالفاً لقواعد الإعراب، والإملاء في المخطوطات، وكانت جملة من الألفاظ مرسومة على غير قواعد الإملاء الحديثة. امثال: (الصلوة، التورة، وغيرها...)

ألحقت بمقدمة الكتاب نماذج من صور الصفحات الأولى، والأخيرة

للسنخ المعتمدة ، توثيقاً للأمانة العلمية.

أشرتُ إلى مواضيع كثيرة من الأقوال التفسيرية في كتب أصحابها ، أو في الكتب الموجودة فيها، ووضعتها بين قوسين () .

حرصت قدر المستطاع على ضبط النص ضبطاً سليماً من الأخطاء الإملائية والنحوية وذكرت الاختلاف الحاصل في مخطوطات الشرح إن وجدت.

وضعت علامات الترقيم التي خلت من النص للحفاظ على دلالة المعنى في النص.

ثبت رموز التحقيق

الرمز	دلالة
(أ)	نسخة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة الاولى
(ب)	نسخة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة الثانية
(ج)	نسخة مكتبة مجلس الشورى
" "	ذكر ما اختلف من كلام بين الاصل وبقيّة النسخ
[]	زيادة من النسخ الأخرى أو من الباحث التي يقتضيها السياق
﴿...﴾	حصر كلام الامام علي عليه السلام
﴿...﴾	قوسان مزهران لحصر الآيات القرآنية
(...)	حصر الحديث أو الرواية أو ما نقل بالنص
((...))	حصر النصوص المقتبسة من المتن المحقق في الدراسة
[١و] أو [١ظ]	وجه الصفحة الأولى أو ظهرها من نسخة الأصل (أ)
١/١:	الرقم الأول للجزء والثاني للصفحة
خ١	الخطبة رقم واحد
ح/١	حديث رقم واحد
تح	التحقيق
تص	التصحيح
تع	التعليق
تقد	التقديم
تف	تفسير
ط	الطبعة
تخ	تخريج
ضبط	ضبط
تو	توثيق
فه	فهرسة

... السيد علاء الدين كلستانه...

توفي	ت
مطبوعة	مط
من دون تاريخ طبعة	(د.ت)
التاريخ الهجري	هـ
التاريخ الميلادي	م
شمسي	ش
حصر الجمل الاعتراضية في المتن المحقق	- ... -

نماذج من صور المخطوط



على غير منه الناس بالاسم الامتدح وتكون في خبر على بن النعمان انما انشئت والها الا الهمة على زرع كذا
 الماء التيسيل لا مادة له او ما يظهر في انشائه، ويذهب في الحسب في يده يوجه الى الماء الذي لا يروى لظليل ويخرج
 النهر العظيم وفي بعض النسخ يتقوى انشاؤه بدونه حرق الحرج من الخشب بالفساد الهمة المشددة وهو انشائه
 ويريه في غير شام برأى حكم بضم الباء الموحدة في فتح الراء وسكون الياء المشددة من تحت وفتح الهاء وبجدها
 على رجل كان نصرانيا في بعض النسخ بضم الراء وسكون الياء المشددة من تحت وفتح الهاء وبجدها
 انه يكون بفتح الراء وسكون الياء المشددة من تحت والوسادة في رواية النسخ الى انه في المشكاة وكذا في النسخ في
 ستر الادب والوسادة اسم جامع للجنة والمستندة المربعة وغيرها وتثبت اما بالتحريف من ثبتت لا اطلعت
 بعض على بعض او بالفتش يدين ثبته في جملة اشهر المعنى فكسرت في الوسادة وجعلت لفتحين فتكون
 في لوس ولا تكتاه عليها وفي بعض الروايات لو كسرت في الوسادة فليست عليها فتكون المراد ما ينسب عليها
 المشكاة ويحتل ان يكون المراد على ان يكون الكثرة مشددة فوطحت لوساوتان احدهما فوق الاخرى ولهذا
 يفعله لك انما على التوهم والمال لا يورهم وهو الظاهر من لفظ التثنية لكن لا يناسب تنكير الوسادة كما في بعض
 الروايات ويظهر الى الله اي يتبع شوجها الى الله من زهرت النار اى نباتات اوسى الزهرة بالضم يعني السباغ
 الحسنى يقال منه زهر كرج وكوم وتيا الزهر القرو الوجه كنع اى تلالا او المغلقة في رواية سعيد السراى اما
 على صيغة المنعزل من قوله ثقبها على ما يظن ثقبها وسند الثقب للشاعر المحكوم له بالهبة على قرية كانه الراية جعلها
 غائرة على الخضم وحكمها بالهبة او على صيغة الفاعل كانه الراية تجعل من ثقبها انا ليا على العدة واما بانتهى
 وكسر الميم على صيغة اسم الالة والقيمة في رواية المفضل مودة تعلق على الانسان
 في الزين الاول من كتابه جداول الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق على يد من لحن الغنى المحتاج الى رحمة
 علاء الدين محمد بن ابي تراب كلستانه في قوله تعالى وما تزاوج من زلاتهما يحمده على الهاء الاطمين صلوات الله
 عليهم جميعين ستة اربع وسببه بعد الافتتاح في غير المقدسة ويتولد الزين الثاني في شرح الخطبة المشهورة
 بالسقشقية ومن الله استمد العون في الافتتاح والانتقام انذولى المفضل والاعمال قد نشرت بكتابة
 ووقعت لا تامة في يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني
 شهر سنة احدى وثمانين بعد الف وانا المتأق الى راحة
 الله الملك الحق ابراهيم بن ربيع الدين محمد بن ربيع الدين
 محمد بن ربيع الدين محمد بن ربيع الدين
 رزقه الله من فضله
 عو الى الله
 يا ابراهيم
 ام

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم يعلم الذي رفع لنا العلم الجديد لا حامل لواء الحمد فنحننا به على خير من مائة نفعيلاً. وأشرق صدرنا
 بأنوار دماره من النور الجديد لا حامل لواء الحمد فنحننا به على خير من مائة نفعيلاً. وأشرق صدرنا
 بحبهم كما كان من أجلهم النور الجديد لا حامل لواء الحمد فنحننا به على خير من مائة نفعيلاً. وأشرق صدرنا
 بها هياكل جود، عياض ودمعاً أينعت ثمارها لنظرة تليد. ونجا أسير مجازين من عجز الجهالة وهمار
 الصلابة ففعلنا من الذين اهتدوا إلى سبيلها. ونكسر ملكهم المتعارفين ولا إليه السكارة ونكسر أكثر ما وسجده
 وأصياه. وسجل على من أسلح رعدة العالمين فشيروا نكراً فكان لهم في باقي القوي وهمار على هادئة وسيله. وقبلة
 فينا إلى رايه نسر جاسر فلم يبق لهم من ضايف الجهل قتله. وأشرق أكثر جوده قبل المومنين من شرب الشوق
 فظلال عليه نعمة تظليله. ونحترق من عينه التي مشقة ميتاً نعلم الناس مشرقهم. ونرجع نفعهم في كونه نبينا حبيلاً
 وعلى الأهاب من عزيمته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فكشف عن ربيع مقامهم في الحكايات والآيات
 ومن صلحهم من قبله. ونرفع درجاتهم فوق سائر الأبرار فنزل الملكة والروح بأمرهم تنزلهم. وودعهم
 حزين عليه ففصلوا للتأريث المحجب عن تمام الآلام ففعلنا. ونسأل الله أن يصبرهم لأنهم المصبرين وصبر
 تحت أليم فتكون من الذين هم خير مستغفر وأحسن مقبل. ونصنع البرقي بالاعتراف الجرم وهفوات المناغم
 نبتل به نفعيلاً. ونسأل الله من أهداهم الديار لولا أن الله كثر وأحلوا قوتهم دار التواريث فملكوا كنف
 القوم عنهم ولا غيلة. ونرجو من فضله نيل الأسالي والنعن من الأهوال يوم نرجف الأذن والأجبال وكانت الجبال
 كئيها مهيداً. ونقول عليه في جميع التوراة وكفى بالله كيداً ووكلنا أماناً بعدد نيقول الله لا يصح ربه سبحانه
 علاه الذين هو بين أي ياب لمستأنه. أي هذه نيت الإيمان من الشمال. ودرست الهدى من الضلال. وأشرق قلبه بفضل
 الولاء لتتبع آثار الأئمة الأبرار. وأطأ وعناي الوالد للذين من أسرار الأهاب الأظهار. وأشرق قلبه بفضل

هذا هو النص الأصلي
 في قوله تعالى
 ونسأل الله أن يصبرهم
 لأنهم المصبرين
 وصبر

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة (ب)

الأمر من كتاب حقائق الحقائق في كلام الله الناطق على يد مؤلفه الفقيه المحتاج إلى معرفته بذلك الدين محمد بن أبي زب

كلستانه عن الله عز وجل في كتابه الناطق على يد مؤلفه الفقيه المحتاج إلى معرفته بذلك الدين محمد بن أبي زب

لا هيبين صلوات الله عليه جميع سنن يع

سبعين بعد الف من حجر الفرسنة

بنو حجر الثاني في ترجم خضبة

مشهورة بالشفقة ومن

الله عز وجل في

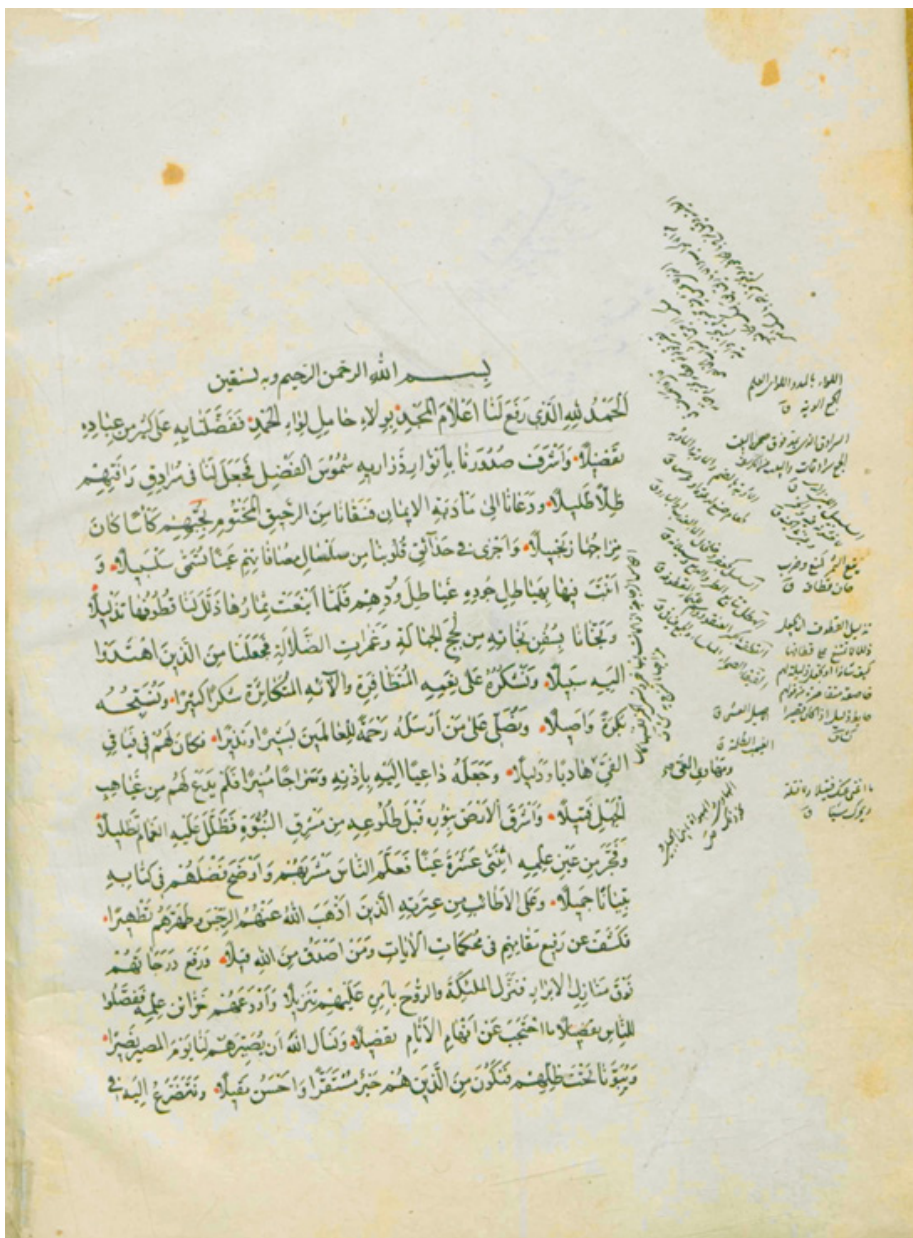
الأنبياء والآلاء

نور

الفصل

والله

—



جَدَائِدُ الْحَقِّيقَاتِ
فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رَفَعَ لَنَا أَعْلَامَ الْمَجْدِ، بَوْلَاءِ حَامِلِ لَوَاءِ الْحَمْدِ، فَفَضَّلَنَا بِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا، "وَأَشْرَقَ" ^(١) صُدُّورَنَا بِأَنْوَارِ ذَرَارِيهِ، شُمُوسِ الْفَضْلِ، فَجَعَلَ لَنَا فِي سُرَادِقِ ^(٢) رَأْفَتِهِمْ ظِلًّا ظَلِيلًا، وَدَعَانَا إِلَى مَادُّبَةِ الْإِيمَانِ، فَسَقَانَا مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ بِحُبِّهِمْ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ^(٣)، وَأَجْرَى فِي حَدَائِقِ قُلُوبِنَا مِنْ سَلْسَالِ مُصَافَاتِهِمْ عَيْنًا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ^(٤)، وَأَنْبَتَ فِيهَا [غَيَاطِل] ^(٥) جُودِهِ [بِهَيَاطِل] ^(٦)، وَدَّهِمَ، فَلَمَّا أَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا، ذَلَّلَ لَنَا قُطُوفَهَا تَذْلِيلًا ^(٧).

(١) في نسخة (ج): أَشْرَفَ.

(٢) السُّرَادِقُ: التي تَمُدُّ فَوْقَ صَحْنِ الدَّارِ، وَكُلُّ بَيْتٍ مِنْ كُرْسُفٍ فَهُوَ سُرَادِقٌ، وَالْجَمْعُ سُرَادِقَات. ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، وآخرون، مادة (سردق)، الصحاح، مادة (سردق)، لسان العرب، ابن منظور، مادة (سردق).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ الأنسان: ١٧.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ الأنسان: ١٨.

(٥) الْغَيْطَلُ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُتَفِّ، وَكَذَلِكَ الْعُشْبُ، وَالْجَمْعُ غَيَاطِل. ينظر: لسان العرب، مادة (غطل).

(٦) الْهَاطِلُ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ، وَتَتَابَعُ الْمَطَرِ الْمُتَفَرِّقِ الْعَظِيمِ الْقَطَرِ. ينظر: القاموس المحيط، مادة (هطل).

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ الأنسان: ١٤.

وَنَجَّانَا بِسُفْنٍ نَجَاتِهِ^(١)، مِنْ لُجْجِ الْجَهَالَةِ، وَغَمَرَاتِ الضَّلَالَةِ، فَجَعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَنَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَظَايِرَةِ، وَآلَائِهِ الْمُتَكَثِّرَةِ، شُكْرًا كَثِيرًا، وَنُسَبِّحُهُ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا^(٢)، وَنُصَلِّي عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ^(٣)، بَشِيرًا، وَنَذِيرًا^(٤).

فَكَانَ لَهُمْ فِي فَيَافِي^(٥) الْغَيِّ، وَمَهَاوِي "الْعَيِّ"^(٦) هَادِيًا، وَذَلِيلًا، وَجَعَلَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا^(٧).

فَلَمْ يَدْعُ لَهُمْ مِنْ غِيَاهِبِ^(٨) الْجَهْلِ فَيْلًا، وَ[أَشْرَقَتْ^(٩) الْأَرْضُ، بِنُورِهِ

(١) إشارة الى قول النبي ﷺ: (إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من أتاها نجا، ومن تخلف عنها هلك)، وهو مروي بأسانيد متعددة باختلاف يسير في الألفاظ، ينظر: المستدرک علی الصحيحین: ٢/ ٣٧٢ ح ٣٣١٢، الامالي، الشيخ الطوسي، تح: قسم الدراسات الاسلامية: ٥١٣، مجمع الزوائد، الهيتمي: ١٦٨/ ٩.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ مَجْمَعِ اسْمِ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الأنسان: ٢٥.

(٣) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

(٤) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨.

(٥) فيافي: الصَّخْرَاءُ الْمَلْسَاءُ، ينظر: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، مادة (فيف)، لسان العرب، مادة (فيف).

(٦) في نسخة (ب) الْغَيِّ.

(٧) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الاحزاب: ٤٦.

(٨) مفردا غيب: الظلمة، والجمع غياهب. ينظر: لسان العرب، مادة (غهب).

(٩) الاصل: أَشْرَقَ.

قَبْلَ طُلُوعِهِ، مِنْ مَشْرِقِ النُّبُوَّةِ، فَظَلَّلَ عَلَيْهِ الْغَمَامَ تَظْلِيلًا^(١)، وَفَجَّرَ مِنْ عَيْنِ
عِلْمِهِ، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا فَعَلِمَ النَّاسَ مَشْرَبَهُمْ^(٢)، وَأَوْضَحَ فَضْلَهُمْ فِي كِتَابِهِ،
تَبْيَانًا جَمِيلًا.

وَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ عِزَّتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرُّجْسَ، وَطَهَّرَهُمْ
تَطْهِيرًا^(٣)، فَكَشَفَ عَنْ رَفِيعِ مَقَامِهِمْ فِي مُحْكَمَاتِ الْآيَاتِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ
اللَّهِ قِيلًا﴾^(٤)، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، فَوْقَ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ، فَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ، وَالرُّوحُ
بِأَمْرِهِ عَلَيْهِمْ تَنْزِيلًا^(٥)، وَأَوْدَعَهُمْ خَزَائِنَ، عِلْمِهِ فَفَصَّلُوا لِلنَّاسِ، مَا احْتَجَبَ

(١) ورد في ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه منها حديث
بحيراء الراهب، حيث انهم كانوا إذا ساروا تسير على رأس رسول الله ﷺ
غمامة تظله من الشمس، وإذا وقف تقف. ينظر: الخرائج والجرائح، قطب الدين
الراوندي، تح: مؤسسة الإمام المهدي (ع): ١ / ٧٦، السيرة النبوية لابن هشام، تح:
مصطفى السقا: ١ / ١٨١، صفة الصفوة، ابن الجوزي، تح: أحمد بن علي: ١ / ٧٥،
بحار الانوار، العلامة المجلسي: ١٥ / ٢٠١.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: ٦٠.

(٣) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ النساء: ١٢٢.

(٥) اشارة الى قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ القدر: ٤.

عَنْ أَفْهَامِ الْأَنَامِ تَفْصِيلاً.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَيِّرَهُمْ لَنَا يَوْمَ الْمَصِيرِ نَصِيرًا، وَيُؤَوِّنَا تَحْتَ ظِلِّهِمْ؛
فَنَكُونَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا، وَأَحْسَنُ مَقِيلًا^(١)، وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فِي، إِقَالَةِ
عَثَرَاتِ^(٢) الْجَرَائِمِ، وَهَفَوَاتِ الْمَآثِمِ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(٣)، وَنَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ
أَعْدَائِهِمْ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ [دَارَ الْبَوَارِ]^(٤)، فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْهُمْ، وَلَا تَحْوِيلًا^(٥)، وَنَرْجُو مِنْ فَضْلِهِ نَيْلَ الْأَمَالِ،
وَالْأَمْنِ مِنَ الْأَهْوَالِ، [يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ، وَالْجِبَالُ، وَكَانَتْ]^(٦) الْجِبَالُ كَثِيرًا
مَهِيلًا^(٧). وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، وَكَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، وَوَكِيلًا^(٨).

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الفرقان: ٢٤.

(٢) اشارة الى قول الامام علي عليه السلام في دعاء الصباح: ﴿فَمَنْ الْمُقِيلُ عَثَرَاتِي مِنْ كَبَوَاتِ
الْهُوَى﴾، ينظر: مسند الإمام علي عليه السلام، السيد حسن القبانجي، تح: الشيخ طاهر
السلامي: ٤٤٦/٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المزمل: ٨.

(٤) في نسختي (ب، ج)، وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ابراهيم: ٢٨.

(٥) اشارة الى قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ
عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ الإسراء: ٥٦.

(٦) من نسختي (ب، ج).

(٧) اشارة الى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا﴾
المزمل: ١٤.

(٨) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الاحزاب: ٣.

[أما بعد فيقول اللائذُ بصفح ربِّه سبحانه] ^(١) علاء الدين محمد بن أبي تراب كلستانه: إني مُدْعَرَفْتُ اليمين [من الشمال، ودريت ^(٢) الهدى من الضلال] ^(٣) [١: ظ] شوقني خالص الولاء، لتبَّع آثار الأئمة الأبرار، وأظماني صافي الوداد، للتروِّي من أسرار ^(٤) الأطائب الأطهار، وأشرب قلبي بفضل ربِّي، أنَّه لا يروِي من غلَّة ^(٥) الجهل، إلا ما روي عن عيون اليقين، ولا يُداوي علَّة الغي ^(٦) إلا من أُوتي علم ما هو شفاء، ورحمة للمؤمنين.

وكان كتاب نهج البلاغة من كتب الأخبار، كبحر تالاً في أضداد ألفاظه دُرُّ اللطائف، ولألي الحقائق، أو كسماء التمتع من بُروج معانيه ثواقب المعارف، ودراري الدقائق. قد احتوى من أسرار الربوبية على خفايا لا تمسها أيدي البصائر، والفكر، وانطوى من كنوز الحكم الإلهية على خبايا لا يدانيها العقل والنظر. فياله من خطب غراء تتصدع ^(٧) بقوارعها ^(٨) جلاميد ^(٩)

(١) من نسختي (ب، ج).

(٢) أي علمت.

(٣) من نسختي (ب، ج).

(٤) أسرار: البقية، والفضلة مفردها سُور. ينظر: القاموس المحيط، مادة (سُور).

(٥) الغلة: حرارة العطش. ينظر: لسان العرب، مادة (غلل).

(٦) الغي: الضلال، والحيية، ينظر: لسان العرب، مادة (غوي).

(٧) تصدع: تفرق، ينظر: لسان العرب، مادة (صدع).

(٨) قرعه: أمر إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع. ينظر: لسان العرب، مادة (قرع).

(٩) الجلمد: الصخرة التي تكون في الماء القليل. جمع جلاميد. ينظر: لسان العرب،

مادة (جلمد).

القلوب القاسية.

وَتَخَضَّعُ^(١) لِبَوَارِعِهَا صَيَاخِيدُ^(٢) الْأَطْوَادِ^(٣) الرَّاسِيَةِ، وَتَقْرَأُ إِذْ هَدَرَتْ شَقَشِقَتُهَا^(٤) شَقَاشِقُ الْخُطَبَاءِ، وَتَقْرَأُ مُذْعِنَةً بِالْخُنُوعِ لِفَضْلِهَا شَحَاشِحُ^(٥) الْأَدْبَاءِ. إِذَا بَلَغَتْ بُلْغَاءَ قَحْطَانٍ رَجَعَ إِلَيْهِمْ عَقْلُهُمْ مَبْهُورًا أَسِيرًا. وَإِذَا أَفْصَحَتْ لِفُصْحَاءِ عَدْنَانَ، ارْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ خَاسِتًا حَسِيرًا^(٦).
تَظْعَنُ لِدَوَاعِي تَرْغِيهَا قَوَاطِنُ^(٧) الْأَزْوَاجِ عَنْ مُسْتَقَرِّ الْأَشْبَاحِ، وَتَذْهَبُ

(١) تخضع: تتواضع. ينظر: لسان العرب، مادة (خضع).

(٢) الصيخود: الصخرة الملساء الصلبة لا تحرك من مكانها، ولا يعمل فيها الحديد.

ينظر: لسان العرب، مادة (صخد)، تاج العروس، مادة (صخد).

(٣) الطَّوْدُ: الجبل العظيم المتطاوّل في السماء، والجمع أطواد. ينظر: لسان العرب، مادة

(طود)، تاج العروس، مادة (طود).

(٤) هدرت شقشقتها: يقال للفصيح:، وأصلها لهة الفحل، ولا تكون إلا للعربي، والجمع

شقاشق، وفيها إشارة إلى الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة. ينظر: أساس البلاغة:

٢٤٦/١.

(٥) إشارة إلى حديث الإمام عليّ عليه السلام: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْطُبُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (هَذَا الْخَطِيبُ

الشَّحْشَحُ)، والشَّحْشَحُ: الماهر بالخطبة الماضي فيها، وكلّ ماضٍ في كلام أو سير فهو

شَحْشَحٌ، والشَّحْشَحُ في غير هذا الموضع: البخيل الممسك، ينظر: لسان العرب،

مادة (شحح)، نهج البلاغة: ٦٨١.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِتًا وَهُوَ

حَسِيرٌ﴾ الملك: ٤.

(٧) قطن: الإقامة، والجمع قواطن. تاج العروس، مادة (قطن).

بِزَوَاجِرٍ تَرْهِيهَا هَمَزَاتُ الشَّيْطَانِ كَهَشِيمٍ تَذْرُوهُ الرِّيحُ^(١)، وَاخْتَزَنَ مِنْ فَرَائِدِ الْكَلِمِ مَا اعْتَقَمَ^(٢) عَنْ مِثْلِهَا حُبَالَى الْأَصْدَافِ، وَمِنْ جَوَاهِرِ الْحِكَمِ، مَا تَلَالَاءَ كَالْكَوْكَبِ الدَّرِّي^(٣) فِي دِيَا جِيرِ الْأَسْدَافِ^(٤)؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا طَلَعُ طَلَعٍ فِي دَوْحَةٍ كَرِيمَةٍ تَرَوَّتْ مِنْ عَيْنِ عِلْمٍ، مَنْ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ^(٥)، وَثَمَرَةُ ظَهَرَتْ مِنَ الْأَكْهَامِ فِي شَجَرَةِ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ^(٦)، بَلْ طَرَائِفُ^(٧) حِكْمَةٍ نَطَقَ بِهَا كَلَامُ اللَّهِ النَّاطِقِ^(٨) ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٩)، وَخَزَائِنُ مَعْرِفَةٍ

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ الكهف: ٤٥.

(٢) اعتقم: اقتصر، تاج العروس، مادة (عقم).

(٣) اشارة الى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٥.

(٤) السَّدَفُ: الظلمة، والجمع اسداف، تاج العروس، مادة (سدف).

(٥) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٣١.

(٦) اشارة الى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم: ٢٤.

(٧) يقال: طرائف الحديث: مختاره، ينظر: لسان العرب، مادة (طرف).

(٨) اشارة الى قول الامام عليه السلام: (أنا كلام الله الناطق). ينظر: المستدرك على الصحيحين:

١٣٧/٣، الوافي: ٢/ ٢٧٢، بحار الانوار: ٣٠/ ٥٤٦.

(٩) الشعراء: ١٩٥.

انفتح منها باب مَدِينَةِ الْعِلْمِ، وَالْيَقِينِ^(١).

وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ مُخْتَلِفِينَ^(٢)، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْقَاطِعَةَ عَلَى مَنْ أَلْحَدَ فِي أَسْمَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَاهِرُ الْجَبَابِرَةِ بِالْعُضْبِ الْقَاضِبِ^(٣)، وَقَاصِمُ الصَّنَادِيدِ، وَمُزْزِقُ الْجِيُوشِ بِالصَّمْصَامِ الصَّارِمِ وَمُفَرِّقَهُمْ عِبَادِيدَ^(٤). كَاسِرِ نَوَاجِمِ قُرُونٍ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ^(٥)، وَالسَّرَّاجُ الْوَهَّاجُ لِمَنْ اهْتَدَى وَاسْتَبَصَّرَ.

(١) اشارة الى حديث النبي ﷺ : (أنا مدينة العلم، وعلى بابها). ينظر: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي الاول، تح: السيد حسين الموسوي الكرماني، واخرون: ٣١٢ / ١، الفوائد الطوسية، الحر العاملي: ٢٦٥، كنز العمال في سنن الأقوال، والأفعال، المتقي الهندي: ١١ / ٨٨٩ ح ٣٢٨٩٠، المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٢٦، مجمع الزوائد: ٩ / ١١٤.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ النبأ: ١-٣.

(٣) العضب القاضب: أي السيف القطّاع، ينظر: لسان العرب، مادة (عضب)، و مادة (قضب).

(٤) العباديد: الفرق من الناس الذاهبون في كلّ وجه. ينظر: الصحاح، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفار، مادة (عبد).

(٥) اشارة الى قول الامام علي (عليه السلام): ﴿وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونٍ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ نَوَاجِمَ جَمْعَ نَاجِمِهِ، بِمَعْنَى: مَا ظَهَرَ مِنَ الشَّيْءِ، وَنَجْمُ الْقُرْنِ إِذَا طَلَعَ، وَظَهَرَ، وَقُرُونُ الْحَيَوَانَاتِ أَسْلِحَتُهَا، مِنْهَاجُ الْبَرَاةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، الرَّائِدِي، تَحْقِيقُ، السَّيِّدُ عَبْدِ الْلطِيفِ الْكُوْهُكَمَرِيِّ: ٢ / ٢٦٩، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤ / ٣٠٦.

مُجَاهِدُ الْجَاهِدِينَ، وَمُيَبِّدُ الْمُعَانِدِينَ، وَمُكَسِّرُ التَّمَاثِيلِ^(١)، الَّتِي كَانُوا لَهَا عَابِدِينَ، الَّذِي فِي بَيْتِهِ هَوَى النِّجْمِ^(٢) وَانْتَجَبَهُ اللَّهُ لِلْسَّرَارِ إِذَا انْتَجَاهُ حَبِيبُهُ فَقَرَّبَهُ نَجِيًّا^(٣)، وَأَحَلَّهُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ إِذْ وُلِدَ^(٤)، فَلَمَّا أُحْرِمَ لِلِقَائِهِ بَعْدَ التَّخْرِيمِ رَفَعَهُ مَكَانًا عَلِيًّا^(٥).

الْمُتَعَالَى بِسَمِيِّ الذِّكْرِ فِي الْأَفْلَاكِ، وَالْمُتَفَرِّدُ بِالْمُؤَاوَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ لِمَنْ خَصَّ بِخِطَابٍ لَوْلَاكَ^(٦). مُرَّتَبُ الْكِتَابِ، وَمُشْتَتُّ الْكِتَائِبِ، وَزَوْجُ الْبُتُولِ، وَأَبُو الْأَئِمَّةِ الْأَطَائِبِ.

(١) اشارة الى حديث يزيد بن قعنب عن فاطمة بنت أسد: أنها لما ولد علي (عليه السلام) في جوف الكعبة، وأرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمة سميه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: (إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي الخ...)، ينظر: الأمالي، الشيخ الصدوق، تح: قسم الدراسات الإسلامية: ١٩٥، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٧٧، الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، محمد طاهر الشيرازي القمي، تح: السيد مهدي الرجائي: ٦١.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾ النجم: ١.

(٣) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مريم: ٥٢.

(٤) اشارة الى مكان، ولادة الإمام علي (عليه السلام) في جوف الكعبة.

(٥) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ طه: ٥٧.

(٦) فيه اشارة الى قوله تعالى في الحديث القدسي: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكم). ينظر: عوالم العلوم، والمعارف، والأحوال من الآيات، الشيخ عبد الله البحراني الاصفهاني، تح: في مدرسة الإمام المهدي «عج» بالحوزة العلمية: ١١ / ٤٤، الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي: ١٨.

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

مُرْغَمٌ أَنْوْفِ الْآنِفَيْنِ يَوْمَ الْحَرْبِ وَالضَّرَابِ، وَالْمَلَقَّبُ فِي الْمِحْرَابِ لَيْلَةَ الْخُضُوعِ بِأَبِي تُرَابٍ^(١). مُحْفُودُ الْمُتَكَيِّينَ عَلَى الْأَرَائِكِ^(٢)، وَمُحْدُومُ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ الْمَلَائِكِ^(٣)، الَّذِي حَبَاهُ اللَّهُ بِالسَّبْطَيْنِ^(٤)، كَمَا رَدَّ لَهُ الشَّمْسُ مَرَّتَيْنِ^(٥)، وَتَوَحَّدَ

(١) كانت هذه الكنية أحب كناه إليه لكون النبي ﷺ كناه بها قيل: (لما رآه ﷺ ساجدا مغفرا، وجهه في التراب، أو كان يعفر خديه، وهو ساجد فكان إذ رآه، والتراب بوجهه يقول: يا أبا تراب افعل كذا، ويخاطبه بما يريد، قيل: كني به لان النبي ص قال يا علي أول من ينفذ التراب عن رأسه أنت). ينظر: بحار الانوار: ٦١ / ٣٥. اعيان الشيعة، السيد محسن الامين: ٣٢٥ / ١.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَيِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: ٣١.

(٣) إشارة الى قول النبي ﷺ في الإمام علي عليه السلام إنه قال: (ما بعثته في سرية، ولا أبرزته لمبارزة إلا رأيت جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت أمامه، وسحابة تظله حتى يعطيه الله خير النصر، والظفر)، شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي، تحقيق، السيد محمد الحسيني الجلاي: ٣ / ٤١٤ ح ٧٦٠، الثقات، ابن حبان: ٢ / ٣٠٤، غاية المرام، وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص، والعام، السيد هاشم البحراني، تح: السيد علي عاشور: ١٢٢ / ٥.

(٤) اشارة الى الامامين الهمامين الحسن، والحسين عليهما السلام، وعن النبي ﷺ قال: (معاشر المسلمين؟ هذا أخي، وابن عمي، وختني، هذا لحمي، ودمي، وشعري، هذا أبو السبطين: الحسن، والحسين سيدي شباب أهل الجنة) السَّبْطُ معناه: ولد الابن، والابنة. ينظر: لسان العرب، مادة (سبط)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، تح: سامي الغريري، الغدير: ٣ / ١٢١: ٩٨.

(٥) اشارة حادثة رَدَّ الشمس على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الأمة، حيث رَدَّ الله عليه الشمس مرتين مرة في أيام رسول الله ﷺ ومرة بعد، وفاته

في أَحَدِ الْبَلَّاتِ كَمَا ثَنَّى حَمَلٌ [٢: و] الرَّاْيَةَ وَاللِّوَاءِ بِالضَّرْبِ بِسَيْفَيْنِ^(١)، بِأَبْهَ مَابُ التَّائِبِينَ، وَمَنْهَجُ كُلِّ مَقْصُودٍ. وَحَرِيمُهُ مَلْجَأُ الطَّائِفِينَ، وَالْقَائِمِينَ، وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ^(٢)، قَامِعُ مَرْحَبٍ^(٣)، وَقَالِعُ الْبَابِ^(٤). وَمُدْمَرُ عَمْرٍو^(٥)،

عليه السّلام. ينظر: الوافي: ٢٦ / ٢٨٦، مشكل الآثار للطحاوي: ٣ / ٦٤.

(١) إشارة الى قول الإمام علي عليه السلام: ﴿أنا الضارب بالسيفين...﴾، الأملّي، الشيخ الصدوق: ٧٧، روضة الواعظين: ١١١، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تح: لجنة من اساتذة النجف الاشرف: ٣ / ٧٦.

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥.

(٣) مَرْحَبُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَهُودِيُّ، وَهُوَ مِنْ خَمِيرٍ، صَاحِبُ حَصِينِ خَيْبَرَ، قَتَلَهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، جَامِعُ الْأُصُولِ فِي أَحَادِيثِ الرَّسُولِ، ابْنُ الْأَثِيرِ: ١٢ / ٩٢١. ينظر: قبيلة حمير القحطانية، الشيخ علي الكوراني: ٩ / ٢٧.

(٤) اشارة الى باب قلعة اليهود، واسمها خيبر، وقد نقل البحراني في، وصف الباب: (انها أربعة اذرع في خمسة أشبار عمقا حجرا صلد). كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية). ينظر: بحار الانوار: ٩٩ / ١٢٨، حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، تح: الشيخ غلام رضا البروجردي: ٢ / ١٦٩، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٣٦٢.

(٥) هو عمرو بن عبد، ود بن مضر بن مالك بن حنبل بن عامر ابن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن الياس بن مضر، الذي قتل على يد الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الاحزاب. فقال النبي ﷺ أنه قال: (لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر وبن عبد، ود يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة)، ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تح: مصطفى عبد القادر عطا:

وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ، مُقَلَّبُ الصَّخْرَةِ عَنِ الْقَلِيبِ^(١)، وَمُسَخَّرُ قُلُوبِ الْأَصْفِيَاءِ، وَمُعْتَقُ الرِّقَابِ، بَوْلَائِهِ، وَسَاقِي الْأَوْلِيَاءِ^(٢)، مُجْدِّلُ الْأَبْطَالِ بِحُسَامٍ إِذَا تَقَاصَرَ قَطٌّ، وَإِذَا تَطَاوَلَ قَدٌّ، وَإِذَا أَظْلَهُمْ بَرِيقُهُ أَلْفَوْهُ حَرِيقُ النَّارِ، أَوْ أَشَدَّ. حَاطِمٌ

١٣/ ١٩. رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى: ٤/ ١١٧.

(١) إشارة الى الصخرة التي دحاها الامام علي عليه السلام عن مكانها، واخرج من تحتها الماء لأصحابه لما نفذ ما كان عندهم من الماء في طريقهم إلى صفين بعد ان عجزوا عن ازاحتها عن مكانها، فلما زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء. فتبادروا إليه، وشربوا منه، وكان أعذب ماء شربوا في سفرهم، وأبرده، وأصفاه، والقَلِيبُ: البئرُ قَبْلَ أَنْ تُطَوَّى أي قبل أن تبنى بالحجارة. ينظر: الارشاد، الشيخ المفيد، تح: مؤسسة البيت عليه السلام لتحقيق التراث: ١/ ٣٣٤، الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي: ٣٠٤، نهج الايمان، ابن جبر، تح: أحمد الحسيني: ٢٢٣، تاج العروس، مادة (قلب).

(٢) إشارة الى قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (يا علي، أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ومنجز عداقي، وحبيب قلبي، ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الأنبياء، وأنت أمين الله في أرضه، وأنت حجة الله على بريته، وأنت ركن الايمان، وأنت مصباح الدجى، وأنت منار الهدى، وأنت العلم المرفوع لأهل الدنيا، من تبعك نجا، ومن تخلف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت قائد الغر المحجلين، وأنت يعسوب المؤمنين، وأنت مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مؤمن، ومؤمنة، لا يحبك إلا طاهر الولادة، ولا يبغضك إلا خبيث الولادة، وما عرج بي ربي عز، وجل إلى السماء قط، وكلمني ربي إلا قال لي: يا محمد، اقرأ عليا مني السلام، وعرفه أنه إمام أوليائي، ونور أهل طاعتي، فهنيئاً لك - يا علي - على هذه الكرامة)، الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٨٣، المختصر، حسن بن سليمان الحلي، تح: سيد علي أشرف: ١٤١، الجواهر السنية، الحر العاملي: ٢٧٣، مستدركات علم رجال الحديث: ٢/ ٢٩٤.

أَعْظَمِ الْأَعَاضِمِ بِمَقَارِعِ الْحَدِيدِ، وَقَاصِمُ ظُهُورِ الْأَفَاحِمِ بِالْبَاسِ الشَّدِيدِ.
الْمُرْتَقِي فِي الْعُلَى، وَالْفَخَارِ ذُرْوَةَ السَّنَامِ، وَالْبَارِعِ فِي الْمَجْدِ، وَالْبَهَاءِ عَلَى الْأَنَامِ.
الإِمَامُ الْهُدَى، وَالْبَدْرُ التَّمَامُ، شِهَابُ اللَّهِ الثَّاقِبُ، وَأَسَدُ اللَّهِ الْغَالِبُ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ^(١)، عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَوَاتِ أَمَّتُهَا، وَأَسْنَاهَا مَا ذَرَّ شَارِقُ النَّهَارِ، وَمِنْ
التَّحِيَّاتِ أَبْهَاهَا، وَأَعَمَّتُهَا مَا ذَرَّ الْغَمَامُ بِالْأَمْطَارِ، يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهُ أَبَدًا،
وَيَرْحَمْهُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ: آميناً.

وَكُنْتُ قَدْ عَلَّقْتُ عَلَيْهِ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ مَا يُذَلِّلُ شَيْئًا مِنْ صِعَابِهِ
لِلنَّاطِرِينَ. وَأَضَاتُ بِمَصَابِيحِ الْإِيضَاحِ، بُذًا مِنْ مُعْضَلَاتِهِ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ.
وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْنَعُ بِهِ، مَنْ قَصُرَتْ بِهِ الْهَمَّةُ عَنْ تَوَقُّلٍ^(٢) شَوَامِخِ الْمَعَالِي،
وَيَتَنَهَجُ بِهِ مَنْ عَجَزَتْ طَوِيَّتُهُ^(٣) عَنْ اقْتِحَامِ اللَّجَجِ؛ لِإِقْتِنَاءِ فَرَائِدِ اللَّأَلَى.
ثُمَّ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ شَوَاهِقَ حَقَائِقِهِ لَا تَكَادُ تَصْعَدُهَا خُيُولُ الْحَوَاشِي، وَأَنَّ
رِيَاضَ دَقَائِقِهِ لَيْسَتْ مَرْتَعًا لِمِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاشِي، أَرَدْتُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ عَذَارِي
حِجَالِهِ^(٤) الْمَسْتُورَةَ فِي خُدُورِهَا جَلَابِيبَ الْخَفَاءِ، وَأَدُلَّ عَلَى مَعَادِنِ اللَّجَيْنِ^(٥)،

(١) إشارة الى قول النبي ﷺ: (علي أسد الله الغالب)، شرح إحقاق الحق، السيد

المرعشي: ٣١٩/٨.

(٢)، وقل: صعد، ويقال: توقلت الجبل أي علوته، لسان العرب، مادة (وقل).

(٣) الطوية: النية، ينظر: لسان العرب، مادة (طوي).

(٤) حجال: بيت يزين بالثياب، والأسرة، والستور، لسان العرب، مادة (حجل).

(٥) اللجين: الفضة لسان العرب، مادة (لجن).

وَمَنَابِعِ الْعُقَيَانِ^(١) مَنْ رَكِبَ مَتْنَ هَذَا الْمَهْمَةِ^(٢) الْيَهْمَاءِ^(٣)، لَكِنْ عَاقَنِي عَنْ ذَلِكَ عِلْمِي بِأَنَّ الْقَاعَ السَّمْلَقَ^(٤) "لَا يُمَسَّحُ"^(٥) بِالذَّرَاعِ، وَلَا تُنْجِي السَّابِحُ فِي الْقَمَقَامِ^(٦) الزَّاحِرِ سَعَةَ الْبَاعِ.

فَمَا زِلْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُثَبِّطُنِي عَنْهُ، وَأَشْوَاقٍ تُشَشِّطُنِي إِلَيْهِ، حَتَّى هَدَانِي دَاعِي التَّيِيدِ، "وَحَدَانِي"^(٧) سَائِقُ التَّوْفِيقِ بِأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ الْعَظِيمَ لَا يَتَعَاظَمُهُ خَطَرُ الْمَسَائِلِ. وَالتَّعَلَّقُ بِذَيْلِ الْعِترَةِ الطَّاهِرَةِ أَنْجَحَ الْوَسَائِلِ.

فَنَشَطْتُ عَنْ عِقَالِ الإِحْجَامِ، وَقُمْتُ عَلَى سَاقِ الإِقْدَامِ مُسْتَعِينًا بِفَضْلِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَشَرَعْتُ فِي شَرْحِهِ بِتَفْصِيلِ الْمَقَالِ، مُبَيِّنًا فِي مُهِمَّاتِ مَطَالِبِهِ الْمَذَاهِبَ وَالْأَقْوَالَ، وَمَا اكْتَرَثَتْ بِطُولِ الْكَلَامِ إِذَا دَعَا إِلَيْهِ الْمَقَامُ، وَلَا احْتَرَسْتُ عَنِ الإِطْنَابِ إِذَا مَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ لِمَحَقِّ الشُّكُوكِ، وَالْأَوْهَامِ. فَإِنَّ الصُّبْحَ، لَا يَقْمَعُ الظُّلْمَ، إِلَّا بِاسْتِطَارَةِ^(٨) الضِّيَاءِ. وَبِهِمْ اللَّيَالِي لَا تُدْبِرُ إِلَّا بِانْتِشَارِ أَسِنَّةِ سَنَاءِ الْبَيَاضِ.

(١) العقيان: الذهب الخالص، لسان العرب، مادة (عقا).

(٢) المهمة: المفازة البعيدة، تاج العروس، مادة (مهه).

(٣) اليهماء: الفلاة لا يهتدى فيها، الصحاح، مادة (يهم).

(٤) السملق: القاع المستوي الأملس، والأجرَد لا شجر فيه، لسان العرب، مادة (سملق).

(٥) في نسخة (ج) يُسَمَح.

(٦) القمقام: البحر، تاج العروس، مادة (قمم).

(٧) في نسخة (ج): حَدَانِي.

(٨) استطار: التفرُّق، والذهاب، ينظر: لسان العرب، مادة (طير).

وَتَصَفَّحْتُ فِي مَبَاحِثِ الْإِمَامَةِ كُلِّ غَثٍّ، وَ[سَمِينٍ] ^(١) مِنْ شُبِّهِ الْمُخَالَفِينَ، وَأَوْضَحْتُ نَهْجَ الرَّشَادِ فِيهَا لِلْمُهْتَدِينَ، بَيَانٍ مُبِينٍ، وَأَعْرَقْتُ نَزْعًا فِي نِضَالِ النَّاصِبِينَ فَرَشَقْتُهُمْ بِصَوَائِبِ سِهَامِ الْأَنْظَارِ، وَأَضْرَمْتُ فِي حَشِيشِ تَمْوِيهِاتِهِمْ حَتَّى أَصْبَحَتْ كَالرَّمْدِيدِ ^(٢) مُثَارَةً فِي عَوَاصِفِ الْأَفْكَارِ، وَمَا اخْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِمَا صَحَّحُوهُ مِنَ الْأَخْبَارِ فَأَشْرْتُ، [و: ٣] إِلَى مَا خِذَهَا دَفْعًا لِظَنِّ الْإِفْتِرَاءِ، وَلَمْ أَتَخَطَّ حِكَايَةَ الْأَلْفَاظِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَقْتَدِ بِهِمْ إِذَا ذَكَرُوا مَنْ نُصِّلِي عَلَيْهِ فَلَمْ يُصَلُّوا، أَوْ صَلَّوْا صَلَاةَ بَرَاءٍ ^(٣).

وَتَرَكْتُ الْخَوْضَ فِي الْقَصَصِ، وَالْأَثَارِ، إِلَّا إِذَا أُسِّسْتُ عَلَيْهَا الْمَقَاصِدُ، وَطَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ إِنْشَادِ الْأَشْعَارِ، وَإِيرَادِ الْمُنَاسَبَاتِ كَمَنْ حَاوَلَ تَكْثِيرَ السَّوَادِ ^(٤)، بِكُلِّ نَادٍّ، وَشَارِدٍ، وَأُورَدْتُ فِي كُلِّ مَقَامٍ مَا سَمَحَ بِهِ أَنْظَارُ الشَّارِحِينَ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ بِمَا سَنَحَ لِدَهْنِي الْقَاصِرِ، مُؤَمَّلًا أَنْ أَكُونَ فِي صَفْقَتِي مِنَ الرَّابِحِينَ، وَأَرْجُو مِنْ فَضْلِ مَنْ أَكَابِدُ سَعْيًا فِي تَوْضِيحِ كَلَامِهِ. أَنْ يَنْظُرَ إِلَى بَعَيْنِ التَّحْنُنِ، وَالرَّافَةِ، وَيُؤَيِّدَنِي بِالْهُدَايَةِ، وَالتَّسْدِيدِ عِنْدَ الْعَثَرَةِ، وَالزَّلَّةِ،

(١) من نسخة (ج).

(٢) الرَّمْدِيدُ: الرماد المتناهي في الاحتراق، والدَّفَقَةُ، ينظر: لسان العرب، مادة (رمد).

(٣) إشارة إلى حديث النبي ﷺ قال: (لَا تُصَلُّوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ الْبَرَاءِ، قالوا: وما الصَّلَاةُ الْبَرَاءِ؟ قال: تقولون: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَتُمْسِكُونَ، بل قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ). الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٤٦.

(٤)، ورد في حاشية نسختي (ب، ج) بمن حاول تكثير السواد: (المراد به هو عبد الحميد بن أبي الحديد).

وَأَتَرَقَّبُ مِنْ كَرَائِمِ جُودِهِ أَنْ يُجِيرَنِي مِمَّا أَخَافُهُ فِي حَيَاتِي، وَيَقَرَّرَ عَيْنِي بِأَنْ أَبْسُطَ
ذِرَاعِيَّ بِوَصِيدِهِ ^(١) بَعْدَ مَمَاتِي.

وَسَمَّيْتُ كِتَابِي هَذَا: (بِحَدَائِقِ الْحَقَائِقِ، فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ)،
وَالْمَأْمُولُ مِنَ النَّاظِرِينَ أَنْ لَا يَعْدِلُوا عَنْ مَنْهَجِ الْعَدْلِ، وَسَنَنِ الْإِنْصَافِ، وَلَا
يَنْظُرُوا إِلَيْهِ شِزْرًا ^(٢) بَعَيْنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْتِسَافِ ^(٣)، وَهَا أَنَا أُسْرِعُ إِلَى مَا قَصَدْتُهُ
مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ، وَالْإِكْرَامِ، وَأُشْرِعُ فِيهَا حَاوِلَتَهُ مُسْتَعِينًا بِفَضْلِ الْمَلِكِ
الْعَلَامِ، إِنَّهُ يُحَقِّقُ الْحَقَّ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، وَهُوَ حَسْبِي فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ،
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ^(٤).

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَنَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا، وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ
الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ
مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ الكهف: ١٨.

(٢) شزرا: هو نظر الغضبان بمؤخر العين، ينظر: الصحاح، مادة (شزر).

(٣) الاعتساف: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق، ينظر: لسان العرب، مادة
(عسف).

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران: ١٧٣.

مقدمة الشريف الرضي

قَالَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ الْحَائِزُ قَصَبَاتِ الْمَجْدِ، وَالْكَمَالِ، الصَّاعِدُ مَدَارِجَ الْعِلْمِ،
وَالْجَلَالِ، صَاحِبُ الْحَسَبِ الْمُنِيعِ، وَالنَّسَبِ الرَّفِيعِ، الشَّرِيفُ الرِّضِيُّ، الْمُلَقَّبُ
بِالرِّضِيِّ، أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أَحْمَدَ الْمُلَقَّبُ بِالطَّاهِرِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ (١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وبه نستعين] (٢).

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ ثَمَنًا لِنِعْمَائِهِ، وَمَعَاذًا مِنْ بَلَائِهِ، وَوَسِيلًا
إِلَى جَنَانِهِ، وَسَبَبًا إِلَى زِيَادَةِ إِحْسَانِهِ.

وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَإِمَامِ الْإِثْمَةِ وَسِرَاجِ الْأُمَّةِ، الْمُتَجَبِّ
مِنْ طِينَةِ الْكَرَمِ، وَسُلَالَةِ الْمَجْدِ الْأَقْدَمِ، وَمَغْرَسِ الْفَخَارِ الْمُعْرِقِ، وَفَرْعِ الْعَلَاءِ
الْمُثْمِرِ الْمُورِقِ.

وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ مَصَابِيحِ الظُّلَمِ، وَعِصَمِ الْأُمَمِ، وَمَنَارِ الدِّينِ الْوَاضِحَةِ،
وَمَثَاقِيلِ الْفَضْلِ الرَّاجِحَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، صَلَاةً تَكُونُ إِزَاءً لِفَضْلِهِمْ،

(١) ينظر ترجمته في: رجال النجاشي، أبو العباس النجاشي، تح: السيد موسى الشبيري
الزنجاني: ٣٩٨، معالم العلماء، ابن شهر آشوب: ٨٦، الرجال، ابن داود: ١٧٠، أمل
الآمل، الحر العاملي، تح: السيد أحمد الحسيني: ٢/ ٢٦١، طرائف المقال: ٤٧٤ / ٢،
معجم رجال الحديث: ٢٣ / ١٧.

(٢) من نسخة (ب).

وَمُكَافَأَةً لِعَمَلِهِمْ، وَكِفَاءً لَطِيبٍ فَرَعِهِمْ، وَأَصْلِهِمْ، مَا أَنْارَ فَجَرٌ سَاطِعٌ،
وَخَوَى نَجْمٌ طَالِعٌ.

فَأَنِّي كُنْتُ فِي عُنُقِ الْوَانِ السَّنِّ، وَغَضَاضَةِ الْغُصْنِ، ابْتَدَأْتُ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي
خَصَائِصِ الْأُئِمَّةِ عليهم السلام ^(١): يَشْتَمِلُ عَلَى مُحَاسِنِ أَخْبَارِهِمْ، وَجَوَاهِرِ كَلَامِهِمْ،
حَدَانِي عَلَيْهِ غَرَضٌ ذَكَرْتُهُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ، وَجَعَلْتُهُ أَمَامَ الْكَلَامِ، وَفَرَعْتُ
مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَخُصُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عليه السلام، وَعَاقَتُ عَنْ إِتْمَامِ بَقِيَّةِ
الْكِتَابِ مُحَاجَزَاتُ الْأَيَّامِ، وَمُطَاطَلَاتُ الزَّمَانِ.

وَكُنْتُ قَدْ بَوَّبْتُ مَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ أَبْوَاباً، وَفَصَّلْتُهِ فُصُولاً، [٤ : ظ]
فَجَاءَ فِي آخِرِهَا فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ مُحَاسِنُ مَا نُقِلَ عَنْهُ عليه السلام مِنَ الْكَلَامِ الْقَصِيرِ
فِي الْمَوَاعِظِ، وَالْحُكْمِ، وَالْأَمْثَالِ، وَالْأَدَبِ، دُونَ الْخُطْبِ الطَّوِيلَةِ، وَالْكُتُبِ
الْمَبْسُوطَةِ، فَاسْتَحَسَنَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْفَصْلُ الْمُقَدَّمُ
ذَكَرَهُ، مُعْجَبِينَ بِبَدَائِعِهِ، وَمُتَعَجِّبِينَ، مِنْ نَوَاصِعِهِ.

وَسَأَلُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ ابْتَدِئَ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى مُحْتَارِ كَلَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ فُنُونِهِ، وَمُنْشَعِبَاتِ ^(٢) غُصُونِهِ: مِنْ خُطْبٍ،
وَكُتُبٍ، وَمَوَاعِظٍ، وَأَدَبٍ. عَلِمًا أَنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مِنْ عَجَائِبِ الْبَلَاغَةِ، وَغَرَائِبِ
الْفَصَاحَةِ، وَجَوَاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَثَوَاقِبِ الْكَلِمِ الدِّينِيَّةِ، وَالْدُّنْيَاوِيَّةِ، مَا لَا يُوجَدُ

(١) كتاب خصائص الأئمة تأليف الشريف الرضي، تح: محمد هادي الأميني، طبع في

مجمع البحوث الإسلامية، الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران، ١٤٠٦ هـ.

(٢) في نسخة (ج): متشعبات.

مَجْتَمِعاً فِي كَلَامٍ، وَلَا مَجْمُوعَ الْأَطْرَافِ فِي كِتَابٍ؛ إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَسْرَعاً
الْفَصَاحَةِ، وَمَوْرِدَهَا، وَمَنْشَأَ الْبَلَاغَةِ، وَمَوْلِدَهَا، وَمِنْهُ عليه السلام ظَهَرَتْ مَكْنُونُهَا،
وَعَنْهُ أُخِذَتْ قَوَانِينُهَا، وَعَلَى أَمْثَلَتِهِ حَدَا كُلُّ قَائِلٍ خَطِيبٍ، وَبِكَلَامِهِ اسْتَعَانَ
كُلُّ، وَاعِظٍ بَلِيغٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَبَقَ، وَقَصَّرُوا، وَتَقَدَّمَ، وَتَأَخَّرُوا؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ عليه السلام الْكَلَامُ
الَّذِي عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَفِيهِ عِبْقَةٌ مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ. فَأَجَبْتُهُمْ
إِلَى الْإِبْتِدَاءِ بِذَلِكَ، عَالِماً بِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ النَّفْعِ، وَمَنْشُورِ الذِّكْرِ، وَمَذْخُورِ
الْأَجْرِ.

وَاعْتَمَدْتُ بِهِ أَنْ أَبَيِّنَ عَنْ عَظِيمِ قَدْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ،
مُضَافَةً إِلَى الْمَحَاسِنِ الدَّثَرَةِ مِنْهَا، وَالْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ، وَأَنَّهُ انْفَرَدَ بِبُلُوغِ غَايَتِهَا
مِنْ جَمِيعِ السَّلَفِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ؛ إِنَّمَا يُؤْثَرُ عَنْهُمْ مِنْهَا الْقَلِيلُ النَّادِرُ، وَالشَّاذُّ
الشَّارِدُ.

فَأَمَّا كَلَامُهُ عليه السلام فَهُوَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا يُسَاجِلُ، وَالْجَمُّ الَّذِي لَا يُحَافِلُ،
وَأَرَدْتُ^(١)، أَنْ يَسُوغَ لِي التَّمَثُّلُ فِي الْإِفْتِخَارِ عليه السلام بِهِ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ^(٢): [مَنْ

(١) فِي نَسْخَةِ (ج): أوردت.

(٢) أَبُو فِرَاسٍ، هَمَامُ بْنُ غَالِبٍ بْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَفِيَّانَ بْنِ
مَجَاشَعٍ بْنِ دَارِمٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمِ بْنِ الْبَصْرِيِّ، مِنْ
أَصْحَابِ السَّجَادِ عليه السلام، لَقِبَ بِالْفَرَزْدَقِ، لَجَهَامَةِ وَجْهِهِ، وَضَخَامَتِهِ، تَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ
سَنَةَ ١١٠ هـ، أَمَّا الْبَيْتُ فَهُوَ جُزْءٌ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَصْبُهَا فِي بَابِ الْإِفْتِخَارِ تَحْتَ
عَنْوَانٍ (مِنَّا الَّذِي) أَجَابَ بِهَا جَرِيرًا، يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ: خَزَانَةُ الْأَدَبِ، الْبَغْدَادِيُّ، تَحْقِيقُ،

[الطويل]

أُولَئِكَ آبَائِي، فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ
وَرَأَيْتُ كَلَامَهُ عليه السلام يَدُورُ عَلَى أَقْطَابٍ ثَلَاثَةٍ:

أَوَّلُهَا: الْخُطْبُ، وَالْأَوَامِرُ.

وِثَانِيهَا: الْكُتُبُ، وَالرَّسَائِلُ.

وِثَالِثُهَا: الْحِكْمُ، وَالْمَوَاعِظُ.

فَأَجْمَعْتُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِاخْتِيَارِ مُحَاسِنِ الْخُطْبِ ثُمَّ مُحَاسِنِ
الْكُتُبِ، ثُمَّ مُحَاسِنِ الْحِكْمِ، وَالْأَدَبِ، مُفْرِدًا لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ بَابًا، وَمُفَضَّلًا
فِيهِ أَوْرَاقًا؛ لِتَكُونَ لِاسْتِذْرَاكِ مَا عَسَاهُ يَشُدُّ عَنِّي عَاجِلًا، وَيَقَعُ إِلَيَّ آجِلًا.

وَإِذَا جَاءَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ عليه السلام الْخَارِجِ فِي أَثْنَاءِ حِوَارٍ، أَوْ جَوَابِ سَوَالٍ،
أَوْ غَرَضٍ آخَرَ مِنَ الْأَغْرَاضِ. فِي غَيْرِ الْأَنْحَاءِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَقَرَّرْتُ الْقَاعِدَةَ
عَلَيْهَا. نَسَبْتُهُ إِلَى أَلِيْقِ الْأَبْوَابِ بِهِ، وَأَشَدُّهَا مُلَاحَظَةً لِعَرَضِهِ.

وَرُبَّمَا جَاءَ فِيهَا اخْتَارُهُ مِنْ ذَلِكَ فُصُولٌ غَيْرُ مُتَّسِقَةٍ، وَمُحَاسِنُ كَلِمٍ غَيْرُ
مُنْتَظَمَةٍ؛ لِأَنِّي أُوْرِدُ النَّكْتَ، وَاللَّمَعَ، وَلَا أَقْصِدُ التَّوَالِي، وَالنَّسَقَ.

وَمِنْ عَجَائِبِهِ عليه السلام الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا، وَأَمِنْ الْمَشَارَكَةِ فِيهَا، أَنَّ كَلَامَهُ الْوَارِدَ

محمد نبيل طريفي، واخرون: ١/ ٢١٨، ديوان الفرزدق: ٣٦٠، تاريخ مدينة دمشق،
ابن عساكر: ١٠/ ٢٨٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير:
٢٠/ ٣، معجم رجال الحديث: ١٤/ ٢٧٦.

فِي الزُّهْدِ، وَالْمَوَاعِظِ، وَالتَّذْكِيرِ، وَالزَّوْاجِرِ، [٥: و] إِذَا تَأَمَّلَهُ الْمُتَأَمِّلُ، وَفَكَّرَ فِيهِ الْمُفَكِّرُ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلَامٌ مِثْلُهُ مِمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ، وَنَفَذَ أَمْرُهُ، وَأَحَاطَ بِالرَّقَابِ مُلْكُهُ، لَمْ يَعْتَزِضْهُ الشَّكُّ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ لَاحَظَ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهَادَةِ، وَلَا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، قَدْ قَبَعَ فِي كِسْرِ بَيْتٍ، أَوْ انْقَطَعَ إِلَى سَفْحِ جَبَلٍ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا حِسَّهُ، وَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا يَكَادُ يُوقِنُ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مَنْ يَنْعَمِسُ فِي الْحَرْبِ مُضْلِتًا سَيْفَهُ، فَيَقْطُرُ الرَّقَابَ، وَيُجَدِّلُ الْأَبْطَالَ، وَيَعُودُ بِهِ يَنْطَفُ دَمًا، وَيَقْطُرُ مُهَجًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ الْحَالِ زَاهِدُ الزَّهَادِ، وَبَدَلُ الْأَبْدَالِ^(١).

وهذه مِنْ فضائله العجيبة، وَخصائصه اللطيفة، الَّتِي جَمَعَ بِهَا بَيْنَ الْأَضْدَادِ، وَأَلْفَ بَيْنَ الْأَشْتَاتِ، وَكَثِيرًا مَا أَذَاكِرُ الْإِخْوَانَ بِهَا، وَأَسْتَخْرِجُ تَعَجُّبَهُمْ مِنْهَا، وَهِيَ مَوْضِعٌ لِلْعِبَرَةِ بِهَا، وَالْفِكْرَةِ فِيهَا.

وَرُبَّمَا جَاءَ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْإِخْتِيَارِ اللَّفْظِ الْمُرَدَّدِ، أَوِ الْمَعْنَى الْمَكْرَرِ، وَالْعُذْرُ فِي ذَلِكَ أَنَّ رِوَايَاتِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَرُبَّمَا اتَّفَقَ الْكَلَامُ الْمُخْتَارُ فِي رِوَايَةٍ فُنُقِلَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ وُجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى مَوْضُوعًا غَيْرَ وَضْعِهِ الْأَوَّلِ إِمَّا بِزِيَادَةٍ مُخْتَارَةٍ، أَوْ لَفْظٍ أَحْسَنَ عِبَارَةً فَيَقْتَضِي الْحَالُ أَنْ يُعَادَ اسْتَظْهَارًا لِلِاخْتِيَارِ، وَغَيْرَةٍ عَلَى عَقَائِلِ الْكَلَامِ.

وَرُبَّمَا بَعُدَ الْعَهْدُ أَيْضًا بِمَا اخْتِيرَ أَوَّلًا، فَأُعِيدَ بَعْضُهُ سَهْوًا، أَوْ نِسْيَانًا لَا قَصْدًا، وَاعْتِمَادًا، وَلَا أَدْعَى مَعَ ذَلِكَ أَنِّي أَحِيطُ بِأَقْطَارِ جَمِيعِ كَلَامِهِ، حَتَّى

(١) بدل الابدال: يعني الزاهد البار الصالح الذي هو بدل الأنبياء في الصلاح، والبركة، واستجابة الدعاء. ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٦/١.

لَا يَشِدُّ عَنِّي مِنْهُ شَاذٌ، وَلَا يَنْدُ نَادٌ، بَلْ لَا أُبْعِدُ أَنْ يَكُونَ الْقَاصِرُ عَنِّي فَوْقَ
الْوَاقِعِ إِلَيَّ، وَالْحَاصِلُ فِي رِبْقَتِي دُونَ الْخَارِجِ مِنْ يَدَيَّ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا بَذْلُ الْجِدِّ،
وَبَلَاغُ الْوُسْعِ، وَعَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَهْجُ السَّبِيلِ، وَرِشَادُ الدَّلِيلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَرَأَيْتُ مِنْ بَعْدُ تَسْمِيَةَ هَذَا الْكِتَابِ بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ إِذْ كَانَ يَفْتَحُ لِلنَّاطِرِ
فِيهِ أَبْوَابَهَا، وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ طَلَابَهَا، وَفِيهِ حَاجَةُ الْعَالِمِ، وَالْمُتَعَلِّمِ، وَبَغِيَّةُ الْبَلِغِ،
وَالزَّاهِدِ، وَيَمْضِي فِي أَثْنَائِهِ مِنْ عَجِيبِ الْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْعَدْلِ، وَتَنْزِيهِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ شَبِّهِ الْخَلْقِ مَا هُوَ بِأَلُّ كُلِّ غُلَّةٍ، وَشِفَاءُ كُلِّ عِلَّةٍ، وَجِلَاءُ
كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَسْتَمِدُّ التَّوْفِيقَ، وَالْعِصْمَةَ، وَأَتَجَزُّ التَّسْدِيدَ،
وَالْمَعُونَةَ، وَأَسْتَعِيذُهُ مِنْ خَطَا الْجَنَانِ قَبْلَ خَطَا اللِّسَانِ، وَمِنْ زَلَّةِ الْكَلِمِ قَبْلَ
زَلَّةِ الْقَدَمِ، وَهُوَ حَسْبِي، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

تَبَيَّنَ مَا يَكَادُ، يَخْفَى عَلَى بَعْضِ الْأَذْهَانِ

وَسِيلًا إِلَى جَنَانِهِ

الوسيلة: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْغَيْرِ، يُقَالُ: وَسَّلَ فُلَانٌ إِلَى رَبِّهِ، وَسِيلَةً،
وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ، إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ، وَيَجْمَعُ عَلَى الْوَسِيلِ، وَوَسَائِلُ^(١).
وَالْجَنَانُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ جَنَّةٍ بِالْفَتْحِ، وَهِيَ الْحَدِيقَةُ^(٢)، وَإِيرَادُهَا بِلَفْظِ الْجَمْعِ
بَعْدَ أَفْرَادِ الْبَلَاءِ إِيهَاءٌ إِلَى قِلَّةِ الْبَلَاءِ، وَاضْمَحْلَالُهُ فِي جَنْبِ الْإِلَاءِ

(١) ينظر: الصحاح، مادة (وسل).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (جنن).

الْمُتَّخَبُ ^(١) مِنْ طِينَةِ الْكَرَمِ

المتَّجب ^(٢) بالجيم، وكذلك المتَّخب بالخاء المعجمة المختار المُصْطَفَى، وقد ضُبِطَ فِي النُّسخِ الصَّحِيحَةِ [٦ : ظ] بهما، والطَّيْنَةُ أَخْصُ مِنَ الطَّيْنِ ^(٣)، وهي: القطعة منه، والطَّيْنَةُ: الخلقة، والجبلة ^(٤).

وَسُلَالَةُ الْمَجْدِ الْأَقْدَمِ

سُلَالَةُ الشَّيْءِ، بِالضَّمِّ: مَا اسْتُلَّ مِنْهُ، أَي: اسْتُخْرِجَ، وَتُسَمَّى النُّطْفَةُ سُلَالَةَ الْإِنْسَانِ ^(٥)، وَكَذَلِكَ الْوَلَدُ، وَالْمَجْدُ هُوَ الْكَرَمُ ^(٦)، وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ ^(٧): الشَّرْفُ، وَالْمَجْدُ يَكُونَانِ بِالْأَبَاءِ، وَالْحَسَبُ، وَالْكَرَمُ يَكُونَانِ فِي الرَّجُلِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ آبَاءُ شُرَفَاءَ ^(٨)، وَسُلَالَةُ الْمَجْدِ: فِرْعَهُ، كَمَا أَنَّ طِينَةَ الْكَرَمِ أَصْلُهُ، وَالْوَصْفُ بِالْأَقْدَمِ لِشَرَفِ آبَائِهِ عليه السلام، وَطَهَارَتِهِمْ مِنْ لَدُنِ آدَمَ عليه السلام.

(١) فِي نَسْخَةِ (ب): الْمُتَّجِبُ.

(٢) يَنْظُرُ: تَاجُ الْعُرُوسِ، الزَّبِيدِي، مَادَّةُ (نَجَب).

(٣) تَاجُ الْعُرُوسِ، لِلزَّبِيدِي، مَادَّةُ (طِين).

(٤) يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ، مَادَّةُ (طِين).

(٥) يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (سَلَل).

(٦) يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ، مَادَّةُ (مَجْد)، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (مَجْد).

(٧) أَبُو يُوسُفَ، يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الدُّورَقِيِّ، الْأَهْوَازِيُّ اللَّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الْمَشْهُورُ، لَهُ تَصَانِيفٌ، مِنْهَا: إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، أَلْزَمَهُ الْمُتَوَكَّلُ الْعَبَّاسِيُّ بِتَأْدِيبِ وَلَدِهِ، قَتَلَهُ فِيمَا بَعْدَ فِي حَادِثَةٍ مَعْرُوفَةٍ سَنَةَ ٢٤٤ هـ، يَنْظُرُ تَرْجُمَتُهُ: تَارِيخُ بَغْدَادَ: ١٤ / ٢٧٤، إِيضَاحُ الْإِسْتِبَاهِ، الْعَلَامَةُ الْحَلِي، تَحَدَّثَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْحَسُونُ: ٣٣٠، الرِّجَالُ، ابْنُ دَاوُدَ: ٣٠٦.

(٨) يَنْظُرُ: إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ، ابْنُ السَّكَيْتِ، تَحَدَّثَ مُحَمَّدُ مَرْعَبُ: ٢٩٨.

وَمَغْرَسَ الْفَخَارِ الْمَعْرِقِ

الفَخَار: بالكسر كما في النُّسخ الصَّحيحة^(١) المفاخرة، وهو: نشر المناقب، وذكر الكرام بالكَرَم يُقال: فاخرته ففخرته كنصرته، إذا غلبته^(٢) الفَخَار، بالفتح - على ما ذكره في القاموس هو: الفَخْر، كالفخارة^(٣).

قال الفاضل الشارح عبد الحميد بن أبي الحديد^(٤): قال لي إمامٌ من أئمة اللغة في زماننا: هو الفَخَار، بكسر الفاء، قال: وهذا مما يغلطُ فيه الخاصّة فيفتحونها، وهو غيرُ جائزٍ؛ لأنّه مصدر فَاخَرَ فاعل، يجيئ مصدره على فعال بالكسر لا غير، نحو قَاتَلْتُ قَتَالاً، ونازَلْتُ نِزَالاً، وعندي أنّه لا يبعد أن تكون الكلمة مفتوحة الفاء مصدر فخر لا فاخر، فقد جاء مصدر الثلاثي إذا كان عينه أو لامه حرف حلق على فعال بالفتح، نحو سمح سماحا، وذهب

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٣/١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (فخر).

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مادة (فخر).

(٤) عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المدائني نسبة إلى المدائن، الفاضل الأديب المؤرخ الحكيم الشاعر، شارح نهج البلاغة، وصاحب القصائد السبع المشهورة، كان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه في إحدى قصائده في مدح

أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

ورأيت دين الاعتزال وإنني أهوى لأجلك كل من يتشيع

ولد في ذي الحجة سنة ٥٨٦ هجرية، وتوفي ببغداد سنة ٦٥٥ هجرية، ينظر ترجمته: الكنى واللقاب: ١/١٩٣، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٢/٢٨٧.

ذهاباً، إلا أن يُنقل ذلك عن شيخٍ أو كتابٍ موثوق به نقلاً صريحاً؛ فتزول الشبهة ^(١) انتهى.

والعرق: الأصيل، يُقال: أعرق الرجل إذا صار عريقاً والعرقُ: أصل كلِّ شيء، ويكون للبدن، وللشجر ^(٢)، ومغرس الفخار: منبته، ومعدنه. وعَصَمِ الأُمم

العِصْمَةُ ما يَعِصُمُكَ مِنَ الْمَهَالِكِ، ومنه قول أبي طالب في مدح النَّبِيِّ ^(٣):
[من الطويل]

ثَمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

أي: يمنعهم من الضياع والحاجة.

ومنار الدين الواضحة

المنارُ: جمع مَنَارَةٍ، وهي: العلامة ومنه: منارُ الحرم للأعلام التي ضُرِبَتْ على أقطاره، ونواحيه ^(٤)، والمنارَةُ: مفعلةٌ مِنَ الاستنارة، بفتح الميم، والجمع:

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣ / ١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (فخر).

(٣)، وشطره:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ، جم، وشرح: محمد التوينجي: ٦٧.

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي: ١٢٧ / ٥.

المناور، بالواو؛ لأنَّ أصله مِنَ النُّورِ^(١)، ووجه تأنيث الواضحة واضحٌ.

ومثاقيل الفضل الرَّاجحة

قال ابن الأثير^(٢): (المِثْقَالُ في الأصلِ: مقدارٌ مِنَ الوزنِ، أيّ: كان شيءٌ مِنْ قليلٍ، أو كثيرٍ، ومثقالُ ذَرَّةٍ: وزنُ ذَرَّةٍ، والنَّاسُ يطلقونه في العُرفِ على الدِّينارِ خاصةً، وليس كذلك)^(٣).

ووصفها بالرَّاجحة؛ لأنَّه لا يُوازَنُ بفضلهم فضلٌ، وقيل: كونهم مثاقيل الفضل الرَّاجحة؛ لأنهم إذا اعتبر فضل غيرهم، ونَسَبَ بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة، لذلك الفضل يعتبر رجحان بعضه على بعض بالنسبة إليها^(٤)، ولا يخلو عَنْ بُعْدٍ^(٥).

(١) ينظر: الصحاح، مادة (نور).

(٢) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب عز الدين ولد بالجزيرة، ونشأ بها، وكانت ولادته في رابع جمادي الأولى سنة خمس، وخمسين، وخمسمائة، كان إماماً في حفظ الحديث، ومعرفة، وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة، والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب، وأخبارهم، وأيامهم، ووقائعهم، توفي في شعبان سنة ثلاثين، وستمئة، بالموصل من مصنفاته: الكامل في التاريخ، اسد الغابة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ينظر ترجمته: اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير: ٦/١، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح: د. إحسان عباس: ٣/٣٤٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/٢١٧.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١/١٠١.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/١٠١.

وَكِفَاءً لَطِيبَ فَرْعِهِمْ، وَأَصْلِهِمُ الْكِفَاءُ بِالْكَسْرِ: الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ^(١)، وَفِي شِعْرِ حَسَانٍ^(٢):

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ^(٣)

فَإِنِّي كُنْتُ فِي عُنْفَوَانِ السَّنِّ، وَغَضَاظَةِ الْغُصْنِ

الْفَاءُ جَزَاءُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ: أَمَّا بَعْدُ، وَعُنْفَوَانِ السَّنِّ: أَوَّلُهُ، وَوَزْنُهُ فُعْلَوَانُ مِنْ اعْتَنَفَ الشَّيْءَ إِذَا ابْتَدَأَهُ^(٤)، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: عُنْفَوَانُ شَبَابِي، وَهُوَ بَفَتْحِ الشَّيْنِ: الْحَدَاثَةُ^(٥)، وَالْغَضَاظَةُ بِالْفَتْحِ: النَّضَارَةُ وَالطَّرَاوَةُ^(٦).

حَدَانِي عَلَيْهِ غَرَضٌ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (كفأ)

(٢) أبو الوليد، حسان بن ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن ماتت بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، عاش حسان بن ثابت مائة، وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية، وستون في الإسلام، فكان حسان شاعر الإسلام الأول حتى أن رسول الله ﷺ قال له: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله، ورسوله). ينظر: المعجم الكبير، الطبراني، تحق، وتحذ: حمدي عبد المجيد السلفي: ٣٧ / ٤، صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ١٦٥ / ٧.

(٣) شطره:

وجبريل رسول الله فينا

ديوان حسان بن ثابت الانصاري: ٦.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (عنف).

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (شَبَب).

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (غَضَض).

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

حداه يحده، أي: بعثه وساقه^(١)، وفي أدعية الصحيفة السجادية^(٢):
(وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ، وَاحِدَةٌ)^(٣)، (وهو من حدو الإبل، فإنه من أكبر
الأشياء على سوقها وبعثها)^(٤).

مُحَاجَزَاتُ الْإَيَّامِ، وَمُطَالَاتُ الزَّمَانِ
المُحَاجَزَةُ: المُمَانَعَةُ، كَأَنَّ الْإَيَّامَ تُمَانِعُهُ عَنِ الْإِشْتَغَالِ، وَهُوَ يُمَانِعُ مَنَعَهَا لَهُ،
وَالْمُطَالَةُ: التَّسْوِيفُ [٧: ظ] بِالْعِدَّةِ وَالذَّيْنِ^(٥).

معجبين ببدائعهم، ومتعجبين من نواصعه
مُعْجِبِينَ، بَفَتْحِ الْجِيمِ، وَتَخْفِيفِهَا، عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ، مِنْ قَوْلِهِمْ:
أُعْجِبْتَ فُلَانٌ بِرَأْيِهِ وَبِنَفْسِهِ، فَهُوَ مُعْجَبٌ بِهَا، إِذَا صَارَ عِنْدَهُ مُحَلًّا؛ لِأَنَّهُ يَتَعَجَّبُ
مِنْهَا لِحُسْنِهَا، وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْعُجْبُ بِالضَّمِّ، وَتَعَجَّبَ مِنْ كَذَا، وَاسْتَعْجَبْتُ،

(١) ينظر: تاج العروس، مادة (حدو).

(٢) الصحيفة السجادية هي الصحيفة التي تشمل أدعية الإمام علي بن الحسين زين
العابدين عليه السلام، وكانت بإملائه، ونقلها عنه ولده الامامين الهمامين محمد الباقر،
وزيد الشهيد عليه السلام، ينظر: شرح العروة الوثقى، الشيخ مرتضى الحائري، تح: الشيخ
محمد حسين: ٣/ ٥٨٥.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، تح: حاج
عبد الرحيم أفشاري زنجاني: ٦٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٥٥.

(٥) ينظر: القاموس المحيط، مادة (مطل).

وعَجِبْتُ عَلَى صِيغِ الْمَعْلُومِ بِمَعْنَى ^(١).

وَالنَّاصِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْخَالِصُ، يُقَالُ: أَيْصُ نَاصِعٌ، وَنَصَعَ الْأَمْرُ وَضَحَ ^(٢) وَفِي بَعْضِ النَّسَخِ: مُعْجَبِينَ بِدَائِعِهِ، بِالتَّشْدِيدِ عَلَى صِيغَةِ الْفَاعِلِ، أَي: أَنَّهُمْ يَعْجَبُونَ غَيْرَهُمْ ^(٣).

مُشْعَبَاتُ غُصُونِهِ

الْإِنْشَعَابُ، وَالتَّشْعُبُ: التَّفَرُّقُ، وَانْشَعَبَ الطَّرِيقُ وَأَغْصَانُ الشَّجَرِ، وَتَشَعَّبَتْ: تَفَرَّعَتْ ^(٤)، وَرُوِيَتِ الْكَلِمَةُ بِالصِّيغَتَيْنِ عَلِمًا مَفْعُولٌ لَهُ، لِقَوْلِهِ: سَأَلُونِي، أَوْ مَصْدَرٌ سَدَّ مَسَدَ الْحَالِ، أَي: عَالِمِينَ.

جَوَاهِرُ الْعَرَبِيَّةِ، وَثَوَائِبُ الْكَلِمِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَاوِيَّةِ

الْجَوَاهِرُ: مُعَرَّبٌ، وَهُوَ كُلُّ حَجَرٍ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ شَيْءٌ يُتَنَفَّعُ بِهِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا وُضِعَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ ^(٥).

وِثَوَائِبُ الْكَلِمِ: مُضِيِّاتُهَا، كَأَنَّهَا تَتَقَبَّ بِنُورِهَا، وَمِنْهُ: الشَّهَابُ الثَّاقِبُ عَلَى مَا قِيلَ، وَإِنْ كَانَ يُحْتَمَلُ وَجْهًا آخَرُ ^(٦).

(١) ينظر: الصحاح، مادة (عجب).

(٢) الصحاح، مادة (نصع).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٥ / ١.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (شعب).

(٥) جِبِلَّتُهُ: خِلْقَتُهُ، ينظر: لسان العرب، مادة (جبل).

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (ثقب).

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

ويُروى: يواقيت الكَلِم، وهي أنسبُ بالجواهر بالمعنى الأوّل.

مَشْرَعُ الفَصَاحَةِ

المَشْرَعُ، وَالشَّرِيعَةُ، مَوْرِدُ الْمَاءِ، تَرْدُهُ الْعَطَشَى لِلشَّرْبِ^(١).

حَذَا كُلُّ قَائِلٍ

أي: اقتفى، واتبَعَ عَلَيْهِ مَسْحَةً مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وفيه عبقة مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ، يُقَال: عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنْ جَمَالٍ، أي: أَثَرُ^(٢).

وَعَبَقَةٌ مِنْ مِسْكِ

أي: رائحةٌ، وَالْعَبَقُ: لُزُوقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، وَرَجُلٌ عَبَقَ بِكسر الباء، إِذَا تَطَيَّبَ بِأَدْنَى طَيِّبٍ، فَبَقِيَ رِيحُهُ أَيَّاماً^(٣).

المَحَاسِنِ الدَّثَرَةِ

الدَّثَرَةُ: بفتح الدَّال، وَسُكُونِ الشَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ الْكثِيرَةِ، يُقَالُ لَهُ: مَالٌ دَثَرٌ، وَمَالَانِ دَثَرُوا أَمْوَالَهُمْ^(٤)، وَالْجَمَّةُ بِمعناها يُؤْثَرُ عَنْهُمْ، أي: يُنْقَل.

وَالشَّاذُّ الشَّارِدُ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (شرع).

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩٣ / ١.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (عبق).

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (دثر).

شَذَّ مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا خَرَجَ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ^(١)، وَشَرَّدَ الْبَعِيرَ إِذْ نَفَرَ، وَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ^(٢).

الْبَحْرُ الَّذِي لَا يُسَاجِلُ، وَالْجَمُّ الَّذِي لَا يُحَافِلُ

لَا يُسَاجِلُ بِالْجِيمِ، عَلَى صِيغَةِ الْمَجْهُولِ، أَي: لَا يُغَالِبُ فِي الْامْتِلَاءِ وَكَثْرَةِ الْمَاءِ، مِنَ السَّجَلِ، وَهُوَ: (الدَّلْوُ الْمَلِيءُ مَاءً، وَيَجْمَعُ عَلَى سَجَالٍ)^(٣) وَيُرَوَى: لَا يُسَاحِلُ، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، أَي: لَا يُؤْتِي سَاحِلَهُ، وَقِيلَ: لَا يُشَابِهُ فِي بُعْدِ السَّاحِلِ، وَلَا يَخْفِي بُعْدَهُ، وَلَا يُحَافِلُ، أَي: لَا يُفَاخِرُ بِالْكَثَرَةِ^(٤) يُقَالُ: ضَرَعُ حَافِلٍ، أَي: مَمْتَلئٌ كَثِيرُ اللَّبَنِ أَنْ يَسُوعَ لِي التَّمَثَّلُ فِي الْاِفْتِخَارِ بِهِ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ: التَّمَثَّلْ بِالْبَيْتِ إِنْشَادَهُ.

وَيَسُوعُ لِي، أَي: يَجُوزُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ^(٥): سَاعَ لَهُ كَذَا، أَي: جَازَ وَسَوَّغَهُ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (شذذ).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (شرد).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٤٤ / ٢.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ١٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٦ / ١.

(٥) أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري: صاحب الصحاح، الفارابي، كان من الفاراب: إحدى بلاد الترك، كان إماماً في النحو، واللغة، والصرف، ولع باللغة العربية، وأسرارها، أخذ عن السيرافي، وأبي علي الفارسي، صنّف الصحاح للأستاذ أبي منصور البيشكي، وأسمعه من أوله إلى باب الضاد المعجمة، ثم حاول الطيران فشد مصراعي باب على جنبه، ورمى بنفسه يروم الطيران فسقط، ومات، وذلك سنة ٣٩٨ هـ، ينظر ترجمته: لسان الميزان، ابن حجر: ١ / ٤٠٠، كشف الظنون، حاجي

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

له، أي: جَوَّزه^(١)، والمراد أن أكون مُصداقاً للبيت إذا أنشدته في مقام الافتخار بانتسابي إليه صلوات الله عليه.

وما ذكره بعض الشارحين، من أن قوله: يسوغ "لي"^(٢) التمثل مجازاً في الإسناد، فإنَّ السَّوْغ حقيقةٌ في الشَّرَابِ، فإسناده الى التمثل مجازٌ.

ووجه العلاقة: أنَّ التَّمثُلَ بما يريد إذا حُسِّنَ بَيْنَ النَّاسِ كان لذيذاً عنده، فأشبهه في لذاته، وجريانه بين النَّاسِ الماءُ الزُّلالُ في لذاته، وسهولة جريانه في الحلق^(٣)، فتكلَّفُ مُستغنى عنه.

فأَجْمَعْتُ بتوفيق الله تعالى على الابتداء

أجمعت الأمر وعليه: عزمت عليه، وأحكمتُ النِّيةَ، نصَّ عليه الجوهري^(٤)، وغيره ما ذكره بعض الشَّارِحِينَ من أنَّ [٨: و] تقديره: أجمعتُ عازماً على الابتداء^(٥)، فلا يخفى ما فيه الخارج في أثناء حوارِ أثناء الشيء.

خليفة: ٧ / ١٠٧١، هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي: ١ / ٢٠٩، الذريعة الى

تصانيف الشيعة: ٦ / ١٤٥، الأعلام، خير الدين الزركلي: ١ / ٣١٣.

(١) ينظر: الصحاح، مادة (سوغ).

(٢) في نسخة (ج): بي.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٣.

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (جمع).

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي

الحديد: ١ / ٤٨.

ومثانيه: تضاعيفه، جمعُ ثني بالكسر.^(١)

والحوار: الجواب^(٢).

نَسَبْتُهُ إِلَى أَلْيَقِ الْأَبْوَابِ بِهِ، وَأَشَدَّهَا مُلَاحَةً لِعَرَضِهِ

أي: ضَمَمْتَهُ إِلَى أَشَدِّ الْأَبْوَابِ مُشَابَهَةً بِمَقْصَدِهِ، وَالْمُلَاحَظَةُ: الْمَشَابَهَةُ، يُقَالُ: فِيهِ مَلَاحٌ مِنْ أَبِيهِ، أَي: مَشَابَهُ^(٣) وَيُرْوَى مُلَاحَةً، أَي: مُلَاءَمَةً^(٤).

قَدْ قَبَعَ فِي كِسْرِ بَيْتٍ، أَوْ انْقَطَعَ إِلَى سَفْحِ جَبَلٍ، لَا يَسْمَعُ إِلَّا حِسَّهُ، وَلَا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ

يُقَالُ: قَبَعَ الرَّجُلُ كَمْنَعٍ، إِذَا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي قَمِيصِهِ، وَقَبَعَ الْقَنْفَذُ إِذَا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي جِلْدِهِ^(٥)، وَكَسَرَ الْبَيْتَ: بِالْكَسْرِ أَسْفَلَ شُقَّةِ الْبَيْتِ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ مِنْ حَيْثُ يُكْسَرُ جَانِبَاهُ مِنْ عَنِ يَمِينِكَ، وَيَسَارِكَ، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ قَالَ: وَمِنْهُ قِيلَ: فُلَانٌ مَكَاسِرِي، أَي: جَارِي، وَكَسَرَ بَيْتَهُ إِلَى جَانِبِ كَسْرِ بَيْتِي^(٦)، وَقَالَ فِي الْعَيْنِ: الْكَسْرُ، وَالْكَسْرُ لُغْتَانِ؛ الشُّقَّةُ السُّفْلَى مِنَ الْخَبَاءِ، وَمِنْ كُلِّ قَبَّةٍ، وَغِشَاءٍ يُرْفَعُ أَخْيَانًا، وَيُرْخَى، حَتَّى يَقَالَ: لَنَا حَيْتِي

(١) ينظر: الصحاح، مادة (ثني).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (حور).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (لمح).

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (قبع).

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (كسر).

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

الصَّخْرَاءُ كَسْرَاهَا^(١)، وَسَفْحُ الْجَبَلِ: أَسْفَلُهُ، حَيْثُ يُسْفَحُ فِيهِ الْمَاءُ، أَي: يَسِيلُ عَلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَاهُ^(٢).

وَالْحِسَّ: بِكَسْرِ الْحَاءِ وَالْحَسِيسِ الصَّوْتِ الْخَفِيَّةِ^(٣)، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: يَسْمَعُ، وَحَسَّهُ، رَاجِعَانِ إِلَى مَنْ، أَي: لَا يَسْمَعُ إِلَّا صَوْتُ نَفْسِهِ لَانْقِطَاعِهِ عَنِ الْخَلْقِ وَعَدَمِ التَّفَاتِهِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَكَادُ يُوقِنُ بِأَنَّهُ "الظَّاهِرُ"^(٤) أَنَّهُ لَوْ قَالَ: لَا يَكَادُ يُجَوِّزُ أَنَّهُ إِلَى آخِرِهِ لَكَانَ أَوْلَى، وَلَعَلَّ مُرَادَهُ أَنَّهُ لَا يُوَقِنُ مَعَ عَمَلِهِ بِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ مَنْ كَانَ مُتَصِفًا بِالصِّفَاتِ الْآتِيَةِ، أَي: يَزُولُ يَقِينُهُ.

مَنْ يَنْغَمِسُ فِي الْحَرْبِ مُضْلِتًا سَيْفَهُ، فَيَقُطُّ الرِّقَابَ، وَيُجَدِّلُ الْأَبْطَالَ، وَيَعُودُ بِهِ يَنْطَفِ دِمَاءً، وَيَقْطُرُ مُهْجًا

انغمس في الحرب، أي: دخل وغاص كالغواص في البحر^(٥)، وَأَصْلَتْ سَيْفَهُ: جَرَّدَهُ مِنْ غِمْدِهِ^(٦)، وَالْقَطُّ: فَضَّلَ الشَّيْءَ عَرَضًا، وَمِنْهُ قَطُّ الْقَلَمِ، قَالَ الْجَوَاهِرِيُّ^(٧) فِي الْحَدِيثِ: (كَانَ سَيْفٌ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام إِذَا اعْتَلَى قَدًّا، وَإِنْ اعْتَرَضَ قَطًّا)^(٨)

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (كسر).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (سفع).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حسس).

(٤) في نسخة (ب): الظَّاهِرُ.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (غمس).

(٦) ينظر: مجمع البحرين، مادة (صلت).

(٧) الصحاح، مادة (قطط).

(٨) حيث جاء في المناقب: (كانت لعلِّي ضربتان: إذا تناول قد، وإذا تقاصر قط، وقالوا:

وَفِي النِّهَايَةِ: (إِذَا تَوَسَّطَ قَطٌّ) ^(١)، وَالْقَدُّ: هُوَ الْقَطْعُ طُولًا ^(٢)، وَمَنْ فَسَّرَ مِنَ الشَّارِحِينَ الْقَطُّ بِالْقَطْعِ طُولًا، فَقَدْ سَهَا ^(٣)، وَيَجْدُلُ الْأَبْطَالُ، أَي: يُلْقِيهِمْ عَلَى الْجَدَالَةِ، وَهِيَ كَسْحَابَةِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: أَرْضُ ذَاتِ رَمَلٍ رَقِيقٍ ^(٤) وَفِي الْحَدِيثِ: (أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طَبِئَتِهِ) ^(٥).

وَالْبَطْلُ مُحَرَّكَةٌ: الشُّجَاعُ؛ لِأَنَّهُ تَبَطَّلَ جِرَاحَتَهُ، فَلَا يَكْتَرِثُ لَهَا، أَوْ؛ لِأَنَّهُ تَبَطَّلَ عِنْدَهُ دِمَاءُ الْأَقْرَانِ ^(٦).

وَالنُّطْفَةُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ، وَالْقَلِيلُ، وَهُوَ بِالْقَلِيلِ أَحْصَى، وَقَدْ نَطَفَ الْمَاءُ يَنْطَفُ، وَيَنْطَفُ بِالضَّمِّ، وَالْكَسْرِ إِذَا قَطَرَ "قَلِيلًا" ^{(٧)(٨)}، وَالْمُهْجَةُ: الدَّمُّ، وَقِيلَ: دَمُ الْقَلْبِ خَاصَّةً، وَيُقَالُ: خَرَجَتْ مُهْجَتُهُ، إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ^(٩)، وَلَوْ كَانَ

-
- كَانَتْ ضَرْبَاتُهُ أَبْكَارَ إِذَا اعْتَلَى قَدًا، وَإِذَا اعْتَرَضَ قَطًّا، وَإِذَا أَتَى حَصْنًا هَدًّا، وَقَالُوا: كَانَتْ ضَرْبَاتُهُ مَبْتَكِرَاتٍ لَا عَوْنًا، مَنَاقِبَ آلِ أَبِي طَالِبٍ: ٣٥٥ / ١.
- (١) جَاءَ فِي حَدِيثِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كَانَ إِذَا عَلَا قَدًا، وَإِذَا تَوَسَّطَ قَطًّا) أَيِ قَطْعِهِ، عَرْضًا (نَصَفِينَ)، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ٨١ / ٤.
- (٢) يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (قَدَد).
- (٣) يَنْظُرُ: مِنْهَاجُ الْبَرَاةِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: ١٩ / ١.
- (٤) يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَادَّةُ (جَدَل).
- (٥) الْمُسْنَدُ، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: ١٢٨ / ٤.
- (٦) يَنْظُرُ: الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَادَّةُ (بَطْل).
- (٧) فِي نَسَخَتِي (ب، ج): قَلِيلًا قَلِيلًا.
- (٨) يَنْظُرُ: النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ٧٥ / ٥، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (نَطَف).
- (٩) يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ، مَادَّةُ (مَهْج).

المُراد بالمُهْجَة القلبُ، كان نسبة القطر إليها مجازاً، وبَدَلُ الأَبْدالِ هم: الزُّهاد، والعَباد^(١).

أَسْتَخْرِجُ عَجَبَهُمْ

بالتَّحريك، وَيُروى تعَجَّبهم، أي: استخرجه مِنَ القوَّةِ الى الفعل، وروي: عَجَبهم، بِالضَّمِّ^(٢) مِنْ قولهم: أُعْجِبُ فلانَ بِرَأْيِهِ، وبنفسه، فهو مُعْجَبٌ بهما^(٣)، أي: أَذْكَرُهم بها لتَظْهَر مَحَبَّتُهم لها، وميلهم إليها، وقيل: واستخرج عَجَبهم، أي: أَعْرَفهم أَنَّهُم عاجِزونَ عن أمثالها، فلا يبقى لهم حيثُذ عَجَبٌ بأنفسهم منها، أي: مِنْ أَجْلِ معرفتها^(٤) وَبُعْدُهُ ظاهراً، والموجود في النُّسخ الصَّحيحة الأولان.

اللفظُ المُردَّد، أو [٩: ظ] المَعْنَى المُكرَّر

المردَّد: هو المُكرَّر^(٥)، أي: ما أُعيد لفظاً أو معنى تَخْتَلِفُ اختِلافاً شديداً؛ أما لتكرَّر صُذور الكلام عنه الكَثَرَةُ في كُلِّ مقام بلفظ خاص، أو لسهو الرواة، وعدم اهتمامهم بالرواية على وجهها، أو لنقلهم بالمعنى، أو نقل بعضهم لها كذلك استظهاراً لاختيار الظَّهير المعين، واستظهر به، أي: أستعان به

(١) لم اقف على معناه في المعاجم.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ١ / ٤٥.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ٢٠، شرح نهج البلاغة: ١ / ١٠٥.

(٥) ينظر: مجمع البحرين، مادة (ردد).

واستظهر له، أي: استعان بغيره لحفظه، واستظهر عليه، أي: بغيره لدفعه^(١).

وَغَيْرَةً عَلَى عَقَائِلِ الْكَلَامِ

الغَيْرَةُ، بالفتح: مصدرٌ قولك: (غارَ الرَّجُلُ على أهله يَغَارُ غِياراً وِغَاراً)^(٢)، وهي حِمِيَّةٌ تَعْرِضُ "عن"^(٣) تخيُّل مشاركة الغير في أمرٍ مرغوب.

والعقائل: (جمع عقيلة، وهي في الأصل: المرأة الكريمة النَّفِيسة، ثُمَّ استعملَ في النَّفِيسِ الكريمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الذَّوَاتِ والمعاني)^(٤)، وسيجيئ في كلامه عليه السلام المختصُّ بعقائل كراماتك، ولا يندَّ نادٌّ نَدَّ البعير: أي شرد وذهب على وجهه^(٥).

بَذَلَ الْجُهْدَ

الْجُهْدُ، بالضم: الوُسْعُ والطَّاقَةُ، بالفتح المشقَّة، وقيل: المبالغة والغاية، وقيل: هُمَا لُغْتَانِ فِي الْوُسْعِ، وَالطَّاقَةُ فَأَمَّا فِي الْمَشَقَّةِ، والغاية فالفتح لا غير^(٦)، والمضبوط في النُّسخ بالضم^(٧)، وفي بعض النُّسخ بدل الجَدَّ^(٨).

(١) ينظر: الصحاح، مادة (ظهر).

(٢) الصحاح، مادة (غير).

(٣) في نسخة (ج): على.

(٤) النهاية في غريب الحديث، و الأثر: ٢٨٢ / ٣.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (ندد).

(٦) لسان العرب، مادة (جهد).

(٧) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي

الحديد: ٥٣ / ١، شرح نهج البلاغة: ٩١ / ١.

(٨) لم اقف عليها في شروح النهج.

بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ

النَّهْجُ: (الطَّرِيقُ الواضح) ^(١)، وهو بسكون الهاء، وأَمَّا النَّهْجُ بالتَّحْرِيكِ، فهو: تواتر النَّفْسِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَكَةِ، أو فعلٍ مُتْعِبٍ، وَالَّذِي سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: نَهْجُ السَّبِيلِ، بِالسَّكُونِ أَيْضاً، هُوَ: مصدر قولك: نَهَجْتُ الطَّرِيقَ، إِذَا أَوْضَحْتَهُ، وَأَبْنَتْهُ، يُقَالُ: اعمل على ما نَهَجْتُهُ لَكَ ^(٢).

وَيُقَرَّبُ عَلَيْهِ طَلَابُهَا

أَي: طَلِبُهَا، يُقَالُ: طَالَبْتَهُ مُطَالَبَةً، وَطَلَاباً ^(٣).

وَبَغْيَةِ الْبَلِغِ

الْبَغْيَةُ، بكسر الباء وضمُّها: مصدر قولك: بَغَيْتُهُ أَبْغِيَهُ، إِذَا طَلَبْتَهُ، وبمعنى: مَا يُبْتَغَى وَيُرَاد ^(٤).

بِلَالٍ كُلِّ غَلَّةٍ

البلال ككتاب، و"يثلث" ^(٥) (ما يبلّ الحلق من ماءٍ أو لبنٍ أو غيرهما) ^(٦)،

(١) الصحاح، مادة (نهج).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (نهج).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (طلب).

(٤) ينظر: القاموس المحيط، مادة (بغو).

(٥) في نسخة (ب): مثله.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٥٣.

والغلة بالضم: حرارة العطش^(١).

وَجَلَاءُ كُلِّ شُبْهَةٍ

الجلَاءُ في السيف إزالة ما يعرض له من الكدر، أي: جلاء الذهن عن كل شُبْهَةٍ^(٢).

واتنجز التسديد

[تنجز الحاجة أستنجزها أستنجزها]^(٣): إنجاز الوعد إحضاره^(٤)، أي: أسأله أن لا يؤخر عني تسديده وهدايته.

من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان

الجنان: القلب، والروح^(٥)، والخطء بالسكون، والخطأ بالتحريك، والخطأ بالمد: ضد الصواب^(٦) [وفي النسخ: بالقصر]^(٧)، والقبليّة لكون خطأ الجنان أفحش، وكذلك زلة الكلم أفحش من زلة القدم؛ فإن زلة اللسان قد لا ينهض صريعها، ولا يُستقال عثرتها.

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (غلل).

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٩٦ / ١.

(٣) من نسخة (ب).

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (نجز).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (جنن).

(٦) القاموس المحيط، مادة (خطأ).

(٧) من نسخة (ب).

باب المختار من خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

الاختيار من كلامه عليه السلام بالنظر الى كون بعض الكلمات أوفق بالأغراض، وأنسب بالمقام أحياناً من بعضها، أو لاستغراب بعضها، ونحو ذلك، ومع ذلك لا يخلو عن سوء أدب، وتفويت لكثير من الفوائد التي لا تقتبس إلا من أنوار أهل البيت عليه السلام. وسأذكر في أثناء الشرح - إن شاء الله سبحانه - ما ظفرت به مما تركه السيد الرضوي رحمه الله مع إيضاح يصل إليه فكرى العليل، وبياني الكليل، وعلى الله أتوكل في جميع أموري، وهو حسبي، ونعم الوكيل. ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحظورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة، الظاهر من كلام بعض أهل اللغة تخصيص [١٠ : و] الخطبة بما يكون على المنبر، ولعله الأكثر منها.

وقيل هي: (الكلام المنشور المسجع)^(١)، ولعله تعريف بالأعم مطلقاً، بل من وجه، وقيل: (تختص في العرف بالتذكير بأيام الله، وأمر الآخرة، وعذاب النار، ونحو ذلك)^(٢)، وقال في العين: الخطبة تكون في النكاح، وفي الموعظة،

(١) وفيه: (الخطبة): وهي الكلام المنشور المسجع الذي يلقي على المنبر، واشتقاقها من الخطب، وهو الشأن، لأن العرب إذا دهمهم أمر اجتمعوا له، وخطبت ألسنتهم فيه، أو من المخاطبة لأنه يخاطب فيه بالأمر، والنهي، أو من الأخطب، وهو ذو الألوان من كل شيء؛ لأنها تشتمل على فنون الكلام، سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود: ٤٥٤ / ١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٩٤ / ١.

والمقامات^(١)، جمع مَقَامَة بفتح الميم، وهي: المجلس الذي يجتمع إليه الناس، ويكونُ اسماً للجماعة^(٢)، ويُروى المحضورة، بالصَّادِ الْمُعْجَمَة؛ الَّتِي يُحْضَرُهَا النَّاسُ^(٣)، وهذه الرواية انسب بالمعنى الأول، وبالصَّادِ الْمُهْمَلَة، أي: المَعْدُودَة المضبوطة^(٤)، فيكونُ على وتيرة قوله: المواقف المذكورة.

والخطوب بالضم: جمعُ خَطْبٍ بالسَّكون، وهو: الأمرُ الَّذِي تقع فيه الْمُخَاطَبَة والشَّأْنُ والحَالُ، والخطوبُ الوَارِدَة، أي: السَّوَاحِجُ مِنَ الْأُمُورِ^(٥)، ولو حُمِلَ قوله المواقف المذكورة على المشهورة، وكانت المحضورة بالمُعْجَمَة كان التلاءم بين أجزاء الكلام أتم.

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (خطب).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (قوم).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حضر).

(٤) ينظر: مجمع البحرين، مادة (حصر).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (خطب).

فَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ يَذْكُرُ فِيهَا ابْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ،
وَخَلْقِ آدَمَ ﷺ (١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ﴾ (٢)

الحمدُ - على المشهور - هو: الثناء على الجميل الاختياري من نعمة، أو غيرها، والمدح هو: الثناء على الجميل مُطلقاً، والشُّكرُ مُقابلة النعمة قولاً، وعملاً واعتقاداً.

فالحمدُ: أعمُّ مِنَ الشُّكرِ مُتعلّقاً، وأخصُّ مَورِداً، والمدحُ: أعمُّ منه مُطلقاً وَمِنَ الشُّكرِ مِن وجهٍ، والدُّمُّ: نقيضُ الحمدِ، والكُفْرَانُ: نقيضُ الشُّكرِ (٣)، وقيل: الحمدُ؛ هو القولُ الدالُّ على اختصاص المنعمِ بفضيلة الإحسانِ، والشُّكرُ: مُحتصٌّ بالإنعام الواصلِ الى الشَّاكرِ، والمدحُ: يكونُ للحَيِّ وغيره، وللمُختارِ وغيره، وقيل: الإحسانُ وبعده، فيكونُ أعمُّ مِنْهُمَا، كما أنَّ الأوَّلَ أعمُّ مِنَ الثَّانِي.

وقيل: الحمدُ والشُّكرُ مُترادِفَانِ؛ لِأَنَّهُ يُوضَعُ كُلُّ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ (٤)

ويُقالُ: الحمدُ لله شُكْرًا، وهو الأظهرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَرَجَّحَهُ

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٧.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٠١-٢٠٣.

شيخ الطائفة^(١) في التبيان قال: (وهو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم)^(٢)، وقيل: بترادف الحمد، والمدح أيضاً^(٣).

قال بعض الشارحين: وعليه أكثر الأدباء، والمتكلمين، ولعله الأظهر من كلامه عليه السلام في هذا المقام، ثم إنه عليه السلام اعترف أولاً بالعجز عن القيام بحمده في جملة القائلين؛ لأنه أبلغ في المقام، وأكمل الأفراد^(٤).

وروى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(١) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي ولد في طوس سنة ٣٨٥ هـ، انتقلت إليه الزعامة بعد وفاة السيد المرتضى، وهاجر من بغداد إلى النجف سنة ٤٤٨ هـ، له مؤلفات أكثر من خمسين في الفقه، والأصول، والكلام، والتفسير، وغيره، توفي ليلة الاثنين ٢٢ محرم سنة ٤٦٠ هـ، ينظر: رجال النجاشي: ٤٠٣، تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقاني، تح: الشيخ محيي الدين المامقاني: ٣ / ١٠٤، الكنى والالقب: ٢ / ٣٩٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، تح: تصد: أحمد حبيب العاملي: ١ / ٢٤٠.

(٣) نجد ان الزمخشري لم يفرق بينهما، وذكرهما في تفسير سورة فاتحة الكتاب: (الحمد، والمدح أخوان). بمعنى، واحد، ينظر: الفروق اللغوية: ٢٠٣، تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي: ٨ / ١.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٥٨.

(٥) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي السلسلي البغدادي، الأعور، فقيه، محدث، ثقة، وجه الشيعة، وشيخهم، هاجر من، وطنه « الري » إلى بغداد، وسكن في درب السلسلة بباب الكوفة، أدرك زمان سفراء صاحب الزمان عليه السلام، وروى عن كبار المحدثين، ويروى عنه أعاضهم، وله تصنيفات منها تأليفه المعروف بالكافي في عشرين سنة الذي هو كاف للشيعة، وفي سنة، وفاته اختلاف،

(أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُوسَى، اشْكُرْنِي حَقَّ شُكْرِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ؟ وَلَيْسَ مِنْ شُكْرِ أَشْكُرُكَ بِهِ إِلَّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، الْآنَ شَكَرْتَنِي، حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي) (١).

وَالْخَبْرُ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَقَبُولُ الشُّكْرِ بِالاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ أَيْضاً مِنْ آلَاءِهِ، وَتَفَضُّلَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَالْمَدْحَةُ: الْهَيْئَةُ الَّتِي يَكُونُ الْمَادِحُ عَلَيْهَا فِي مَدَحِهِ، وَإِضَافَةُ الْمَدْحَةِ إِلَى الضَّمِيرِ لِلإختصاصِ الْخَاصِّ، أَي: الْمَدْحَةُ الَّتِي تَلِيْقُ بِكَرَمِ وَجْهِهِ عَزَّ جَلَالُهُ، وَعَدَمُ بُلُوغِ الْقَائِلِينَ (٢)، أَمَّا لِعَجْزِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ - وَإِنْ كَانَ بَلِيغاً كَامِلاً - عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ، وَنُعُوتِ الْكَمَالِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ سَيِّدُ الْحَامِدِينَ، وَأَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ ﷺ الطَّاهِرِينَ: (لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ) (٣) وَأَمَّا لِعَدَمِ [١١ : ظ] بُلُوغِهِمْ هَذِهِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى، وَلَوْ اجْتَمَعُوا مُتَعَاوِنِينَ.

مِنْهَا مَا قَالَهُ النِّجَاشِيُّ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٩ سَنَةِ تَنَاقُصِ النُّجُومِ، يَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ: رِجَالُ النِّجَاشِيِّ: ٣٧٧، رِجَالُ ابْنِ دَاوُدَ، تَحَدُّ: السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ صَادِقِ آلِ بَحْرِ الْعُلُومِ: ١٨٧، خِلَاصَةُ الْأَقْوَالِ، الْعَلَامَةُ الْحَلِيِّ، تَحَدُّ: الشَّيْخِ جَوَادِ الْقِيُومِيِّ: ٢٤٥، نَقْدُ الرِّجَالِ، السَّيِّدِ مُصْطَفَى بْنِ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ التَّفَرُّشِيِّ، تَحَدُّ: مُؤَسَّسَةِ آلِ الْبَيْتِ ﷺ لِأَحْيَاءِ التَّرَاثِ: ٣٥٢ / ٤.

(١) الْكَافِي: ٩٨ / ٢ ح ٢٧.

(٢)، وَفِيهِ (الْمَدْحَةُ بِالْكَسْرِ: الْحَالَةُ الَّتِي تَكُونُ الْمَادِحُ عَلَيْهَا فِي مَدَحِهِ، وَالْإِضَافَةُ لِلإختصاصِ الْخَاصِّ أَيْ الْمَدْحَةُ اللَّائِقَةُ بِعِزَّةِ جَلَالِهِ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ عَجْزَ جَمِيعِ الْقَائِلِينَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا)، يَنْظُرُ: بِحَارِ الْأَنْوَارِ: ١٧٨ / ٥٤.

(٣) الْجَامِعُ الصَّحِيحُ، مُسْلِمُ بْنُ الْحُجَّاجِ: ٥١ / ٢، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُونَ﴾^(١)

وفي بعض النسخ: نِعَمَه، بصيغة الجمع^(٢) قال بعض الشارحين: (الإحصاء إنهاء العدِّ، والإحاطة بالمعدود، يُقال: أَحْصَيْتُ الشَّيْءَ، أي: أُنَيْتُ عَدَدَهُ، وهو من لواحق العدِّ، ولذلك نُسِبَ الى العَادِينَ)^(٣) انتهى.

وفيه نظرٌ: أمّا أولاً: فلأنَّ ما ذَكَرَهُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ، وإن كان يُنَاسِبُ الْمَقَامَ، وَيُنَاسِبُ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤)، لكنّه خِلَافٌ مَا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

قال الجوهري: أَحْصَيْتُ الشَّيْءَ عَدَدَتَهُ، وقولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ حَصًى، أي: عَدَدًا^(٥) قال الأعشى^(٦)

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) ينظر: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١/ ٢٩٤، بحار الانوار: ١٧٦/ ٥٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٠٧، تفسير المحيط الأعظم، والبحر الخضم في تأويل كتاب

الله العزيز المحكم، السيد حيدر الأملي، تح: السيد محسن الموسوي التبريزي: ٢/ ١٥٥.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: ٣٤.

(٥) الصحاح، مادة (حصا).

(٦) أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد ابن ضبيعة

بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن

هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان،

ويقال له أبو بشر الثعلبي، المعروف بأعشى قيس من شعراء الجاهلية الأول، أحد

أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام، ولم يسلم، ينظر ترجمته: إكمال الكمال، ابن

يُفْضَلُ عَامِرًا عَلَى عَلْقَمَةَ^(١):

وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى وَإِنَّمَا الْعِدَّةُ لِلْكَاثِرِ

وكذا صرح به غيره بعدم الفرق^(٢)، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾^(٣) على بعض التفسير.

وقيل: احصيه، أي: قهرهم بقدرته وعدّهم، أي: أحاط بهم علماً^(٤)، ونقل شيخ الطائفة في التبيان^(٥) عن الزجاج^(٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَى

ماكولا: ١/ ٣٢٠، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تح: علي شيري: ٦١/ ٣٢٧، الكنى واللقاب: ٢/ ٤٣، مستدركات علم رجال الحديث: ١/ ٦٩٤.

(١) ينظر: ديوان الاعشى: ٢/ ٢٦.

(٢) لم اقف عليه في بطون الكتب.

(٣) مريم: ٩٤.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/ ٢٥٥.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٥٩.

(٦) أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج، أديب نحوي، كان من أهل الفضل، والدين حسن الاعتقاد، وحسن المذهب، له مصنفات حسان في الأدب، و اللغة منها: معاني القرآن، والأمل، وغيرها. روى عنه علي بن عبد الله بن المغيرة، وغيره تتلمذ على المبرد، وثعلب، اما نسبة الزجاج فكان يخرط الزجاج فنسب إليه، توفي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣١١هـ، ينظر ترجمته: تاريخ بغداد: ٦/ ٨٩، الكنى، والألقاب: ٢/ ٢٨٧، خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي: ٨/ ٣٩.

كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١﴾، أَنَّهُ جَعَلَ عَدَدًا بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَقَالَ: تَقْدِيرُهُ، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ إِحْصَاءً، وَكَلَامٌ غَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ كَالصَّرِيحِ فِي عَدَمِ الْفَرْقِ ﴿٢﴾.

وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلَأَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِ إِطْلَاقُ الْعَدِّ عَلَى الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ، وَلَوْ بَعْضًا، وَفِيهِ تَأَمُّلٌ، وَالظَّاهِرُ: أَنَّ عَدَّ الْجُمْلَةِ لَا يَصْدُقُ حَقِيقَةً إِلَّا عَلَى الْإِحَاطَةِ بِهَا جُمْلَةً، وَإِنَّ الْإِحْصَاءَ مُرَادِفٌ لِلْعَدِّ. ﴿٣﴾

وَحِينَئِذٍ: فَلَمُرَادُ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ - : أَنَّهُ لَا يُعَدُّ نِعْمَاءَهُ، وَلَا يَقْدَرُ عَلَى إِحْصَائِهَا الْعَادُّونَ، أَيِ: الَّذِي شَأْنُهُمْ عَدُّ الْأَشْيَاءِ وَاحْصَائُهَا، "أَوْ" ﴿٤﴾ الْمُرِيدُونَ لِعَدِّ نِعْمَائِهِ سَبْحَانَهُ وَاحْصَائِهَا الْمُعْتَرِضُونَ لِهَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، أَوِ الْعَادُّونَ لَهَا فِي الْجُمْلَةِ مَجَازًا، وَيَنْبَغِي حَمْلُ الْإِحْصَاءِ عَلَى الْإِحَاطَةِ الْعِلْمِيَّةِ، حَتَّى يَكُونَ إِقْرَارًا بِالْقُصُورِ عَنِ الشُّكْرِ الْجَنَائِي بَعْدَ الْاعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنِ اللَّسَانِ، وَلَا سِتْلَازِمَهُ لَهُ لِعَدَمِ الْاعْتِنَاءِ بِالْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي حَمْلُ قَوْلِ الْإِمَامِ عليه السلام:

(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن: ٢٨.

(٢) جَاءَ فِي الْمَعَانِي: (،) وَنَصَبَ (عَدَدًا) عَلَى ضَرَبَيْنِ، عَلَى مَعْنَى، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ فِي حَالِ الْعَدِّ، فَلَمْ تَحْفَ عَلَيْهِ سَقُوطُ، وَرَقَّةٌ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ، وَلَا يَابِسٌ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ (عَدَدًا) فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ الْمَحْمُولِ عَلَى مَعْنَى، وَأَحْصَى، لِأَنَّ مَعْنَى أَحْصَى، وَعَدَّ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، يَنْظُرُ: مَعَانِي الْقُرْآنِ، الزَّجَاجُ، تَحَدُّ: الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَلِي الصَّابُونِي: ٥/ ٣٣٨.

(٣) يَنْظُرُ: دِيْوَانُ الْأَعَشَى: ٢/ ٢٦.

(٤) فِي نَسْخَةِ (ج): وَ.

﴿وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ﴾^(١) عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الْوُضُوءِ الْأَرْكَانِيَّةِ.

﴿الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ﴾^(٢)

الهِمَّةُ: مَا هُمَّ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيُفْعَلَ، وَهَمَّ بِالْأَمْرِ: إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَالْهِمَّةُ: الْقَصْدُ وَالْإِرَادَةُ، وَبُعْدُ الْهِمَّةِ: عُلوُّهَا وَتَعَلُّقُهَا بِعَلَيَّاتِ الْأُمُورِ^(٣).

وَالنَّيْلُ: بِالْفَتْحِ: الْوُصُولُ وَالْإِصَابَةُ، نَالَهُ يَنَالُهُ وَيَنْيَلُهُ نَيْلاً وَنَالاً^(٤).

وَالْغَوْصُ: الْخَوْضُ فِي الْمَاءِ^(٥)، وَالْفِطْنُ: بِكَسْرِ الْفَاءِ، وَفَتْحِ الطَّاءِ، جَمْعُ فِطْنَةٍ بِالْكَسْرِ: الْحَدُّقُ، وَجَوْدَةُ اسْتِعْدَادِ الذَّهْنِ لِتَصَوُّرِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ، يُقَالُ: فِطْنَنِي بِهِ وَإِلَيْهِ وَلَهُ، كَفَرِحَ وَنَصَرَ وَكَرَّمْ، فَطْنَا مُثْلَثَةً بِالتَّحْرِيكِ، وَبِضْمَتَيْنِ وَفُطُونَةً، وَفَطَانَةً بِالْفَتْحِ، فَهُوَ فِطْنٌ، بِكَسْرِ الطَّاءِ، وَفَاطِنٌ، وَفَاطِينٌ^(٦).

أَسَدَ الْكَلِمَاتِ الْعَجَزَ عَنِ الْإِدْرَاكِ إِلَى بُعْدِ الْهِمَمِ، وَغَوْصُ الْفِطَنِ دُونَ الْهِمَمِ الْبَعِيدَةِ، وَالْفِطْنُ الْغَائِصَةُ: مُبَالِغَةٌ فِي عَدَمِ إِدْرَاكِهِ سُبْحَانَهُ بِالْهِمَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ عَالِيَةٌ، وَبِالْفِطْنَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ غَائِصَةٌ.

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مادة (همم).

(٤) لسان العرب، مادة (نيل).

(٥) المصدر نفسه، مادة (غوص)، وفيه: (الغَوْصُ: الدُّخُولُ فِي الْمَاءِ، غَاصَ فِي الْمَاءِ غَوْصاً، فَهُوَ غَائِصٌ).

(٦) تاج العروس، مادة (فطن).

وإسنادُ الغوصِ إلى الفِطْنِ لتشبيهِ المعقولاتِ بالماءِ، والفِطْنُ بالغَوَاصِ
الَّذِي يَغوصُ في البحرِ لإخراجِ الدُّرِّ وحركتها بحركته في النُّزولِ مُقَابِلًا
لِلصُّعُودِ المُسْنَدِ إلى الهِمَمِ، أي: لَا يَصِلُ إليه الأذهان والفِكرُ بوجهٍ مِنَ الوجوه.

﴿الَّذِي [١٢:و] لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعَتْ مُوجُودٌ، وَلَا وَقْتُ

مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ﴾^(١)

قال الجوهريُّ: وَصَفْتُ الشَّيْءَ وَصْفًا وَصِفَةً، والهَاءُ عوضٌ مِنَ الواوِ،
والصِّفَةُ كَالْعِلْمِ، وَالسَّوَادِ.

وَأَمَّا النَّحْوِيُّونَ، فَلَيْسَ يُرِيدُونَ بِالصِّفَةِ هَذَا؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ عِنْدَهُمْ هِيَ
النَّعْتُ، وَالنَّعْتُ هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، أَوْ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمَا مِنْ طَرِيقِ
الْمَعْنَى، نَحْوُ: مِثْلُ وَشَبَهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ^(٢).

وَالْحَدُّ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ، وَالْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَمُنْتَهَى الشَّيْءِ^(٣)، وَفِي عُرْفِ
الْمُنْطَلِقِيِّينَ، التَّعْرِيفُ بِالذَّاتِ.

وَالنَّعْتُ: وَصْفُ الشَّيْءِ بِمَا فِيهِ مِنْ حُسْنٍ، وَلَا يُقَالُ: فِي الْقَبِيحِ إِلَّا بِتَكْلُفٍ،
وَالْوَصْفُ أَعَمُّ^(٤).

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (وصف).

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (حدد).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٩ / ٥، الفروق اللغوية: ٥٤٥.

والوقت: (المقدار من الدهر، وأكثر ما يُستعمل في الماضي)^(١).

والأجل: غاية الوقت، ومُدَّة الشَّيء^(٢).

قال الفاضل الشَّارح عبد الحميد بن أبي الحديد: المراد بالصِّفة هاهنا كُنْهه، وحقيقته، أي: ليس لكنْهه حدٌّ فيُعرَفُ بذلك الحدَّ، قياساً على الأشياء المحدودة؛ لأنَّه ليس بمركَّب، وكلُّ محدودٍ مركَّب، والمراد بالنَّعت الموجود: الرِّسم، أي: لا يُدرَك بالرِّسم كما يُدرَك الأشياء برسومها؛ وهو أن يُعرَفَ بلازم من لوازمها، وصفة من صفاتها^(٣)، وقوله عليه السلام: ﴿لَا وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ﴾، وفيه إشارة إلى الرَّدِّ على مَنْ قال: إِنَّا نَعْلَمُ كُنْهَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْقَائِلِينَ بِرُؤْيَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي الْآخِرَةِ، يقولون: إِنَّا نَعْرِفُ حِينَئِذٍ كُنْهَهُ، فردَّ عليه السلام قولهم، وقال: إِنَّهُ لَا وَقْتَ أَبَدًا يُعْرَفُ فِيهِ حَقِيقَتُهُ وَكُنْهَهُ، وهو الحقُّ؛ لأنَّ الرُّؤْيَا تستلزم كونه تعالى في جهةٍ^(٤)، وقد شرَّحتُ هذا الموضع في كتابي المعروف بزيادات النقيضين^(٥)، انتهى، وفيه من أنحاء البُعد والتكلف ما ترى.

(١) القاموس المحيط، مادة (وقت).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (أجل).

(٣) شرح نهج البلاغة: ١ / ٦٠.

(٤) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٦١.

(٦) لم أقف على هذا الكتاب، بحدود ما توفر لي من معرفة.

وقال الشَّارْحُ النَّحْرِيرُ^(١) كمال الدين بن ميثم البحراني^(٢): (المُرَادُ لَيْسَ مُطْلَقٌ مَا تَعْتَبِرُهُ عُقُولُنَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ وَالْإِضَافِيَّةِ نَهَايَةُ مَعْقُولَةٍ تَقِفُ عِنْدَهَا، فَتَكُونُ حَدًّا لَهُ، وَلَيْسَ لِمُطْلَقٍ مَا يُوصَفُ أَيْضًا بِهِ وَصْفٌ مُوجُودٌ يَجْمَعُهُ فَيَكُونُ نَعْتًا لَهُ، وَمُنْحَصَرًّا فِيهِ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْكِيدَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): يُمَكِّنُ أَنْ يُأَوَّلَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا حَدَّ مُحْدُوذٍ﴾ عَلَى مَا يُأَوَّلُ بِهِ كَلَامُ الْعَرَبِ^(٤):

وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْحَجِرُ

(١) النحرير: العالم المتقن، الصحاح، مادة (نحر).

(٢) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، عالم فاضل، متكلم ماهر، له كتب، منها: عدة شروح على نهج البلاغة، شرح المئة كلمة، رسالة في الإمامة، وغيرها، توفي سنة ٦٨١ هـ تقريباً، ينظر ترجمته: طرائف المقال: ٢/ ٤٤٩، الكنى، والألقاب: ١/ ٤٣٣، معجم رجال الحديث: ٢٠/ ١٠٣.

(٣) أبو الحسن محمد بن الحسين بن تاج الدين الحسن بن زين الدين محمد بن الحسين بن أبي المحامد البيهقي النيسابوري، المعروف بقطب الدين الكيدري، كان من كبار فقهاء الإمامية، ومجتهدهم، متكلماً، محققاً، أديباً، فصيحاً، ذا حظٍّ من علوم اللغة، والنحو، وأصول الفقه، والأخبار، وغيرها. صنّف عدّة كتب، منها: إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، مباهج المهج في مناهج الحجج في فضائل النبي ﷺ، وأهل بيته ﷺ، تنبيه الأنام لرعاية حقّ الامام، ينظر ترجمته: تعلية أمل الآمل، ميرزا عبد الله أفندي الإصبهاني، تح: السيد أحمد الحسيني: ٢٣٢، أعيان الشيعة: ٢/ ٣٣١. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ٧/ ٢١٥.

(٤) وشطره: لَا تُفْزَعُ الْأَرْزَبُ أَهْوَاهَا

شعر ديوان عمرو بن احرر الباهلي: ٦٧.

أي: ليس بها ضبٌّ فيَنَحْجِر، أي: يَدْخُل جُحْره، حتى يكون المراد أنَّه ليس له صفةٌ فُتَحَدُّ؛ إذ هو تعالى واحدٌ مِنْ كُلِّ وجهٍ، مُنَزَّهٌ عن الكثرة بوجهٍ ما، فيمتنعُ أن يكون له صفةٌ تَزِيدُ على ذاته كما في سائرِ المُمَكِّنَاتِ، وصفائه المعلومة ليست مِنْ ذلك في شيءٍ؛ إنَّها هي نَسَبٌ وإضافاتٌ لا يُوجِبُ وَصْفُهُ بها كثرةٌ في ذاته.

قال: وَمِمَّا يُؤَكِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ، قوله بعد ذلك: ﴿فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ﴾^(١)، وهذا التأويل حَسَنٌ، وهو راجعٌ الى ما ذكرناه في المعنى.

وأما وصفه الحدَّ بكونه محدوداً فللمُبَالِغَةِ، على طريقة قولهم: شِعْرُ شاعرٍ، وعلى هذا التَّأْوِيلَ يكونُ قوله: ﴿وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ﴾، سَلْبُ النَّعْتِ عن ذاته سُبْحَانَهُ؛ إذ التَّقْدِيرُ: ليسَ لَهُ صِفَةٌ مُحَدَّدٌ وَلَا نَعْتُ.

وقيل: معنى قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ﴾، أي: ليس لها غايةٌ بالنسبة الى مُتَعَلِّقاتِها، كالعِلْمِ بالنسبة الى المعلومات، والقُدْرَةِ الى المَقْدُورَاتِ^(٢) انتهى كلامه بِالْفَاظِ.

الظَّاهِرُ: أَنَّهُ جَعَلَ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿وَلَا نَعْتُ﴾ معطوفاً على قوله ﷺ: ﴿حَدٌّ مُحَدَّدٌ﴾، حتَّى يكونَ مَدْخُولاً لقوله ﷺ: ﴿الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ﴾؛ فتكونُ الصِّفَةُ مَنَعُوتِهِ، وجَعَلَ مُنَادِ الفِقرةِ الأولى، نَفْيَ الحدِّ عن [١٣: ظ]

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، تح: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل:

الصفات السلبية، والإضافية، ومفادُ الفقرة الثانية: نفى النعت عن الصفات مُطلقاً.

وعلى هذا السياق، يكونُ المراد بقوله: ﴿وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٍ وَلَا أَجَلٌ مَّعْدُودٌ﴾، نفى الأجل والوقت عن الصفات، لا عن الذات، كما يفهم من التوجيه الذي نقله، ولعلَّ الأظهر في المقام هو الثاني.

ويؤيده ما وقع في خطبة رواها ثقة الإسلام عنه عليه السلام وهي تشبه هذه الخطبة في بعض فقراتها عن قوله عليه السلام: ﴿الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتُ مَعْدُودٍ، وَلَا أَجَلٌ مَّعْدُودٍ، وَلَا نَعْتُ مَحْدُودٍ﴾^(١)، ولعلَّ مرادُ صاحب التوجيه الثاني أيضاً بتحديد الصفة إحاطةً بالذهن بها وبيانها، وقوله: إذ هو الله تعالى واحدٌ من كل وجه، دليلٌ على أنه تعالى ليس له صفةٌ، لا على أن صفته سبحانه لا تُحد، لكن يبقى الكلام في دلالة نفى الصفة المحدودة على نفيها مُطلقاً، كما يدلُّ نفى انحجار الضبِّ على نفيه؛ لكونه من اللوازم العادية للضبِّ.

ومثله ما رَواه عن الصحابة: (كَانَ مَجْلِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُؤْثَرُ هَفَوَاتُهُ)^(٢)، أي: لا يُحكى زلَّته، أي: لم يكن له زلَّةٌ فتُحكى، ولعلَّه يستقيم بأدنى عناية.

(١) الكافي: ١/ ١٣٥ ح ١.

(٢) وفيه: صار كالأثر المنقول (كان مجلس رسول الله ﷺ لا تؤثر هفواته) أي لم يكن فيه هفوات فتؤثر، وتحكى، وليس انه كان المراد في مجلسه هفوات ألا أنها لم تؤثر، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٧١.

وَيُحْمَلُ عَلَى هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْخُطْبَةِ الْمَنْقُولَةِ فِي الْكَافِي: ﴿فَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ، وَلَا حَدٌّ يُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ﴾^(١).

وَلَا يَخْفَى أَنَّ رُجُوعَ هَذَا التَّوْجِيهِ إِلَى الْأَوَّلِ مَا زَعَمَهُ الشَّارِحُ مُحَلٌّ تَأْمُلُ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالصِّفَةِ الْمَعْنَى الْمَصْدَرِيَّ، وَبِالْحَدِّ: النِّهَايَاتِ، وَالْأَطْرَافَ - عَلَى مَا هُوَ الْأَظْهَرُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ - وَيُحْمَلُ النَّعْتُ الْمَوْجُودُ عَلَى الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ، كَمَا يَقُولُهُ^(٢) الْأَشْعَرِيُّ^(٣)، وَالْوَقْتُ عَلَى الزَّمَانِ الْمُتَنَاهِي بِدَايَةٍ، وَالْأَجَلُ نِهَايَةً، وَيَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ﴾ كَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: لَيْسَ لِي لِإِكْرَامِهِ دَرَجَةٌ، وَيَكُونُ تَوْصِيفُ الْحَدِّ بِالْمَحْدُودِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ.

أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِمَحْدُودِيَّةِ الْحَدِّ مَعْلُومِيَّةً وَإِحَاطَةً الذَّهْنِ بِهِ، أَوْ لَكُونِ بَعْضِ الْحُدُودِ مَحْدُودًا كَالسَّطْحِ بِالْخَطِّ، وَتَوْصِيفُ النَّعْتِ بِالْمَوْجُودِ دَلَالَةً عَلَى

(١) الْكَافِي: ١/ ١٣٤ ح ١

(٢) يَنْظُرُ: شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: ١/ ١٢٣.

(٣) أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بَشَرٍ إِسْحَاقُ بْنُ سَالِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ بِلَالٍ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، الْمَوْلُودُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢٦٠، وَالْمُتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٣٢٤هـ، وَهُوَ تَلْمِيزُ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي، وَقَالَ الْإِيْجِي: ذَهَبَتْ الْأَشَاعِرَةُ إِلَى أَنَّ لَهُ تَعَالَى صِفَاتٌ مَوْجُودَةٌ قَدِيمَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ فَهُوَ عَالَمٌ بَعْلَمٌ قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ مَرِيدٍ بِإِرَادَةٍ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ فَهُوَ سَمِيعٌ يَسْمَعُ بِصِيرٍ يَبْصُرُ بِحَيَاةٍ، يَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، الذَّهَبِيُّ، تَح: حُسَيْنُ الْأَسَدِ: ١٥/ ٨٥، الْمَوَاقِفُ، الْإِيْجِي، تَح: عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَمِيرَةُ: ٣/ ٦٨، الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ١/ ٤٦.

أنه يُمكنُ توصيفهُ سُبحانه بالصِّفاتِ العدميَّة، والإضافات.

أو يكونُ الموجودُ بمعنى ما يَصِلُ الى كُنْهِهِ العُقُولُ وتَحِدُهُ، وتوصيفُ الوقتِ بالمعدود باعتبار الأجزاء، إشعاراً بأنَّه سُبحانه لا يُوصَفُ بما يَعْرضُهُ العَدَمُ والتَّناهي، وتوصيفُ الأجلِ بالممدود، أي: الى حَدٍّ مُعَيَّنٍ إِيَّاهُ الى ذلك، أو لأنَّ المعدود والممدود يَعْرضُهُما المقدار، فلا يُوصَفُ سُبحانه بهما، ويكونُ الحاصل: أنَّه تعالى لا يُوصَفُ بصفاتِ الأجسامِ مِنَ الحدودِ والأطراف، ولا بالنُّعوتِ الزَّائدة، ولا بالأوقاتِ والآجال.

ويُحتملُ أن يُراد بالحدِّ: التَّعريفَ بالكُنْهِ، وبالنَّعتِ: الرَّسْمُ، وأن يُحمَلُ الوقتُ على الماضي^(١)، والأجلُ على الآتي، أي: لا يُوصَفُ سُبحانه بذاته، ولا عَرَضِيٍّ، ولا بالموجوديَّةِ في زمانٍ مَضَى، أو سَيَّأَتِي، واللهُ تعالى أعلمُ بمقاصِدِ أوليائه، وتَرَاجِمِهِ وحيه، وبالله التَّوفيق.

﴿فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ﴾^(٢)

قال الفخرُ الرَّازي^(٣) في التَّفْسير: الفطرُ في اللُّغة: الشَّقُّ، يقال: فطرَ نابُ البعيرِ، إذا بَزَلَ، وفطرَتُ الشَّيْءُ فانفطرَ، أي: شَقَّقَتْهُ فانشقَّ، وتَفَطَّرَتِ الأرضُ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (وقت)، وفيه: (الوقت أكثر ما يُستعمل في الماضي).

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٣) فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الطبري الرازي، أشعري شافعي، مفسر متكلم، له كتب غير مفاتيح الغيب المسمى بتفسير الرازي، منها: أساس التقديس، لباب الإشارات، توفي سنة ٦٠٦ هـ، ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: ٥٠١ / ٢١، الكنى واللقاب: ١٣ / ٣.

بِالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ بِالْوَرَقِ إِذَا تَصَدَّعَتْ هَذَا أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ.

ثُمَّ صَارَ عِبَارَةً عَنِ الْإِيحَادِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ حَالٌ عَدَمِهِ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ظُلْمَةٍ وَخَفَاءٍ، فَلَمَّا دَخَلَ [١٤: و] فِي الْوُجُودِ صَارَ كَأَنَّ الْعَدَمَ انشَقَّ وَخَرَجَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْهُ.

وَقَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ تَكْوِينِ الشَّيْءِ عَنِ الْعَدَمِ الْمَحْضِ، بِدَلِيلِ الْإِشْتِقَاقِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، لَوْجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ

الدُّخَانِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٢)، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الْفَاطِرِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَحْدَثَ ذَلِكَ الشَّيْءَ مِنَ الْعَدَمِ الْمَحْضِ.

وِثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٣)، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ التُّرَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَاطِر: ١.

(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فَصَلَتْ: ١١.

(٣) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الرُّوم: ٣٠.

نُعِيدُكُمْ ﴿١﴾.

وثالثها: أَنَّ الشَّيْءَ؛ إِنَّمَا يَكُونُ حَاصِلًا عِنْدَ حُصُولِ مَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ، فعند عدم الصُّورة ما كان المجموع موجوداً، وبإيجاد الصُّورة صار موجوداً.

فثبتَ أَنَّ لَفْظَ الْفَاطِرِ لَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى مُوجِداً لِلْأَجْزَاءِ الَّتِي مِنْهَا تَرَكَّبَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ، وَإِنَّمَا عُلِمَ كَوْنُهُ تَعَالَى مُوجِداً لَهَا بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ، ^(٢)، ثُمَّ إِنَّ الْفَطَرَ كَمَا يَكُونُ شَقُّ إِصْلَاحٍ يَكُونُ شَقُّ إِفْسَادٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ^(٣).

وروي عن ابن عباس ^(٤) أَنَّهُ قَالَ: (مَا عَرَفْتُ مَا فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَي: ابْتَدَأْتُهَا) ^(٥).

(١) من قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه: ٥٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١٧-٢١٨.

(٣) الانفطار: ١.

(٤) أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول ﷺ، وكان يسمى البحر، لسعة علمه، وحبير الأمة ولد في شعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ، ينظر ترجمته: الفصول في الاصول، الجصاص، تح: عجيل جاسم النمشي: ١/ ٤٩، الناصريات، الشريف المرتضى، تح: مركز البحوث، والدراسات العلمية: ١١٠، تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١/ ٤٠، سير اعلام النبلاء: ٣/ ٣٣٢، الكنى واللقاب: ٣/ ١٧٣، إكليل المنهج في تحقيق المطلب، محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني، تح: السيد جعفر الحسيني الإشكوري: ٥٥٠.

(٥) غريب الحديث، ابن سلام: ٤/ ٣٧٣، شعب الإيمان، البيهقي: ٢/ ٢٥٨ ح ١٦٨٢،

واعترض بعض الشارحين على ما قرّره في بيان الاشتقاق: بأنّ ذلك الفطر والشق على هذا التقرير لا يكون للموجود المخرج، بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه، ثمّ قال: اللهمّ إلّا على تقدير حذف المضاف، أي: الذي فطر عدم الحلائق، وهو استعمال شائع في العرف، والعريّة^(١) انتهى.

ثمّ إنّ ما حكاه: من أنّ الفطر عبارة عن تكوين الشّيء عن العدم المحض^(٢) إن أريد به عبارة عن إيجاد الشّيء بلا مادّة - كما هو الظاهر - فيدفعه الوجهان الأولان، وأمّا الثالث فيتوجّه عليه أنّه؛ إنّما يدلّ على صدق الإيجاد على تكوين الصورة بعد حصول المادّة، لا على صدق الفطر عليه، وهو ظاهر.

وحينئذٍ فينبغي حمل ما فرّعه على الوجوه الثلاثة بقوله: ثبت أنّ لفظ الفاطر إلى آخره على ثبات مدّعي آخر يظهر من إبطال قوله هذا القائل، وفيه تأمل.

وإن أريد به: أنّه عبارة عن إيجاد الشّيء بجميع أجزائه ولو تدريجاً، وهو المناسب لظاهر التّفريع المذكور فيتوجّه على الموردين ما ذكره من الأدلّة؛ إنّما يتمّ لو كان خالق الأجزاء التي تألّفت منها السّماء، أو مادّتها الدُّخانيّة أحد غيره سبحانه، وكون الفطر عبارة عمّا هو أعمّ من التّصرف في المادّة من دون

اقف عليها في كتبه.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨/ ٢١٧.

إيجادها هو أوّل الكلام فتدبّر.

وما ذكره بعض الشّارحين في هذا المقام، تركيب هذه الجملة، يدلّ على أنّه تعالى فطر الخليقة قبل خلق السّماوات، والأرض^(١)، ثُمَّ أجاب عنه ببسط القول في جواز تقديم خلق الجَمَادِ؛ لكونه لطفاً لسبب من الأسباب فضعف لضعف دلالة التّقديم الذّكري، وبجواز تقديم نعمة الإيجاد؛ لكونها أعظم النّعم.

﴿وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ﴾^(٢)

نَشَرُهُ يَنْشُرُهُ بِالضَّمِّ، أي: بَسَطَهُ^(٣)، والرّيحُ: تَجَمُّعٌ على رياح وأرياح، وقد تَجَمَّعَ على أرواح؛ لأنّ أصلها الواو، وإنّما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها، فإذا أَرَجَعُوا إلى الفتح عادت إلى الواو^(٤)، وقال شيخ الطائفة في التّبيان: ما جاء في الحديث من أنّ النّبي ﷺ كان يقول إذا هبّت ريحٌ: (اللّهُمَّ اجْعَلْهَا [١٥: و] رِيحاً وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً)^(٥)؛ فلأنّ عامّة ما جاء في القرآن بلفظ الرّيح للرحمة،

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١ / ٤١، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٧١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (نشر).

(٤) ينظر: المصدر نفسه، مادة (روح).

(٥) عن ابن عباس ؓ انه قال: (ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه، وقال: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا، ولا تجعلها ريحا)، ينظر: المسند، الامام الشافعي: ٨١، مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحد: حسين سليم أسد: ٤ / ٣٤١، منتهى المطلب: ٦ / ٨٢.

كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾^(٣)، وما جاء بخلاف ذلك جاء على الأفراد، كقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٥)، وقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦) انتهى.

ولعلَّ النُّكْتَةَ في ذلك: الإشارةُ الى قَلَّةِ عذابه، وترادفِ آلائه، أو الى أنَّ عذابه، واستئصاله لا يحتاجُ الى كثرةِ الجنود، أو الى حقارةِ المقهورين، واستهلاكهم برائحةٍ من قهره، ونفحةٍ من عذابه، ويُحتملُ أن يكون ذلك لكثرةِ ما نُشِرتِ للرَّحمةِ،

(١) من قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ الحجر: ٢٢.

(٢) من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الروم: ٤٦.

(٣) من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ الروم: ٤٨.

(٤) الحجرات: ٤١.

(٥) الحاقة: ٦.

(٦) من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الأحقاف: ٢٤، ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٤٢٨.

وقلّة ما ارسل للعذاب، ولعلّ كلامه عليه السلام إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(١) على قراءة نافع^(٢)، وابن عامر^(٣) بالنُّون وضمّها وسكون الشّين، أو على قراءة ابن كثير^(٤)، وأهل المدينة^(٥).....

(١) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧، واختلفوا في قراءة ﴿بُشْرًا﴾.

(٢) أبو الحسن، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، إمام المدينة، ومقرئها. توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة. ينظر ترجمته: البرهان، الزركشي: ١/ ٣٢٧، والنشر في القراءات العشر: ١/ ١١١.

(٣) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الدمشقي قاضي دمشق، من كبار التابعين ولد في أول سنة إحدى، وعشرين من الهجرة، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة، ومائة، وفي كنيته سبعة أقوال: أصحابها أبو عمرو، وقيل أبو محمد، وأبو عبد الله، وأبو موسى، وأبو نعيم، وأبو عثمان، وأبو مغيث، النشر في القراءات العشر: ١/ ١٤٤. ينظر: البرهان، الزركشي: ١/ ٣٢٧-٣٢٨، توضيح المشتبه، ابن ناصر الدين الدمشقي، تح: محمد نعيم العرقسوسي: ٤/ ١١.

(٤) أبو سعيد، عبد الله بن كثير المكي القرشي من التابعين، توفي سنة: ١٢٠هـ، بمكة سنة عشرين، ومائة، وقيل اثنتين وعشرين. ينظر ترجمته: كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، تح: شوقي ضيف: ٦٦.

(٥) قراء أهل المدينة هم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد العزيز، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان بن يسار، وعطاء ابن يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم، ينظر ترجمته: النشر في القراءات العشر: ١/ ٨، تاريخ القراءات في المشرق، والمغرب: ٣٧٤.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

والبصرة^(١) بضمَّ النُّون، والشَّين أو بفتح النُّون وسكون الشَّين، وعلى قراءة أهل الكوفة^(٢) غيرَ عاصم^(٣)، وهو يُقَوِّي إحدى القراءات المذكورة، ويُضَعِّف قراءة عاصم بالباء وسكون الشَّين^(٤)، فإنَّ كثيرا من كلماته ﷺ لا تخلو عن الإشارة الى الآيات، وهو كلامُ الله الناطق، وترجمانِ وَحْيِهِ.

وَنَشْرُ الرِّيَّاح: تفرَّقها، قيل: كانت العرب تزعم أنَّ السَّحاب لا تلقح إلَّا مِن رياحٍ مُخْتَلِفَةٍ^(٥).

(١) قراء البصرة هم: عامر بن عبد قيس، وأبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، ومعاذ، وجابر بن زيد، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، ينظر ترجمتهم: النشر في القراءات العشر: ٨ / ١، تاريخ القراءات في المشرق، والمغرب: ٣٧٤.

(٢) قراء الكوفة هم: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وعبيد بن نضيلة، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وسعيد بن جبير، وإبراهيم بن يزيد النخعي، والشعبي، ينظر ترجمتهم: النشر في القراءات العشر: ٨ / ١، تاريخ القراءات في المشرق، والمغرب: ٣٧٤.

(٣) أبو بكر، عاصم بن أبي النجود (بفتح النون) الأسدي الكوفي، توفي بالكوفة سنة سبع، وقيل ثمان، وعشرين، ومائة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، ينظر ترجمته: البرهان، الزركشي: ٣٢٨ / ١، والنشر في القراءات العشر: ١٥٥ / ١.

(٤) ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ٢٨٣، الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢٢٩.

(٥) ينظر: بحار الانوار: ١٧٨ / ٥٤.

وبهذا فُسر الحديث المروى عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ إِذَا هَاجَتِ الرِّيحُ:
(اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَّاحًا، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا)^(١).

وُنُقِلَ عَنِ الْفَرَاءِ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: (النَّشْرُ مِنَ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ اللَّيِّنَةِ، الَّتِي تُنْشِئُ السَّحَابَ)^(٣). وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرِّيحَ مَنشُورَةٌ بِرَحْمَتِهِ، مَا رَوَاهُ ثِقَةُ الْإِسْلَامِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: (وَلِلَّهِ عَزَّ ذِكْرُهُ رِيَّاحٌ رَحْمَةٌ، لَوَاقِحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، يَنْشُرُهَا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ؛ مِنْهَا مَا يُهَيِّجُ السَّحَابَ لِلْمَطَرِ، وَمِنْهَا رِيَّاحٌ تَحْبِسُ السَّحَابَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَرِيَّاحٌ تَعَصِّرُ السَّحَابَ فَتُمْطِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمِنْهَا رِيَّاحٌ مِمَّا عَدَدَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ).

فَأَمَّا الرِّيحُ الْأَرْبَعُ: الشَّمَالُ وَالْجَنُوبُ، وَالصَّبَا وَالذَّبُورُ؛ فَإِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ تَهَبَّ شَمَالًا أَمَرَ الْمَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الشَّمَالُ فَيَهْبِطُ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ^(٤)، فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ،

(١) ينظر: المسند، الامام الشافعي: ٨١، مسند أبي يعلى: ٤ / ٣٤١، الفائق في غريب الحديث: ٢ / ٩٠، منتهى المطلب: ٦ / ٨٢.

(٢) أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، الكوفي، تلميذ الكسائي، نحوي لغوي أديب، وسمي الفراء لأنه كان يفري الكلام، له كتب، منها: معاني القرآن، كتاب الحدود، توفي سنة ٢٠٧ هـ، ينظر ترجمته في: الفهرست، ابن النديم، تح: أحمد راتب عرموش: ٧٣، سير أعلام النبلاء: ١٠ / ١١٨، الكنى، والألقاب: ٣ / ١٨.

(٣) معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، واخرين: ١ / ٣٨١.

(٤) الركن الشامي: وهو ثاني ركني جدار الكعبة المشرفة الذي فيه باب التوسل، وسميت الاركان بأسماء المناطق، وكبرياتها فليل للركن الشمالي بالشامي لأهل الشام. ينظر: كشف اللثام، الفاضل الهندي، تح: مؤسسة النشر الاسلامي: ٣ / ١٤٨،

فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ الشَّمَالِ حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَحَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ.

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ الصَّبَا أَمَرَ الْمَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الصَّبَا، فَهَبَطَ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ، فَضْرَبَ بِجَنَاحِهِ، فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ الصَّبَا حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ دُبُورًا، أَمَرَ الْمَلِكَ الَّذِي اسْمُهُ الدَّبُورُ فَهَبَطَ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَقَامَ عَلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ، فَضْرَبَ بِجَنَاحِهِ، فَتَفَرَّقَتْ رِيحُ الدَّبُورِ حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ، مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ: رِيحُ الشَّمَالِ، وَرِيحُ الْجَنُوبِ، وَرِيحُ الدَّبُورِ، وَرِيحُ الصَّبَا؛ إِنَّمَا تُضَافُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِهَا ^(١).
وقد ظهرَ من هذا الخبر وجهُ تسمية الرياح، وَضَعْفُ مَا زَعَمْتُهُ
الفلاسفة ^(٢) سبباً لهُبوبِ الرياح؛ مِنْ حَرَكَةِ الْأَجْسَامِ وَالسُّحُبِ، وَالْأَبْخَرَةِ

مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام

لأحياء التراث: ٣٣٦/٩، شريعة الحرم، محمد صادق محمد الكرباسي: ٢٥.

(١) الكافي: ٩١/٨ ح ٦٣.

(٢) ما ذكرته الفلاسفة: هو أنه يرتفع من الأرض أجزاء أرضية لطيفة مسخنة تسخيناً قوياً شديداً، فيسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع، وتتصاعد، فإذا، وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعر الفلك متحركاً على استدارة الفلك بالحركة المستديرة التي حصلت لتلك الطبقة من الهواء، فهي تمنع هذه الأدخنة من الصعود بل تردها عن سمت حركتها، فحينئذ ترجع تلك الأدخنة، وتتفرق في الجوانب، وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح، ثم كلما كانت تلك الأدخنة أكثر،

النَّازِلَة، لثقلها بالبرد بعد صُعودها بحرارة الشَّمْس ونحوها، وأمثال ذلك، مع أنَّ العقل أيضاً يستبعده جدًّا؛ لحدوث رياح عاصفةٍ بغتةً عند سُكُونِ الأجسام، واستراحتها في جوفِ [١٦: و] اللَّيْلِ، وعَدَمُهَا عندَ تحرُّكها واضطرابها، واختلاف هُبُوبِهَا باختلاف الفُصولِ، مع وُجُودِهَا عندَ عَدَمِ السَّحاب وسكونه، وعَدَمُهَا عندَ وُجُودِهَا وتحرُّكها، بالجملة: فالأمرُ في ذلك مما لا يخفى على ذوى الألباب.

وَمِنَ الرِّيحِ الَّتِي نُشِرَتْ لِرَحْمَتِهِ: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١) إِنَّ يَشَاءُ يُسَكِّنُ الرِّيحَ، فَيُظِلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ، الْجَوَارِي: (هِيَ السُّفُنُ الْجَارِيَةُ فِي الْبَحْرِ مِثْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، وَهِيَ إِذَا سَكَنَتِ الرِّيحُ تَصِيرُ سَاكِنَةً عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ)^(٢).

وقد "وَرَدَتْ"^(٣) في الأخبار النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ^(٤) وروى

وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضاً أشد حركة فكانت الرياح أشد، وأقوى. ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤ / ١٣٩، غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، نظام الدين القمي النيسابوري، تح: الشيخ زكريا عميرات: ٣ / ٢٥٩، بحار الانوار: ٥٧ / ٢.

(١) الشورى: ٣٢.

(٢) ينظر: تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، تح: مؤسسة النشر الإسلامي: ٢٨٨ / ٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، تح: لجنة من العلماء، والمحققين الاختصاصيين: ٩ / ٥٥، الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، تح: مركز الأبحاث، والدراسات الإسلامية: ٢ / ١١٣١.

(٣) في نسخة (ب): ورد.

(٤) قد، ورد في هذا الباب أخبار كثيرة سأذكر فقط اشارات في بطون الكتب التي

الصَّدوق^(١) في كتاب العلل: عن جعفر بن محمد، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَا تَسُبُّوا الْجِبَالَ، وَلَا السَّاعَاتِ، وَلَا الْآيَامَ، وَلَا اللَّيَالِي فَتَأْتُمُوا، وَتَرْجِعُ عَلَيْكُمْ)^(٢).

﴿وَوَتَدَّ بِالصَّخُورِ مَيْدَانِ أَرْضِهِ﴾^(٣)

وَتَدَّ، أي: جعل مُحْكَمًا بالوَتَدِّ مُثْبِتًا، والصَّخُورِ: جَمْعُ صَخْرَةٍ، وهي:

جمعتها، كلها في باب الاسباب المانعة عن سب الرياح، والجبال، والساعات. ينظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث: ٥٠٨/٧، مستدرک الوسائل: ١٧٦/٦، جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ٣٤٨.

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، كان ثقة جليل القدر بصيرا بالأخبار ناقدًا للآثار عالما بالرجال حافظًا للأحاديث، لم ير في القميين مثله في حفظه، وكثرة علمه، وهو شيخ مشايخ الشيعة، وركن من أركان الشريعة رئيس المحدثين، والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الصادقين عليهم السلام ولد بدعاء صاحب الأمر، والعصر عليه السلام، ونال بذلك عظيم الفضل، والفخر، ووصفه الإمام عليه السلام في التوقيع الخارج من الناحية المقدسة بأنه: فقيه خير مبارك ينفع الله به، وله نحو من ثلاثمائة مصنف، منها: كتاب التوحيد، كتاب النبوة، كتاب إثبات الوصية لعلي عليه السلام، كتاب إثبات خلافته، كتاب إثبات النص عليه، كتاب إثبات النص على الأئمة عليهم السلام، توفي بالري سنة ٣٨١ هـ، ينظر ترجمته: الهداية، الشيخ الصدوق: ٢١٦، رجال، النجاشي: ٣٨٩، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٣٧، العقد المنير: ٤١١، معالم العلماء: ١٤٦، خلاصة الاقوال: ٢٤٨، نقد الرجال: ٢٧٣/٤.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٥٧٧/٢ ح ١.

(٣) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

الحَجَرُ الْعَظِيمُ الصُّلْبُ^(١)، وَالْمِيدَانُ: بِالتَّحْرِيكِ: التَّحَرُّكُ، وَالاضْطِرَابُ، وَمَادَاتُ الْأَغْصَانِ: تَمَايَلَتْ، وَمِنْهُ: غُصْنُ مَيَّادٍ^(٢)، وَلَمَّا كَانَتِ الْعَلَّةُ الْحَامِلَةَ عَلَى إِجْمَادِ الْجِبَالِ مِيدَانُ الْأَرْضِ، جَعَلَهُ عَلَّةً مُوْتُوداً دُونَ الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ أَهَمُّ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، وَالبَلَاغَةُ تَقْتَضِي تَقْدِيمَ الْأَهَمِّ^(٣)، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالِغَةِ.

وَقَدْ وَقَعَ ذِكْرُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَوَاضِعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٤) قَالَ الْمُبَرِّدُ^(٥): مَعْنَى تَمِيدَ، أَي: مَنَعَ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ^(٦)، وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: أَي: لئَلَّا تَمِيدَ^(٧)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (صخر)، القاموس المحيط، مادة (صخر).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ميد).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٤٤.

(٤) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ النحل: ١٥.

(٥) أَبُو الْعَبَّاسِ، مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْأَكْبَرِ، الْبَصْرِيُّ، الْمُبَرِّدُ، نَحْوِي لُغَوِي مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، سَكَنَ بَغْدَادَ، لَهُ كُتُبٌ، مِنْهَا: الْكَامِلُ، وَالرُّوْضَةُ، وَالْمُقْتَضَبُ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٢٨٥ هـ، يَنْظُرُ تَرْجُمَتَهُ: تَارِيخُ بَغْدَادَ: ٣ / ٣٨٠، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، وَأَنْبَاءُ أَوْلَادِ الزَّمَانِ: ٣ / ٤٤١.

(٦) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي كُتُبِهِ.

(٧) يَنْظُرُ: التَّبَيُّانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٧ / ٢٤٤، مَجْمَعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ٦ / ١٤٦، تَفْسِيرُ الْكَشَافِ: ٢ / ٥٧٠، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: ٢٢ / ١٦٤.

أي: (كراهة أن تميد)^(١)، ومثله قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾^(٣)، قال بعض المفسرين: الميد: الاضطراب بالذهاب في الجهات^(٤)، وقيل: إن الأرض كانت تميد وترجف رجوف السقف بالوطء، فثقلها الله بالجبال الرواسي؛ ليمنع من رجوفها^(٥).

ورَوَوْا عن ابن عباس أنه قال: (إنَّ الأرض بُسِطَتْ على الماء، فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة، فأرساها الله تعالى بالجبال)^(٦).

ثم إنهم اختلفوا في أنه لم صارت الجبال سبباً لسكون الأرض؟ فقال الفخر الرازي في التفسير: المشهور عند الجمهور في هذه الآية، أن قالوا: إنَّ السفينة إذا أُلقيت على وجه الماء، فإنها تميل من جانب إلى جانب وتضطرب، فإذا وُضعت الأجرام الثقيلة فيها في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فاستوت. قالوا: فكذلك لما خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت،

(١) معاني القرآن، النحاس: ٥ / ٢٨١، التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٤٤، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦ / ١٤٦.

(٢) من قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النساء: ١٧٦.

(٣) النبأ: ٧.

(٤) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧ / ٨٣.

(٥) ينظر: بحار الانوار: ٥٧ / ١٠١.

(٦) مفاتيح الغيب: ٢٢ / ١٦٤.

وَمَادَتْ، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا هَذِهِ الْجِبَالَ، وَوَتَّدَهَا بِهَا، فَاسْتَقَرَّتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ بِسَبَبِ ثِقَلِ الْجِبَالِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا يَشْكُلُ مِنْ وَجْهِهِ.

الأول: إن هذا المعلل أما أن يقول: بأن حركات الأجسام بطباعها، أو يقول: ليست بطباعها؛ بل هي واقعةٌ بإيجاد الفاعل المختار إياها، فعلى التقدير الأول، نقول: لا شكَّ أنَّ الأرض أثقلُ من الماء، والأثقلُ يغوصُ في الماء، ولا يبقى طافياً عليه، فامتنع أن يُقال: أنها كانت تميد، وتضطرب، بخلاف السفينة، فإنها مُتَّخِذَةٌ مِنَ الخشب، وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوءة من الهواء فلذلك تميد، وتضطرب على وجه الماء، فإذا أُرْسِيَتْ بالأجسام الثقيلة استقرَّت، وسَكَتَتْ، فظهر الفرق.

وأما على التقدير الثاني، وهو أن يُقال: ليس للأرض، والماء طبائع يُوجبُ الثقل، والرُسوب، والأرض [١٧: ظ] إنما ينزل؛ لأنَّ الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك، وإنما صار الماء مُحِيطاً بِالْأَرْضِ لِمُجَرَّدِ إِجْرَاءِ الْعَادَةِ لَيْسَ هَاهُنَا طَبِيعَةٌ لِلْأَرْضِ وَلَا لِلْمَاءِ تُوجِبُ حَالَةً مَخْصُوصَةً، فنقول: على هذا التقدير، علَّةُ سُكُونِ الْأَرْضِ هِيَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ فِيهَا السُّكُونَ، وَعلَّةُ كونها مائدة مُضْطَرِبَةٌ هُوَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ فِيهَا الْحَرَكَةَ، فيفسد القول: بأنَّ الله تعالى خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنةً، فثبت أنَّ التعليل مُشْكِلٌ عَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ.

الإشكال الثاني: أن إرساء الأرض بالجبال؛ إنما يُعْقَلُ لِأَجْلِ أَنْ يَبْقَى الْأَرْضُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمِيدَ وَتَمِيلَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَهَذَا إِنَّمَا يُعْقَلُ إِذَا كَانَ الَّذِي اسْتَقَرَّتْ الْأَرْضُ عَلَى وَجْهِهِ وَاقِفاً، فنقول: فما الْمُقْتَضَى

لُسُكونه في ذلك الحيز المخصوص ؟ فإن قلت: إن طبيعته يُوجِبُ وقوفه في ذلك الحيز المُعَيَّن فحينئذٍ يَفْسُدُ القول: بأن الأرض إنما وُقِّتْ بسببِ أَنَّ الله أرساها بالجمال.

وإن قلت: إنَّ المُقتضي لُسُكون الماء في حيزه المُعَيَّن، هو: أَنَّ الله تعالى أسكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص، فنقول: فلم لا تقول مثله في سُكون الأرض، وحينئذٍ يَفْسُدُ هذا التعليل أيضاً^(١).

الإشكال الثالث: أن مجموع الأرض جسمٌ واحدٌ، فبتقدير أن يميل بكُلِّيَّته، ويضطربُ على وجه البحر المحيط، لم تظهر تلك الحالة للناس، فإن قيل: أليس أن الأرض تُحرِّكها البُخارات "المُحتقنة"^(٢) في داخلها عند الزلازل، وتظهر تلك الحركات للناس؟ قلنا: تلك البُخارات احتقنت في داخل قطعة صغيرة من الأرض، فلمَّا حصَلَت الحركة في تلك القطعة ظهرت تلك الحركة، فإنَّ ظُهور الحركة في تلك القطعة المُعيَّنة يجري مجرى اختلاج عضوٍ من بدن الإنسان، أمَّا لو تحرَّكت كُلِّيَّة الأرض لم يظهر، ألا ترى أن السَّاكِن في سفينة لا يحسُّ بحركة كُلِّيَّة السفينة، وإن كانت على أسرع الوجوه وأقواها.

فهذا ما في هذا الموضوع من المباحث الدَّقيقة الغامضة، والذي عندي في هذا الموضوع المُشكِـل: أن يُقال: إنَّه بُتُّ بالدلائل اليقينيَّة الأرض كرهة، وأنَّ هذه الجبال على سطح هذه الكرة، جاريةٌ مجرى حُشونات، وتضريسات،

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨/٢٠، بحار الانوار: ٥٧/١٠١-١٠٢.

(٢) في نسخة (ج): المختلفة.

تحصل على وجه هذه الكرة.

إذا ثبت هذا، فنقول: إذا فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة، بل كانت الارض كرة حقيقيّة، خالية عن هذه الخشونات والتّضريسات، لصارت بحيث يتحرك بالاستدارة بأدنى سبب؛ لأنّ الجرم البسيط المستدير وإن لم يجب كونه متحرّكاً بالاستدارة عقلاً، إلّا أنّه بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه.

أمّا إذا حصل على سطح كُرة الأرض هذه الجبال، وكانت كالحشونات الواقعة على وجه الكُرة، فكلُّ واحدٍ من هذه الجبال؛ إنّما يتوجّه بطبعه الى مركز العالم، وتوجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم، وقوّته الشّديدة يكون جارياً مجرى الوتد الذي يمنع كُرة الأرض من الاستدارة، فكان تخلّيق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكُرة المانعة لها [عن^(١)] الحركة المستديرة، وكانت مانعةً للأرض عن الميّد، والميل، والاضطراب، بمعنى أنّها منعت الأرض عن الحركة المُستديرة، فهذا ما وصل إليه خاطري في هذا الباب، والله أعلم^(٢)، انتهى كلامه باختصارٍ يسير.

والجواب عن الوجه الأوّل من وجوه الإشكال، أن يُقال:

نختار الشق الأوّل، ونقول: إذا كانت كُرة الأرض بطبعها طالبةً لأنطباق مركز ثقلها على مركز العالم [١٨]: وكانت خفيفة، فكان الماء يُحرّكها

(١) في الأصل: من.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠ / ٩، بحار الانوار: ٥٧ / ١٠٢ - ١٠٤.

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

بأمواجه وحركته حركةً قسريّةً، ويُزيلُها عن موضعها بسهولةٍ، فكانت تميّداً، وتضطربُ بأهلها، وتغوصُ قطعةً منها في الماء، وتخرجُ قطعةً منها، ولَمَّا أرساها الله تعالى بالجبال، وأثقلها قاومت الماء، وامواجها بثقلها، فكانت كالأوتاد مُثبتةً لها، ولعلّه ليس المراد بتشبيهها بالسّفينة أنّها تطفو فوق الماء كالسّفينة، حتّى يُقال: (إنّ الأرض أثقلُ من الماء، ولا يبقى طافياً عليه)^(١).

ويمكنُ الجواب: باختيار الشّق الثاني، بأن يُقال: إنّ الله تعالى أجرى عادته بخلق السّكون في الأرض عقب خلق الجبال - كما تقولُ الأشعريةُ في ترثب الآثار على الأسباب - إلّا أنّه خلافُ الظّاهر، ولا حاجةً الى ارتكابه، ويأباه مع ظواهر

ما تقدّم، ظاهرٌ ما سيجي من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة الأشباح^(٢):

(١) مفاتيح الغيب: ٢٠/٨، واضاف ايضاً: (...، والأثقل من الماء يغوص في الماء، ولا يبقى طافياً عليه).

(٢) خطبة الاشباح: هي من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والتي وردت عنه بسند عن الامام الصادق (عليه السلام)، وهي من جلائل خطبه (عليه السلام)، وكان في مسجد الكوفة، وأتاه رجلاً، فقال له: يا أمير المؤمنين! صف لنا ربنا لنزداد له حباً، وبه معرفة. فغضب (عليه السلام)، ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله، فصعد المنبر، وهو مغضب متغيّر اللون، فحمد الله سبحانه، وصلى على النبي ﷺ، ثمّ خطبها، وقيل: سمّيت هذه خطبة الاشباح لأن أمير المؤمنين ذكر فيها الاشباح أي الاشخاص، وقيل: المراد بالأشباح أنّها خطبة طويلة، لها امتداد من قولهم: الحرباء تشبّع على العود، أي تمتدّ، ومن قولهم: شبّحان أي طويل، فاصل الشبح الطّول، والامتداد، والعرض، ومن ذلك رجل شبّح الدّراعين، ينظر: معارج

﴿ فَسَكَنْتُ مِنَ الْمِيدَانِ بِرُسُوبِ الْجِبَالِ ﴾^(١).

وما رواه الصدوق في الخصال عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام في حديث طويل، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْأَرْضَ فَخَرَتْ، وَقَالَتْ: أَيُّ شَيْءٍ يَغْلِبُنِي؟! فَخَلَقَ اللَّهُ الْجِبَالَ، فَأَثْبَتَهَا فِي ظَهْرِهَا أَوْتَادًا، مَنَعَهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِمَا عَلَيْهَا، فَذَلَّتْ وَاسْتَقَرَّتْ)^(٢) الحديث.

وعن الإشكال الثاني بوجهين، الأول: أن يُقال: لا نُسلم أن إرساء الأرض بالجبال "يتوقف"^(٣) على سُكون الماء في حيزٍ مُعينٍ، فإنه لو فُرِضَتْ كُرَّةُ الماء مُتحرِّكةً زائلةً عن حيزه، وكانت الأرض على وجهها كالسَّفينَةِ المُستقرَّةِ على وجه الماء، لا تميد، ولا تضطرب، ولا تغوص بعض البقاع منها في الماء لكفي ذلك في مقام الإحسان، ومعرض الامتنان.

وكونُ المراد بإرساء الأرض إسكانها مُطلقاً هو أوَّل الكلام الثاني، أن يُقال: المُقتضي لسُكون الماء في حيزه المُعيَّن هو طبيعةٌ، وكذلك طبيعةُ الأرض تقتضي سُكونها، إلَّا أنَّها على تقدير خفَّتْها لا تُقاوم قَسر الماء، فمنَّ الله على عباده بإرسائها بالجبال كيلا تَمِيدَ بهم وتُسْتَقِرَّ.

نهج البلاغة، البيهقي، تح: محمد تقي دانش: ١٦٩، شرح نهج البلاغة: ١٠٦/٥٤،

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/٣٧٥.

(١) نهج البلاغة: ١٦٩ خ ٩٠.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق: ٤٤٢.

(٣) في نسخة (ب): موقف.

وعن الاشكال الثالث: أن يُقال: ليس الامتنان بمجرد عدم ظهور حركة الأرض، يُقال: إنَّه على تقدير حركتها بكُلِّيتها لا يظهر للنَّاسِ، بل بخروج البقاع عن الماء، وَعَدَمِ غرقها بحركة الأرض، ومِیدانها بأهلها، ولعلَّ الفرق بين حالة الزلزلة، وبين حركة الارض في الظُّهور وَعَدَمه، ليس باعتبار أنَّها حركة الأجزاء بخلافها.

فإنَّنا لو فرضنا بقعةً منها مُتحركةً، غير مُضطربةٍ في حركتها، لما احسَّ بها، كما لا يحسُّ بحركة كُلِّها، بل باضطراب الحركة، وكونها في جهاتٍ مُختلفة، وعدمه.

وأما ما ذكره فخر الدِّين الرازي في مقام التَّعليل، فلا يخلو عن تشويش واضطراب، والذي يظهر من أوائل كلامه هو: أنَّه جعلَ المناطَ في استقرار الارض الحُشونات، والتَّضريسات من حيث أنَّها حُشونات، وتضريسات، وذلك أمَّا لمُمانعةِ الاجزاء المائية الملاصقة لتلك التَّضريسات؛ لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها.

وحينئذٍ يكونُ علَّةُ السُّكون هي الجبال الموجودة في الماء، لا ما خلقت في الرُّبع المكشوف من الأرض، ولعلَّه خلافُ الظَّاهر في معرض الامتنان بخلق الجبال، وهو خلافُ الظَّاهر من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾^(١)، والقول بأنَّ ما في الماء أيضاً فوقها، فلعلَّ المراد تلك الجبال لا

(١) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ فصلت: ١٠.

تخلو عن بُعد.

مع أنّها ربما كانت مُعاونةً لحركة الأرض، كما إذا تحرّكت كُرّة الماء بتموجها بأجمعها، أو تموّج ابعاضها المُقاربة لتلك الخشونات، وإنّما يُمانعُها عن الحركة أحياناً [١٩: ظ] عند حركة ابعاضها.

وأما الممانعة الأجزاء الهوائية المُقاربة للجبال الكامنة على الرُّبع الظاهر، فكانت الأوتاد مُثبتة لها في الهواء، مانعةً عن تحريك الماء بتموّجه إيّاها، كما يُمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرياح إيّاها.

وحينئذ يكون وجود الجبال في كلّ منهما مُعاونةً لحركة الارض في بعض الصُّور، مُعاوفاً عنها في بعضها، ولا مدخل حينئذٍ لثقل الجبال وتركبها، وسكون الارض واستقرارها، والذي يظهر من قوله -أي: الفخر الرازي-: لأنّ الجرم البسيط إلى آخره^(١) هو: أنّ البساطة تُوجب حركة الأرض، إمّا بانفرادها، أو بمشارك الخشونة، ولعلّه استند في ذلك إلى أنّ البسيط تتساوى نسبة أجزائه الى أجزاء المكان، وإنّما الطبيعة تقتضي انطباق مركز الثقل من الأرض على مركز العالم على أيّ وضع كان.

والماء لا يقوى على إخراج الكُرّة عن مكانها، نعم يُحرّكها بالحركة المُستديرة، بخلاف المركّب فإنّه ربما كان بعض أجزائه مُقتضياً لوضع خاص، كمُحاذاة أحد القطبين مثلاً، حتّى تكون الفائدة تحصل بتركيب بعض أجزاء الأرض وإن لم يكن هنالك جبل وارتفاع، فلا يكون الامتنان بخلق الجبل

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٩/٢٠.

مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ جَبَلٌ، بَلْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ، إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ الْمُرَادِ أَنَّ الْمُقْتَضَى لِلسُّكُونِ هُوَ الْحَالَةُ الْمُرَكَّبَةُ مِنَ التَّرَكِيبِ، وَالتَّضَرِّيسِ.

وَالظَّاهِرُ مِنْ وَصْفِ الْجِبَالِ بِالشَّائِخَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ^(١) مَدْخِلِيَّةُ ارْتِفَاعِهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ لَتَرْتُّبِ فَوَائِدٍ أُخَرِ عَلَيْهَا، وَحِينَئِذٍ لَا مَدْخَلَ لِثَقَلِ الْجِبَالِ فِي سُكُونِ الْأَرْضِ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِ آخِرًا ^(٢).

فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ؛ إِنَّمَا يَتَوَجَّهَ بِطَبْعِهِ إِلَى مَرْكَزِ الْعَالَمِ، وَتَوَجُّهُ ذَلِكَ الْجَبَلِ نَحْوَ مَرْكَزِ الْعَالَمِ بِثِقَلِهِ الْعَظِيمِ، وَقَوَّتِهِ الشَّدِيدَةِ، يَكُونُ جَارِيًا مَجْرَى الْوَتْدِ الَّذِي يَمْنَعُ كُرَّةَ الْأَرْضِ مِنَ الْاسْتِدَارَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي نَفْيِ الْحَرَكَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ، وَالْمَغْرِبِيَّةِ، بَلْ يُؤَيِّدُهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ: أَنَّ الْعِلَّةَ هِيَ الْجُمُوعُ الْمُرَكَّبُ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ؛ وَلَعَلَّهُ جَعَلَ الطَّبِيعَةَ الْأَرْضِيَّةَ كَافِيَّةً فِي اسْتِقْرَارِهَا فِي مَكَانِهَا، وَإِنَّمَا احْتِاجَ إِلَى الْمَانِعِ عَنْ حَرَكَتِهَا بِالْاسْتِدَارَةِ حَرَكَةً وَضَعِيَّةً، وَلِذَا قَالَ آخِرًا: وَكَانَتْ مَانِعَةً لِلْأَرْضِ عَنِ الْمِيدِ، وَالْاضْطِرَابِ، بِمَعْنَى: أَنَّهَا مَنَعَتْ الْأَرْضَ مِنَ الْحَرَكَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ ^(٣)، فَتَدَبَّرْ.

وَاعْلَمْ: إِنَّهُ عَلَى الْقَوْلِ بِاِقْتِضَاءِ الطَّبِيعَةِ الْأَرْضِيَّةِ انْطِبَاقَ مَرْكَزِ ثِقَلِهَا عَلَى مَرْكَزِ الْعَالَمِ، وَاسْتِنَادَ سُكُونِهَا إِلَى ذَلِكَ الْاِقْتِضَاءِ، يَلْزَمُ حَرَكَةُ كُرَّةِ الْأَرْضِ بِاجْمَعِهَا عِنْدَ حَرَكَةِ دَابَّةٍ عَلَى وَجْهِهَا، بَلْ بِحَرَكَةِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنْ

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ شَاخِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾.

المرسلات: ٢٧.

(٢) يقصد: فخر الدين الرازي

(٣) ينظر: بحار الانوار: ٥٧/ ١٠٣- ١٠٦.

يمنعها مانعٌ كالماء.

وعلى هذا، يلزم كونها مُتحرّكةً في أغلب الأوقات، أو جميعها، أو كونها خارجةً عن حيزها الطّبيعي، ولا محيصٌ عن ذلك إلّا بالتزامه، والقول بأنّها لقلّتها لا يُنافي سُكون الأرض حسّاً، أو بالتزام كون الأرض في غير مكانها قسراً.

واعلم: أنّ وجودَ مركز الثّقل لبعض الأجسام المُتشابهة الأجزاء، كالكرة والمجسّات المتوازية السّطوح ضروريٌّ، والمُرادُ به: نقطةٌ ينقسمُ الجسمُ بكلِّ سطحٍ يمرُّ عليها بنصفين مُتساويين ثَقلاً.

وقد استدلَّ بعضُ الأفاضل على أنّه ليس لبعضها، بعد تمهيد مُقدّمة، هي: أنّه لو أخذنا جزءاً من أحدِ قِسمي الجسمِ المنقسم لسطحٍ قد مرَّ على تلك النّقطة، ووضعناه في موضعٍ آخر من هذا القسم، لم يخرج النّقطة عن هذا السّطح، كما أنّه يخرجُ عنه لو أضفناه الى القسم الآخر، إذ لو خرجت تعرّض سطحاً آخر مُوازيّاً لهذا السّطح، ما رآ عليها، فيتساوى القسمان الحاصلان [٢٠: و] من الآخر، وهو تساوي الكلِّ، والجزء، وكذا في الشّق الوجودي يلزم تساوي الجزء للزائد على الكلِّ.

قال: إذا تمّهّدت، فتقول: إذا فرضنا في الكرة مثلاً ثلاث دوائر مارة على تلك النّقطة بعد التّسطيح، مُتقاطعةً تقاطع الأفق، ونصفُ^(١) النّهار، وأوّل السّماوات في الفلك، وأخذنا جزءاً من أحدِ الأقسام الثّمانية وضممناهُ

(١) في نسخة (ب): يصف.

الى موضع آخر من هذا القسم، لم يخرج النقطة عن السطوح الثلاثة بحكم الجزء الأول من المقدمة، وكانت نقطة شخصية.

ثم إذا فرضنا دائرة بين موضع الأخذ، وبين موضع الضم، يمر عليها بعد تسطيحها، كانت بحيث تخرج النقطة عن سطحها بالأخذ والضم المذكورين، فيكون ثابتة منتقلة، هذا خلف.

وحينئذ، فثبوته لكرة الارض حيث ليست من الاجسام المتشابهة الاجزاء المذكورة أولاً، وانطبق نقطة معينة من النقاط المفروضة فيها على مركز العالم، أو أي نقطة [اتفقت] ^(١) ملاقاتها له من النقاط التي هي أبعد عن الاطراف عند تخليتها، وطبعها محل نظر، وتأمل.

نعم لو ثبت كونها متبادلة الأجزاء والخفة والثقل في كل قسمين فرض فيها، لكان لها مركز ثقل، لكن تزول، أو تبدل بزوال جزء من أجزائها من موضعه، وتعد إثباته مما لا يخفى.

وأعلم: أنه ورد في بعض الأخبار: أن الجبال مخلوقة من الأمواج، روى الصدوق رحمته الله في كتاب العيون، وكتاب العلل بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في جملة مسائل الشامي ^(٢): أنه سأل عليه السلام: مِمَّ خُلِقَتِ الجبال؟ قال: (من

(١) من نسخة (ب).

(٢) خليلد بن أوفى، العنزي، روى عن الامام الصادق عليه السلام، ويروي عنه الحسن بن محبوب، وعبد الله بن مسكان، ويونس بن عبد الرحمن، هؤلاء من أصحاب الاجماع، ينظر ترجمته: الوافي: ١٨ / ٨٩٥، رجال ابن داود: ٨٨، خاتمة المستدرک، حسين الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ٥ / ٤٣٣،

الأمواج^(١).

وذلك والله يعلمُ أمّا بكونِ الامواجِ هي الموادّ للجبال، كما أنّ الماءَ مادّةً للأرضِ، وصيرورةُ الأمواجِ مُتَحَجِّرةٌ بِقُدْرَةِ اللهِ تبارك وتعالى، كما يُحْكِي في بعضِ البلدان، مِنْ إنقلابِ الماءِ حجراً. وأمّا تكونُ الامواجِ مِنْ اسبابها، ومادّتها هي الطّينُ المُرتَفِعُ عند تلاطُمِ الأمواجِ، وتراكمها في ابتداء الخلقِ، فيكونُ معنى الماءِ: الرّواشي في الأرضِ، قلبُ بعضِ طبقاتِ الأرضِ الى الحَجَرِيَّةِ، ويكونُ سبباً لِإستقرار الأرضِ بزيادة الثّقلِ العارضة لها لِحَجَرِيَّتِها. ويدلُّ على الأوّل، قولُ عليّ بن إبراهيم^(٢) في التّفسير، وسيجيئ: (فلما بَلَغَ الوَقْتُ الَّذِي أَرَادَ، قَالَ لِلزَّبَدِ: أَجْمَدَ فَجَمَدَ، وَقَالَ لِلْمَوْجِ: أَجْمَدَ، فَجَمَدَ، فَجَعَلَ الزَّبَدُ أَرْضاً، وَجَعَلَ الْمَوْجَ جِبَالاً رَوَاسِيً)^(٣)، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ بَعْضُ الشّارِحِينَ في مقام التّعليل وجوهاً:

مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر، هاشم البحراني، تح: الشيخ عزة الله الهمداني: ٢،

١٣١، نقد الرجال: ٢/ ٢٠١، جامع الرواة: ١/ ٢٩٨.

(١) عيون أخبار الرضا: ١/ ٢١٨ ح ١، علل الشرائع: ٢/ ٥٩٣ ح ٤٤.

(٢) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم، القمي، ثبت ثقة معتمد، يروي عنه مشايخ الحديث، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب التفسير، وكتاب الناسخ، والمنسوخ، وكتاب المغازي، وكتاب الشرايع، وكتاب قرب الإسناد، وزاد ابن النديم كتاب المناقب، وكتاب اختيار القرآن، ورواياته، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٢٦٠، الفهرست، للطوسي: ١٥٢، الكنى واللقاب: ٢/ ٥٦١.

(٣) تفسير القمي: ١/ ٣٢٢.

الأول: أنه لما كانت فائدة الوتد أن يحفظ الموثود في بعض المواضع عن الحركة، والاضطراب، حتى يكون قارراً ساكناً، وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحة الاستقرار على ذلك، والتصرف عليه، وكان من فائدة وجود الجبال، والتضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لا تكون مغمورة بالماء، ليحصل للحيوان الاستقرار، والتصرف عليها، لا جرم كان بين الأوتاد، والجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونها مُستلزمين لصحة الاستقرار، مانعين من عدمه، لا جرم حسنت نسبة الإيتاد إلى الصخور والجبال.

وأما إشعاره بالميدان؛ فلأن الحيوان كما يكون صادقاً عليه أنه غير مستقر على الأرض بسبب انغمارها في الماء، لو لم يوجد الجبال كذلك، يصدق على الأرض أنها غير مستقرة تحته، ومضطربة بالنسبة إليه.

فثبت حينئذ أنه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة، ومائدة بالنسبة إلى الحيوان؛ لعدم تمكنه من الاستقرار عليها.

الثاني: أن يكون الإشارة بالصخور إلى الأنبياء، والأولياء، والعلماء، وبالأرض إلى الدنيا.

أما وجه التجوز بالصخور [٢١: ظ] عن الأنبياء، والعلماء؛ فلأن الصخور، والجبال لما كانت على غاية من الثبات، والاستقرار، مانعة لما يكون تحتها من الحركة، والاضطراب، عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عما يوجب له الهرب، فيسكن بذلك اضطرابه، وقلقلته، شبهت الأوتاد من

بعض هذه الجهات.

ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ هُمُ السَّبَبُ فِي انتِظَامِ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَعَدَمِ اضْطِرَابِ أَحْوَالِ أَهْلِهَا، كَانُوا كَالْأَوْتَادِ لِلْأَرْضِ، فَلَا جَرَمَ صَحَّتْ اسْتِعَارَةُ لَفْظِ الصُّخُورِ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ يَحْسُنُ فِي الْعُرْفِ أَنْ يُقَالَ: فَلَانٌ جَبَلٌ مَنِعٌ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُلْهَوِفٍ، إِذَا كَانَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الْمُهَمَّاتِ، وَالْحَوَائِجِ، وَالْعُلَمَاءُ أَوْتَادُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

الثالث: إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ جَعْلِ الْجِبَالِ كَالْأَوْتَادِ فِي الْأَرْضِ: أَنْ يُهْتَدَى بِهَا إِلَى طَرِيقِهَا، وَالْمَقَاصِدِ فِيهَا، فَلَا يَمْتَدُّ جِهَاتُهَا الْمُشْتَبِهَةُ بِأَهْلِهَا، وَلَا تَمِيلُ بِهِمْ، فَيَتِيهُونَ فِيهَا عَنْ طَرَقِهِمْ، وَمَقَاصِدِهِمْ^(١).

وَلَا يَخْفَى مَا فِيهَا مِنَ الْبُعْدِ، وَالِاضْطِرَابِ، وَعَدَمِ اسْتِقْرَارِهَا عَلَى شَيْءٍ كَالْأَرْضِ عِنْدَ الْمِيدَانِ، وَمَا فِي بَعْضِهَا مِنَ الْخُشُونَةِ فِي التَّعْبِيرِ بِالصُّخُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ بِالْأَرْضِ قِطْعَاتُهَا، وَبِقَاعُهَا، لَا مَجْمُوعُ كُرَةِ الْأَرْضِ، وَبِكَوْنِ الْجِبَالِ أَوْتَادًا لَهَا: أَنَّهَا حَافِظَةٌ لَهَا عَنِ الْمِيدَانِ، وَالِاضْطِرَابِ بِالزَّلْزَلَةِ، وَنَحْوِهَا، أَمَّا حَرَكَةُ الْبُخَارَاتِ الْمُحْتَقِنَةِ فِي دَاخِلِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ لغيرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَعْلَمُهَا مُبْدِعُهَا وَمُنْشِئُهَا^(٢).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١١٨-١١٩، تفسير المحيط الأعظم، والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ١٧٨-١٧٩.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ١٠٨/٥٧.

وربما يُستأنس بما روي مُكرراً في كتب الأخبار: إن ذا القرنين لما انتهى إلى السدّ جاوزَهُ، فدخل الظلمات، فإذا هو بِمَلِكٍ قائمٍ على جَبَلٍ طُوْلُهُ خَمْسَمِائَةِ ذِرَاعٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ أَمَا كَانَ خَلْفَكَ مَسْلَكٌ؟ فَقَالَ لَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَلِكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَنِ، مُوَكَّلٌ بِهَذَا الْجَبَلِ، فَلَيْسَ مِنْ جَبَلٍ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا وَلَهُ عِرْقٌ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ، فإذا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُزِلَّ مَدِينَةً أَوْ حَيٍّ فَيَزِلُّهَا^(١)، ولا يُنافي هذا كون الزلزلة أحياناً لأسبابٍ أُخرى، كما روي أيضاً في سببها: أَنَّها حركة الحوت، أو لتحريكها فلساً منها.

ولعلك بعدما أَصَغَيْتَ إلى ما تلوناه عَلَيْكَ، ولاحَ لك في مطاوي ما وجَّهنا به كلام المورِدِ المُدَّقِّقِ، لا تكون في مَرِيَةٍ مِنْ أَنْ أَقْرَبَ الْوُجُوهِ عَقْلاً، ونَقْلاً ما ذكرناه في توجيه كلامِ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، ولا تتوقَّفْ صِحَّتَهُ على اقتضاء الطَّبِيعَةِ، وطلبها المركز، بل يصحَّ على تقدير انتفائه، بأن تكون الجبال مانعةً عن تحريكِ الماء الأرض على ظهرِ الحاملِ لها، مُوجِبَةً لِسُكُونِهَا، واستقرارها، فتأمل في المقام، فلقد زَلَّتْ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وتزلزلت الأفهام، والتَّكْلَانُ على فضلِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ.

(١) رواه الصدوق في المجالس، و(العلل)، و(من لا يحضره الفقيه) عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام. ينظر: الامالي، الشيخ الصدوق: ٥٥٠، علل الشرائع: ٢/ ٥٥٤ ح ٢، من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، تح: علي أكبر غفاري: ٥٤٢/١ ح ١٥١١.

﴿أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ﴾^(١)

الدِّينُ: بالكسر الإسلام، والطَّاعَةُ^(٢) وَدَانَ لَهُ، أَي: أَطَاعَهُ^(٣)، والقَهْرُ: يقال: (دَنَيْتُهُمْ فَدَانُوا، أَي: قَهَرْتَهُمْ، فَأَطَاعُوا)^(٤)، وفيه الحديث: (كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَيَّانُ هَذِهِ الْأُمَّةِ)^(٥)، والجزاء، والمكافأة، ومنه الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَيَدِينُ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقُرَنَاءِ)^(٦)، أَي: يَقْتَضِي لِمَا لَا قَرْنَ لَهَا، ومنه يُقَالُ: (كَمَا تَدِينُ تُدَانُ)^(٧).
والذَّلَّةُ، والإِذْلَالُ، ومنه الحديث: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ)^(٨)، أَي: العَاقِلُ مَنْ أَذْلَهَا وَاسْتَعْبَدَهَا، وَالْحِسَابُ، وبه فَسِرَ الحديث،

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (دين).

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (دين).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤٨/٢.

(٥) كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح: محمد باقر الأنصاري الزنجاني: ٣٨٢ ح ٤٦،
النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤٨/٢، بحار الانوار: ٩٧/٤٠.

(٦) وهو مروي بأسانيد متعددة باختلاف يسير في الألفاظ عن سلمان المحمدي عليه السلام،
الاحاديث الطوال، الطبراني، تح: مصطفى عبد القادر عطا: ٩٨، المستدرک علی
الصحيحين: ٣١٦/٢، المجازات النبوية، الشريف الرضي، تح: د. طه محمد الزيني:
٩٩، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٤٩/٢.

(٧) جمهرة الأمثال: ١٦٨/٢، مجمع الامثال: ١٠٩/٢.

(٨)، وروى شداد بن أوس عنه عليه السلام أنه قال: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)، وهو مروي بأسانيد متعددة

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

أي: مَنْ حاسبَهَا بضبطٍ ما عملَتْ، والعِبَادَةُ، وكُلُّ ما يُتَعَبَّدُ اللهُ بِهِ^(١)، والعَادَةُ، والشَّأْنُ، والقَضَاءُ، والسُّلْطَانُ، والتَّدْبِيرُ، والسَّيْرَةُ، والمِلَّةُ، والوَرَعُ، والمَعِصِيَّةُ، والإِكْرَاهُ، والتَّوْحِيدُ^(٢). والمرادُ بالمعرفة: أَمَّا التَّصَوُّرُ، فيكونُ مُتَقَدِّمًا على وَجوبِ النَّظَرِ، والقصدُ إليه، أو المرادُ بالمعرفة [٢٢: و] التَّصْدِيقُ بصانعٍ.

وبالتَّصْدِيقِ المتصدَّق^(٣) بأنَّه واجبُ الوجودِ، ولا يُنَافِي أوَّلَيتها تقديمُ النَّظَرِ؛ لكونه مِنَ المُقَدِّمَاتِ المقصودةِ بالعَرَضِ، أو المرادُ بالمعرفةِ التَّصْدِيقُ الفِطْرِي، وبالتَّصْدِيقِ ما يحصلُ عُقِبَ النَّظَرِ، والتأمُّلُ في آياتِ الأنفسِ، والآفاقِ^(٤).

باختلاف يسير في الألفاظ، احياء علوم الدين، الغزالي: ٩ / ١٥، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي: ١٤٢٣ / ٢ ح ٤٢٦٠، الامالي، الشيخ الطوسي: ٥٣، مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٤٦٢.

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (عبد).

(٢) ينظر: المصدر نفسه، مادة (دين).

(٣) في نسخة (ب): التصديق.

(٤) هذه الآيات التي تبدأ جميعها بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾، ولها، وقع خاص، ولحن بليغ جاذب، وتعبيرات مؤثرة، وعميقة، مجموعة من سبع آيات هنَّ في سورة الروم، ست منها متتابعات «من الآية ٢٠ الى الآية ٢٥»، وواحدة منفصلة «، وهي الآية ٤٦». هذه الآيات مقسمة تقسيما طريفا من حيث «آيات الآفاق»، و «آيات الأنفس» إذ تتحدث ثلاث منها عن آيات الأنفس (دلائل الخالق في، وجود الإنسان نفسه)، وثلاث منها عن آيات الآفاق (دلائل الخالق خارج، وجود الإنسان)، وواحدة من هذه الآيات تتحدث عن الآيات في الأنفس، وفي الآفاق معا. ينظر: الأمثل في

وإنما كان كمال التصديق بالتوحيد؛ لأن إثبات الشريك يُنافي وجوب وجوده، على ما قرّر في دليل التوحيد، أو لأنه يُنافي صانعيته، ولو على سبيل التجويز.

والمُرَاد بالإخلاص: أمّا تنزيهه سبحانه عن الجسومية، والعرضية، واشباههما، أو جعل العبادة خالصاً لوجهه، وهذا وإن كان أقرب لفظاً، إلّا أنّه لا يُناسب ما بعده من قوله عليه السلام: **«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»** ^(١).

وجوّز بعض الشّارحين: ان يكون المراد بالمعرفة: المعرفة التّامة، التي هي غاية العارف، ونهاية مراتب السُّلوك، فيكون المراد من كونها أوّل الدّين: أوّليتها في العقل؛ لكونها علّة غائيّة، قال: وبيان ذلك: إنّ المعرفة التّامة التي هي غاية سعي العارف غيرُ حاصلة له في مبدأ الأمر، بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة، وتحصيل المعرفة التّامة الى الرّياضة بالزُّهد، والعبادة، وتلقّي الأوامر الإلهية بالقبول، التي هي سبب إتمام الدّين، فيستعدُّ أوّلاً بسببها للتّصديق بوجوده يقيناً، ثمّ لتوحيده، ثمّ للإخلاص له، ثمّ لنفي كلّ ما عداه عنه، فيغرق في تيّار بحار العظمة، وكلّ مرتبة أدركها فهي كمال لما قبلها، إلى أن تتمّ المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه، وبكمال

تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٢ / ٤٩٣.

(١) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

المعرفة يتم^(١) الدين، وينتهي السفر الى الله^(٢) انتهى، ولا يخفى ما فيه.
واعلم أنه قد اتفق الجمهور - عدا^(٣) الكرامية^(٤) - على أنه سبحانه
لا يُوصَفُ بالحوادث، واختلفوا في الصفات القديمة، فذهبت الإمامية،
والمعتزلة^(٥) إلا من شذ منهم، وجمهور الفلاسفة. الى نفي الصفات الزائدة

(١) في نسخة (ب): يتم.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٠.

(٣) في نسخة (ب): عد.

(٤) الكرامية هم فرقة من المجسمة كانوا في القرن الثالث الهجري أتباع محمد بن كرام
السجستاني المتوفى (٢٥٥ هـ) كان يقول: الايمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد
عن عقد قلب، وعمل جوارح، وقال خلق من الاتباع له: بأن الباري جسم لا
كالأجسام، وأن النبي تجوز منه الكبائر سوى الكذب. ينظر: سير أعلام النبلاء:
١١/ ٥٢٤، الفصل في الملل، والأهواء، والنحل، ابن حزم: ٣/ ١٨٨، صحيح شرح
العقيدة الطحاوية، حسن السقاف: ٥٣.

(٥) المعتزلة: من أوائل الفرق الكلامية ظهوراً في تاريخ المسلمين، إذ بدأت في النصف
الأول من القرن الهجري الثاني، وأختلف في تسميتهم بالمعتزلة، وأشهر الأقوال أن
ذلك يرجع الى اعتزال، واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) مجلس الحسن البصري (ت
١١٠ هـ) عندما سئل الاخير عن من ارتكب الكبيرة: أمؤمن هو أم كافر؟ فأجاب،
واصل من فوره، بأنه في منزلة بين الأيمان، والكفر ثم قام، وتخذ لنفسه مكاناً آخر،
فقال الحسن: اعتزلنا واصل، واشتهر المعتزلة بأصول خمسة: العدل، والتوحيد،
والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على
الرغم من انقسام المعتزلة مدرستين، أحدهما: في البصرة، وأخرهما: في بغداد بقي
الاعتماد على العقل في تفسير النصوص الشرعية، قشما مشتركا بينهما، ينظر: الملل،

القديمة مُطلقاً.

وذهبت الأشاعرة^(١) الى اتصافه سبحانه بالمعاني القديمة، من العلم،
والقدرة، والإرادة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر.

وذهب أبو هاشم^(٢): الى أن الله تعالى احوالاً، مثل: العالمية، والقادرية،

والنحل، الشهرستاني، تح: محمد سيد غيلاني: ١/ ٤٣-٤٥، البرهان في معرفة عقائد
اهل الاديان، تح: د. بسام علي سلامة العموش: ٤٩-٥٠، الموسوعة الإسلامية
العامة: ١٣١٨-١٣١٩.

(١) الاشاعرة: يمثلون فرقة كلامية تنسب الى أبي الحسن علي بن سلمان الأشعري (ت
٣٢٤هـ)، الذي ولد في البصرة، وكان في بداية حياته على مذهب الاعتزال بل عُدَّ
من كبار رجاله، ثم تحول الى مذهب أهل الحديث معلناً براءته من مذهبه القديم،
ويُعَدُّ الباحثون فكر الأشعري حالة، وسطاً بين المعتزلة، وأهل الحديث تمثلت في
محاولة التوسط بين العقل، والنقل في الألهيات غير أن المذهب الأشعري بعده ما
لبث أن مال الى العقل على حساب النقل مقتفياً أثار المعتزلة في ذلك، ينظر: مقدمة
ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش: ٤٣٥-٤٣٦، نشأة الأشعرية، وتطورها:
١٩٨-١٩٩، الموسوعة الإسلامية العامة: ١٥٠-١٥١.

(٢) أبو هاشم، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن
أبان، الجبائي، من شيوخ المعتزلة، واليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة، سكن
بغداد إلى حين وفاته ولد أبو هاشم سنة سبع وأربعين ومائتين، ومات في شعبان
سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد، صنف الكتب على مذاهبهم منها: الجامع
الكبير، النقض على أرسطاليس في الكون، والفساد، الطبائع، والنقض على القائلين
بها، الاجتهاد، والانسان. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد: ١١/ ٥٦، سير أعلام النبلاء:
١٥/ ٦٣، الانساب، السمعي: ٢/ ١٧، البداية، والنهاية، ابن كثير، تح: علي شيري:

والحيّة وغيرها^(١).

وكلامه ﷺ من حيث التصريح بالمدعى دليل على نفيها مُطلقاً، مع أنّه ﷺ استدلّ عليه بقوله: ﴿لَشَهَادَةٍ﴾^(٢)، باللام، وفي بعض النسخ بالباء الموحدة^(٣) ﴿كُلُّ صِفَةٍ أَنهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةُ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ﴾^(٤).

وإذا ثبتت المغايرة، فتلك الصفات لا يجوز أن تكون مُمكنة؛ لاستلزام امكانها افتقار الواجب في استكمالها الى المُمكن، فتكون واجبةً.

﴿فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ﴾^(٥)

أي: أثبت له قريناً واجب الوجود، ويُمكن استفادة بطلان الشقّ الأوّل من هذه المُقدمة، بأن يُقال: الصّفة لا تكون إلّا قريناً للموصوف في الوجود والبقاء؛ لظهور بطلان كونه سبحانه عارياً عن صفاته الكمالية ازلاً؛ ولأنّه لا يقول به المُثبتون ايضاً إلّا مَنْ لا يُعبأ بهم.

١١/ ٢٠٠، معجم المؤلفين: ٥/ ٢٣٠.

(١) ينظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، تحد: آية الله حسن زاده الآملي: ٤١٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٣) ينظر: الكافي: ١/ ١٤٠، تفسير المحيط الأعظم، والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٤/ ٢٧٨.

(٤) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٤ خ ١.

والقرينُ للواجب في القَدَم والأزليَّة لا يكونُ إلَّا واجبٌ، كما يدلُّ عليه قوله عليه السلام في الخطبة الجامعة لأصول العلم في نفي قَدَم الكلام ^(١) ﴿وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِهْمًا ثَانِيًا﴾ ^(٢)، وسيأتيك إن شاء الله تعالى في توضيح هذه المقدمة عند شرح الخطبة المذكورة، وغيرها ما يكشف الغطاء، ويُزيل الارتباب.

ويمكن ان يكون كلامه عليه السلام إشارة الى دليلين؛ بأن يكون قوله [٢٣: و] صلوات الله عليه: ﴿بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ﴾ الى آخره دليلاً مُستقلاً، تقريره: لو كانت له سبحانه صفةٌ لكانت مُغايرةً له، والموصوفُ محتاجٌ في استكمالهِ الى صِفَتِهِ؛ لكونه ناقصاً بدونها، فيكون الواجبُ محتاجاً الى الغير، والمُحتاجُ الى الغير لا يكونُ إلَّا مُمكنًا، فيلزمُ إمكان الواجب ^(٣).

ويكونُ قوله عليه السلام: ﴿فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ﴾ ^(٤) الى آخره بضم مُقدمة المُغايرة دليلاً آخر - كما قرناه - ويدلُّ على بطلان كون الصِّفة قريناً له

(١) نهج البلاغة: ١٢٣ خ ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٨ خ ١٨٦.

(٣) الفخر الرازي يقول: (قلنا: إنه لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل لأن ذلك يقتضي إما حدوث الله تعالى، أو قدم المحل، وكلاهما باطلان، لأننا دللنا على أن الله قديم، وعلى أن الجسم محدث، ولأنه لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجاً إلى المحل، والمحتاج إلى الغير ممكن لذاته لا يكون واجباً لذاته، وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يحل مع جواز أن يحل لأنه لما كانت ذاته واجبة الوجود لذاته، وحلوله في المحل أمر جائز، والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز، فيلزم أن يكون حلوله في المحل أمراً زائداً على ذاته، وذلك محال)، مفاتيح الغيب: ٢١/٢١٠.

(٤) نهج البلاغة: ٢٤ خ ١.

وَاجِبَ الوجودِ أَنَّ الصِّفةَ لا تقوم بذاتها، وما لا يقوم بذاته لا يكون واجب الوجود.

وقد استدلل أصحابنا على بطلان المعاني القديمة، باستلزامها وجود قديم سوى الله سبحانه، وكلُّ ممكنٍ حادثٌ بالاتفاق.

وأجاب بعضُ الأشاعرة: بأنَّ كلَّ ممكنٍ يكون مُغايِراً له سبحانه، فهو حادثٌ، وأمَّا المعاني التي أثبتنا، فلا هي عينه؛ لأنَّها مُغايِرةٌ له في الوجود، ولا غيره؛ لأنَّها صفتُه، فلا استحالة في قديمها.

ولا يخفى أنَّ هذا من الخرافات التي لا يُصغي عليها عاقلٌ، ويُبطله صريحاً كلامه عليه السلام، ولقد فرَّع المحقق الطوسي^(١) بـحسب الله نفي المعاني، والاحوال على وجوب الوجود، وهو مبنيٌّ على دليل الافتقار، ولا يحتاجُ الى أخذ المُقدِّمة القائلة: بأنَّ الواحد لا يكون قابلاً وفاعلاً^(٢) كما فعله الشارح الجديد^(٣).

(١) محمد بن محمد بن الحسن، الخواجة نصير الدين الطوسي، الفيلسوف المحقق المتكلم ولد في طوس، ونشأ بها، صنف كتبٌ، ورسائل في شتى صنوف المعرفة، منها: تجريد الكلام، التذكرة النصيرية، وغيرها، توفي سنة ٦٧٢ هـ، ينظر: الكنى واللقاب: ٢٥٠ / ٣، طرائف المقال: ٤٤٤ / ٢.

(٢) ينظر: كشف المراد في شرح التجريد، نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي: ١٠٣.

(٣) علاء الدين علي بن محمد السمرقندي القوشجي من مشاهير المحققين في الفلسفة، والعلوم الرياضية، تلمذ لدى العلامة القاضي زادة الرومي، وله مصنفات منها: شرح التجريد المعروف بالشرح الجديد للعلامة نصير الدين بن محمد الطوسي،

ونقل العلامة^(١) رحمه الله عن الفخر الرازي: أنه قال: (النصاري كفروا؛ بأنهم أثبتوا قدماء ثلاثة، وأصحابنا قد اثبتوا تسعة)^(٢).

وما استدلت الأشاعرة في إثبات المعاني، من قياس الغائب على الشاهد، ومن الاحتياج الى التأويل في إطلاق العالم عليه تعالى، وبطلانه واضح^(٣)، وقد اعترف بعضهم بأن العمدة في إثبات الصفات الزائدة هو عدم ارتكاب التأويل، وإن الاستدلالات العقلية على إثباتها مدخولة.

واعلم: إنه قد تضافرت الأخبار بنفي الصفات، عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم، ولتبرك بذكر شيء منها، فمنها:

قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ، وَلَا مَعْلُومٌ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعٌ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرٌ، وَالْقُدْرَةُ

وعنقود الزواهر في نظم الجواهر في علم الصرف، توفي في القسطنطينية سنة ٨٧٩ هـ ينظر: كشف الظنون: ٢/ ١١٧٤، شرح احقاق الحق: ١/ ٤٦٣، الغدير: ١/ ١٣٢، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٥٤.

(١) أبو منصور، جمال الدين الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر، المعروف بالعلامة الحلي ولد سنة ٦٤٨ هـ، انتهت إليه رئاسة الإمامية، له تصنيفات في كل فروع العلم، والمعرفة، في الأصول، والفروع، منها: خلاصة الأقوال في علم الرجال، تحرير الأحكام، تبصرة المتعلمين، وغيرها، توفي سنة ٧٢٦ هـ، ينظر ترجمته: أمل الآمل: ٢/ ٨١، معجم رجال الحديث: ٦/ ١٧١.

(٢) نهج الحق، وكشف الصدق، العلامة الحلي: ٦٥، الرسالة السعدية، العلامة الحلي، تح: عبد الحسين محمد علي بقال: ٥١، وينظر: مفاتيح الغيب: ١/ ١٣٢.

(٣) ينظر: المواقف: ٣/ ٦٧.

ذاتُهُ وَلَا مَقْدُورٌ^(١).

وعن محمد بن مسلم^(٢) عن أبي جعفر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْقَدِيمِ: (أَنَّهُ وَاحِدٌ صَمَدٌ، أَحَدِيّ الْمَعْنَى، لَيْسَ بِمَعَانِي كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَزْعُمُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، أَنَّهُ يَسْمَعُ بَغَيْرِ الَّذِي يُبْصِرُ، وَيُبْصِرُ بَغَيْرِ الَّذِي يَسْمَعُ، قَالَ: كَذِبُوا وَأَلْحِدُوا وَشَبَّهُوا، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ، وَيُبْصِرُ بِمَا يَسْمَعُ)^(٣).

وعن هشام بن الحكم^(٤) قَالَ فِي حَدِيثِ الزَّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لَهُ: اتَّقُولُ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بَغَيْرِ جَارِحَةٍ، وَبَصِيرٌ بَغَيْرِ آلَةٍ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ، وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ قَوْلِي: إِنَّهُ سَمِيعٌ بِنَفْسِهِ، إِنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرٌ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي، إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولًا، وَإِفْهَامًا لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلًا، فَأَقُولُ: يَسْمَعُ بِكُلِّهِ، لَا أَنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ لَنَا بَعْضٌ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ،

(١) الكافي: ١/١٠٧ ح ١.

(٢) أبو جعفر، محمد بن مسلم بن رباح، الأوقص، فقيه، ورع، وجه الأصحاب في الكوفة، روى عن الإمامين الباقر، والصادق عليهما السلام له كتاب، كان من أوثق الناس، توفي سنة ١٥٠ هـ، ينظر: الرجال، النجاشي: ٣٢٤، خلاصة الأقوال: ٢٥١.

(٣) الكافي: ١/١٠٨ ح ١.

(٤) أبو محمد هشام بن الحكم الكندي، نزل الكوفة، وانتقل إلى بغداد، ممن فتح الكلام في الإمامة، وهذب المذهب، روى عن الإمامين الصادق، والكاظم عليهما السلام له كتب، منها: التوحيد، الإمامة، الرد على الزنادقة، وغيرها، توفي سنة ١٩٩ هـ، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٤٣٣، معالم العلماء: ١٦٣.

والتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرَجِعِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَالِمُ الْحَبِيرُ، بِلَا اخْتِلَافٍ الدَّاتِ، وَلَا اخْتِلَافٍ مَعْنَى^(١).

وروى الصَّدوق رحمته الله في كتاب عُيُون الْأَخْبَارِ عَنِ الرِّضَا عليه السلام خطبة، نذكرُ منها هاهنا ما يُشابه [٢٤: ظ] الْفِقَرَاتِ الْمَذْكُورَةِ، قَالَ: (إِنَّهُ عليه السلام حَمْدَ اللَّهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ، وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَوْحِيدَهُ، وَنِظَامُ تَوْحِيدِ اللَّهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ الْمَعْقُولِ: أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٍ، وَشَهَادَةُ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّ لَهُ خَالِقًا، لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلَا مَوْصُوفٍ، وَشَهَادَةُ كُلِّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالِاقْتِرَانِ، وَشَهَادَةُ الْاِقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ، وَشَهَادَةُ الْحَدَثِ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ الْأَزْلِ الْمُتَمَنِّعُ مِنَ الْحُدُوثِ)^(٢).

وروى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ رحمته الله عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: (أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ الْمَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، وَشَهَادَتُهُمَا بِالتَّشْيِئَةِ، الْمُتَمَنِّعُ مِنْهُ الْأَزْلُ)^(٣)، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ هَذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، مِنْ أَنَّ الْقَدِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا وَاجِبًا، فَإِنَّ شَهَادَةَ الْاِقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ، وَامْتِنَاعَ الشَّيْئَةِ مِنَ الْأَزْلِ؛ لَا اسْتِلْزَامَهُمَا تَعَدُّدُ الْوَاجِبِ، فَتَدَبَّرْ.

(١) التوحيد: ١٤٤ ح ١٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٣٥ ح ٥١.

(٣) الكافي: ١/ ١٤٠ ح ٦.

﴿وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ﴾^(١)

جزّاه: بالهمزة، والتشديد، أي: قسّمه أجزاءً كجزّاه بالتخفيف^(٢)، أي: مَنْ أثبت له سبحانه قريناً هو صِفَتُهُ فقد حَكَمَ بالتثنية؛ لُمُغَايِرَةِ الذَّاتِ، والصِّفَةِ، وَمَنْ أثبت له هذا التعدّد فقد جزّاه نوعاً من التّجزئة، فإنّه أطلق لفظة الله مثلاً على الذّات، والصِّفَةِ، فجعل مُسمّى هذا اللفظ مُتجزئاً، كما في إطلاق الأسود على جسمٍ وسوادٍ وَمَنْ جزّاه كذلك.

أو مُطلقاً فقد جَهَلَهُ؛ لأنّه اعتقده على خلافٍ ما هو عليه، وفي الحقيقة جعله ممكناً الوجود؛ لأنّ الواجب لا يكون كذلك، هذا ما ذكره الشّراح في هذا المقام^(٣)، وهو كما ترى.

ويُحتمل أن يكون المراد - والله أعلم - أن مَنْ أثبت له قريناً مُطلقاً، فقد جعل الواجب مُتعدّداً، أي: أثبت ذاتين واجبي الوجود؛ لأنّ الواجب لا يكون إلّا ذاتاً، لأنّ الصِّفَةَ مُفتقرةً الى موصوفها، لا تقوم بذاتها، أو أثبت واجبين مُطلقاً.

وَمَنْ أثبت فردين لهذا المفهوم، فقد جعل الواجب مُركباً، بل جعلهما مُركّبين؛ لاستلزام وجود الاثنين المُشترَكَيْنِ في وجوب الوجود تشخصاً به، يمتاز كلّ منهما عن الآخر.

(١) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (جزأ).

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٧٥،

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدْ ثَنَّاهُ﴾، إِمَّا رَاجِعٌ إِلَى الْمَفْهُومِ وَاجِبِ الوجود عَلَى نَوْعٍ مِنَ الِاسْتِخْدَامِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالتَّثْنَةِ إِثْبَاتُ الْاِثْنَيْنِ بَدَلِ الْوَاحِدِ، وَضُمُّ وَاحِدٍ إِلَيْهِ.

وَحِينَ إِذْ يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى الدَّلِيلِ الْمَشْهُورِ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالتَّجْزِئَةِ تَجْزِئَةُ الْمُلْكِ، وَالصَّانِعِيَّةُ عَلَى تَقْدِيرٍ مُضَافٍ، أَوْ إِسْنَادٍ مَجَازِيٍّ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: مَنْ ثَنَّا، وَأَثَبَتْ لَهُ شَرِيكًا، جَعَلَ مِثْلَهُ مُنْقَسِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَرِيكِهِ، وَأَسْنَدَ بَعْضَ مَقْدُورَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ إِلَى ذَلِكَ الشَّرِيكِ بِالصَّدُورِ عَنْهُ بِالْفِعْلِ، حَتَّى لَا يَلْزَمَ تَعْطِيلُهُ مُطْلَقًا.

أَوْ بِالِإِمْكَانِ، حَيْثُ أَثَبَتْ صَانِعًا يَصْحُحُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ بَعْضُ مَصْنُوعَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ كَذَلِكَ، فَقَدْ جَهَلَهُ فَلَا يَكُونُ غَرْضُهُ^(١) فِي الْمَقَامِ الْاِسْتِدْلَالَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضُ أَدْلَةِ التَّوْحِيدِ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، أَوْ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ اللَّازِمَ الْجَهْلَ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ لِاسْتِزْمَامِهِ نَفْيِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي جَعَلَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ الدِّينِ، وَلَوْ بِالِاسْتِزْمَامِ لِنَفْيِ الْكَمَالِ.

﴿وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ﴾^(٢)

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْإِشَارَةِ الْحَسِيَّةِ، أَيِ: مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ لَزَعَمَ أَنَّهُ فِي جِهَةٍ، أَوْ جَوَّزَ [٢٥: و] الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ، فَقَدْ جَعَلَهُ مُحَدُودًا بِنَهَايَةٍ وَأَطْرَافٍ كَمَا

(١) فِي نَسْخَةِ (ب): عَرْضُهُ.

(٢) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ٢٥ خ ١.

هو شأن كل ذي جهة؛ لاستلزام الإشارة للجسميّة.

وَمَنْ جَعَلَهُ "ذَا" ^(١) حُدُودٍ وَنَهَايَاتٍ، فَقَدْ جَعَلَهُ مَعْدُوداً ذَا ^(٢) أَجْزَاءٍ، وَجَعَلَهُ مُرَكَّباً وَلَوْ مِنْ الْأَجْزَاءِ الْغَرَضِيَّةِ مَعْرُوضاً لِلْعَدَدِ وَلَوْ لِمُغَايَرَةِ ذَاتِهِ وَعَوَارِضِهِ الَّتِي اثْبَتَهَا لَهُ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ، لَا يَعْرِضُهُ عَدَدٌ، كَمَا سَيَجِيئُ قَوْلُهُ الْعَلِيُّ: عَنْ وَاحِدٍ لَا يَتَأْوِيلُ عَدَدٍ.

وروى رئيسُ المُحدِّثين رحمته الله في العيون بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني ^(٣) عن أبي الحسن العلي بعد كلام قال: (قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قُلْتُ: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، وَقُلْتُ: لَا يُشْبِهُ شَيْئاً، وَاللَّهُ وَاحِدٌ، وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ، أَلَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ؟ قَالَ: يَا فَتْحُ أَحَلَّتْ ثَبَّتَكَ اللَّهُ؛ إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعْنَى، فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَلَالَةٌ عَلَى الْمُسَمَّى، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ قِيلَ وَاحِدٌ، فَإِنَّمَا يُخْبِرُ أَنَّهُ جُثَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَيْسَ بِاثْنَيْنِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ نَفْسُهُ لَيْسَ بِوَاحِدٍ، لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَلْوَانُهُ مُخْتَلِفَةٌ كَثِيرَةٌ، هُوَ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَجْزَاءٌ مُجَزَّأٌ، لَيْسَتْ بِسَوَاءٍ، دَمُهُ غَيْرُ لَحْمِهِ، وَلَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ، وَعَصَبُهُ غَيْرُ عُرُوقِهِ، وَشَعْرُهُ غَيْرُ بَشَرِهِ، وَسَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ.

وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْخَلْقِ وَالْإِنْسَانِ، وَاحِدٌ فِي الْأَسْمَاءِ لَا وَاحِدٌ فِي الْمَعْنَى، وَاللَّهُ

(١) في نسخة (ب): ذات.

(٢) في نسخة (ب): اذا.

(٣) أبو عبد الله، الفتح بن يزيد الجرجاني، صاحب المسائل، من أصحاب الإمام الهادي

العلي له كتاب، ينظر ترجمته: الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٠١، معجم رجال

الحديث: ٢٦٥/١٤.

جَلَّ جَلَالُهُ وَاحِدٌ لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، وَلَا تَفَاوُتَ، وَلَا زِيَادَةَ، وَلَا نَقْصَانَ، فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ الْمَصْنُوعُ، الْمُؤَلَّفُ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَجَوَاهِرَ شَتَّى، غَيْرَ أَنَّهُ بِالْإِجْمَاعِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَرَجَّتْ عَنِّي، فَرَجَّ اللَّهُ عَنْكَ^(١).

وهذا أحد الوجوه في تفسير قوله عليه السلام: (وَاحِدٌ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ)^(٢)، وسيأتي بقیة الوجوه في شرحه إن شاء الله تعالى.

وقال بعض الشارحين: مَنْ جَعَلَهُ مَحْدُودًا فَقَدْ عَدَّهُ مِنَ الذَّوَاتِ الْمُحَدَّثَةِ، وَلَا يَخْلُو عَنْ بُعْدٍ.

ويُتِمَّلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْإِشَارَةِ الْعَقْلِيَّةِ، أَيْ: تَصَوُّرُهُ بِكُنْهِهِ، أَوْ بَوَاجِهِ جَزْئِي، حَتَّى يَكُونَ مُحَاطًا بِالْآلَاتِ الْجَزْئِيَّةِ، فَيَكُونُ مَحْدُودًا بِالْمَعْنَى الْمُصْطَلَحِ بَيْنَ الْمُنْطَقِيِّينَ، فَيَكُونُ مُرَكَّبًا مِنْ جَنْسٍ، وَفَصْلٍ مَعْرُوضًا لِلْعَدَدِ كَمَا مَرَّ.

أَوْ بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ نِهَايَةٌ عَقْلِيَّةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُمَكَّنًا مَعْرُوضًا لِلْعَدَدِ، أَوْ يَكُونُ مَحْدُودًا مَحْفُوفًا بِالْغَوَاشِي الْمَادِيَّةِ؛ لَكُونِهِ مُدْرِكًا بِالْقَوَى الْجَزْئِيَّةِ، فَيَكُونُ مَعْدُودًا لَكُونِهِ مُمَكَّنًا.

وقال بعض الشارحين: كل محدود معدود؛ لأنَّه مبدأ كثر، إذا العقل يُجَوِّزُ وُجُودَ أمثاله^(٣).

(١) ينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١١٧ ح ٢٣.

(٢) الامالي، الشيخ المفيد، تح: الحسين أستاذ ولي، وآخرون: ٢٥٣.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٧٦.

﴿وَمَنْ قَالَ: فِيمَ، فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: عَلَامَ؟، فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ﴾^(١)

أصل فيم، وعلام: فيما وعلى ما، حُذِفَ الألف عن ما الاستفهامية تخفيفاً، وهذا في الاستفهام خاصّة^(٢).

وقوله الطاهر: ضَمَّنَهُ، أي: جعله مشمولاً بشيء، ذا خلافية، ولعلَّ المعنى: أَنَّ مَنْ جعله سبحانه في شيء، أمّا يكون ذلك الشيء مكاناً له، أو محلاً، كالجسم للسواد، فقد جعله في ضمن شيء، وجعل ذلك الشيء مُشتملاً عليه، وإنّما جعل اللازم هذا المعنى لاستلزام كون الشيء مُضمّناً نوعاً من المغلوبيّة، والمقهوريّة، فيكون أنفع في مقام الخطابة.

وأما جعل اللازم في السؤالِ بعلَى الإخلاء منه؛ فلأنَّ كون الشيء على شيء يستلزم جسميّة المستلزمة؛ لِعَدَم تساوى نسبته إلى جميع الأمكنة، وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤)، وتخصيص جهةِ الفوقِ بالسؤال؛ لأنَّ أحداً لا يزعم

(١) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣١ / ٢.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف: ٨٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤.

أَنَّهُ تَعَالَى تَحْتَ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَوْهَمَ بَعْضَ الْحَشَوِيَّةِ^(١) ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: [٢٦: ظ] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، وَإِنَّهُمْ تَوَهَّمُوا ذَلِكَ لاسْتِحْسَانِ عَقْلِيٍّ بَاطِلٍ.

فَلَوْ كَانَ مِنْ مَنْشَأِ غَلَطِ السَّائِلِ هُوَ الْأَوَّلُ، يَكُونُ الْمُعَارَضَةُ بِظَاهِرِ الْآيَاتِ، وَلَوْ أَجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْآيَاتِ الْمَعْيَةِ الْعَامَّةِ، وَتَسَاوِي نِسْبَةِ الْقُدْرَةِ وَالْحُكْمِ يُعَدُّ أَرْضَ بَمَثَلِهِ فِي الْآيَةِ الَّتِي أُسْتَدْبِرَ.

وَلَوْ كَانَ الثَّانِي، يُحْمَلُ اللَّازِمُ فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمُعَارَضَةِ بِنَظِيرِهِ فَتَدَبَّرَ.

﴿كَائِنْ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ﴾^(٣)

كَانَ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ بِصِغَتِهَا دَالٌّ عَلَى الْحَدَثِ وَالزَّمَانِ، بِمَعْنَى: ثَبَتَ،

(١) الْحَشَوِيَّةُ: هُمُ الَّذِينَ يُحْشَوْنَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَي: يَدْخُلُونَهَا فِيهَا، وَلَيْسَتْ مِنْهَا، وَجَمِيعُهُمْ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ، وَالتَّشْبِيهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوصُوفٌ عَنْدهُمْ بِالنَّفْسِ، وَالْيَدِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَائْتِمَ أَجَازُوا عَلَى رَبِّهِمُ الْمَلَامَةَ، وَالْمَصَافَحَةَ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْمَخْلَصِينَ يَعَاقِبُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ إِنْ بَلَّغُوا فِي الرِّيَاضَةِ، وَالْاجْتِهَادِ إِلَى حَدِّ الْإِخْلَاصِ، وَالِاتِّحَادِ الْمُحْضِ، يَنْظُرُ: أَوَائِلَ الْمَقَالَاتِ، الشَّيْخُ الْمَفِيدُ، تَح: الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الْأَنْصَارِيُّ: ١٥٠، مَتَهَى الطَّلَبِ، الْعَلَامَةُ الْحَلِي: ٩/١، الْمَلَلُ، وَالنَّحْلُ: ١٠٥/١.

(٢) طه: ٥.

(٣) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ٢٥ خ ١.

وُتَسَمَّى تَامَّةً.

وثانيها: أن تدلَّ على الزَّمانِ وحده، ويحتاجُ في الدَّلالة على الحدَثِ الى الخبر تمَّ به، وتُسمَّى ناقصة.

والناقصة: تكونُ على وجهين:

أحدهما: أن يدلَّ على ثبوتٍ مُقترِنٍ بِالزَّمانِ الَّذي يدلُّ عليه صيغة الفعلِ إمَّا ماضياً، أو حالاً، أو استقبالاً.

وذهبَ بعضُ النُّحاة على أنَّها تدلُّ على استمرارِ مضمونِ الخبرِ في جميعِ الزَّمنِ الماضي، مُتَمَسِّكاً بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١) ورُدَّ: أن الاستمرار مُستفادٌ من قرينةٍ وجوبِ كونِ الله سَمِيعاً بَصِيراً، لا مِنْ لفظِ كان، ألا ترى أنَّه يجوزُ أن يُقال: كان زيدٌ قائماً نصفَ ساعةٍ فاستيقظ، وإذا قلت: كان زيدٌ ضارباً، لم يُفدِ الاستمرار.

وثاني الوجهين: أن يكونَ بمعنى: صارَ، وهو قليلٌ بالنسبةِ الى الأوَّل^(٢).

وذهبَ الشَّيخُ الرِّضِيُّ^(٣) الى: (إنَّ النَّاقِصَ أيضاً تامَّاً في المعنى، وفاعلها

(١) من قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ١٣٤.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤ / ١٨٩

(٣) رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، نحوي، صرفي، متكلم، فاضل عالم محقق، مدقق، منطقي من استراباذ إحدى قرى طبرستان، من آثاره: شرح الشافية لابن الحاجب في التصريف، شرح الكافية لابن الحاجب في النحو، حاشية على شرح

مصدر الخبر مُضافاً الى الاسم، وزانها وزانُ عَلِمَ النَّاصِبِ لمفعولٍ واحدٍ، وَعَلِمَ النَّاصِبِ لمفعولين، فهما بمعنى واحدٍ^(١).

وثالثهما: أن تكونَ زائدة غيرُ مُفيدةٍ لشيءٍ إِلَّا محضَ التأكيد^(٢)، وعليها حَمَلَ بعضهم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٣)، ليفيدَ الإعجاز، فيكونَ الطَّرْفُ صَلَةً مَنْ وصي حالٌ مِنَ المُسْتَكَنَّ فِيهِ.

وكلمة كائن هاهنا تدلُّ على الوجودِ المُستمرِّ، مِنْ قبيلِ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٤).

وقوله **السلامة**: ﴿مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ﴾، أمّا تأكيدُ الفقرة الأولى، والمُرادُ مِنَ الأولى: تعلِيمُ كيفيةِ إطلاقِ لفظةِ الكونِ على الله سبحانه، والإشعارُ بأنَّ المُرادَ منها ليس ما يتبادرُ إليه الذَّهنُ مِنْ مفهومها، وقيل: المُرادُ في الأولى: نفيُ الحُدُوثِ الذَّاتي، أو الأعمُّ منه وَمِنَ الزَّمان.

تجريد العقائد الجديدة، توفي سنة ٦٨٦هـ، ينظر ترجمته: أمل الامل: ٢ / ٢٥٥، معجم

المؤلفين: ٩ / ١٨٣، معجم رجال الحديث: ١٦ / ٢١٢.

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ١٩٠.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٤ / ١٩٠، خزانة الأدب: ٩ / ٢١١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ مريم: ٢٩.

(٤) من قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ١٣٤.

وفي الثانية: نفى الحدوث الذاتي^(١)، ولا يخفى: إن إطلاق العدم، والحدوث، وأمثالهما على الذاتي غير موجود في كلامهم سلام الله عليهم، ولا في كلام الله سبحانه، وأنه من مصطلحات الفلاسفة، ومن يحذوا حذوهم، وليس شائعاً في عرف العرب، والمقارنة المنفية في كلامه ﷺ هي المصاحبة الزمانية، أو المكانية، أو مصاحبة الحال والمحَل، أو الأعم.

والمعية المثبتة، هي: أنه تعالى عالم بالآشياء، أو حافظ لها عن الآفات، أو أنه مُربي لها بما تحتاج إليه، أو مؤثر فيها على الاحتياج في البقاء، أو الأعم. والمغايرة المثبتة: تنزهه تعالى عن شبهه المخلوقين لا المفارقة المكانية ونحوها، ويحتمل أن تكون المقارنة والمزايلة المنفيتين هما الحادثتان بالنسبة إلى الأشياء في وقت دون وقت، فإن نسبتهما إلى أوقات وجودها على السواء. وقيل: المزايلة المنفية: امتيازها تعالى عنها بعد المشاركة في ذاتي أو عرضي.

﴿فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ﴾^(٢)

لتعالیه عن الجسمیة، والافتقار، بل فعله إبداع واختراع، لا كفعل المخلوقين،

(١) وفيه: (إذ كان في الكلمة الأولى مقصود آخر، وهو تعليم الخلق كيفية إطلاق لفظة الكون على الله تعالى، وإشعارهم أن المراد منها ليس ما يتبادر إليه الذهن من مفهومها حال إطلاقها، وهو الحدوث، ويحتمل أن يكون مراده في الأولى: نفى الحدوث الذاتي، أو ما أعم منه، ومن الزمان، وفي الثانية: نفى الحدوث الزماني)،

ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٨

(٢) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

فإنه تصرف في المواد الموجودة بها أعطاهم الله أنهما من الآلات والأسباب.

﴿بَصِيرٌ؛ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ﴾^(١)

أي: كان الله سبحانه مُتَّصِفاً بسائر الصفات حينَ عَدَمِ المتعلقات [٢٧: ظ] فإنها قديمة وإن كانت تعلقاتها حادثة، كما يدل عليه ما رواه محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده عن أبي بصير^(٢)، قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتَهُ لَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتَهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتَهُ وَلَا مُبْصِرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتَهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصِرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ).

قال: قلت: فلم يزل الله مُتَحَرِّكاً؟ قال: فقال: تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، إِنَّ الْحَرَكَةَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ بِالْفِعْلِ، قال: قلت: فلم يزل الله مُتَكَلِّماً؟ قال: إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ، لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ، كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمٌ^(٣).

(١) المصدر نفسه: ٢٥ خ ١.

(٢) أبو محمد، ليث بن البخترى المرادي، وقيل: أبو بصير الأصغر، عده الشيخ في رجاله تارة من أصحاب الباقر عليه السلام، وأخرى من أصحاب الصادق عليه السلام، وثالثة من أصحاب الكاظم عليه السلام، وعده الكشي ممن أجمعت العصابة على تصديقه. ينظر ترجمته: رجال النجاشي: ٣٢١، رجال الطوسي: ١٣٤، ٢٧٨، ٣٥٨، رجال الكشي، ابو جعفر الطوسي، تح: السيد مهدي الرجائي: ٢٣٨، رجال ابن الغضائري، تح: السيد محمد رضا الجلاي: ١٤١.

(٣) الكافي: ١/ ١٠٧ ح ١.

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

وذلك لأنَّ العِلْمَ عبارةٌ عن ما هو مَنَاطٌ ^(١) انكشاف المنكشاف على العالم، وكونُ العالمِ مُطَّلِعاً عليه، والسَّمْعُ كذلك بالنسبة إلى المسموع، وكذلك البصرُ بالنسبة إلى المُبْصِرِ، وهي فينا كِيفِيَّاتٌ ^(٢)، وقوى قائمة بذواتنا وأنفسنا، ولا كذلك في حقِّه سبحانه؛ إنَّما مَنَاطُ هذه الأمور ذاته الأُحَدِيَّةُ المُقَدَّسَةُ عن شوبِ الكِيفِيَّاتِ، والقوى، والعوارض، والطَّوَارِئِ، فهو سُبْحَانَهُ موصوفٌ بها بذاته، ولا يُسَلَبُ شيءٌ منها عنه بالنسبة إلى شيءٍ مما يصحُّ نسبته إليه، فلا يكونُ عالمٌ بشيءٍ وغيرُ عالمٌ بشيءٍ يصحُّ عليه المَعْلُومِيَّةُ، وكذلك سائرُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ.

وأما الحركة؛ فلكونها مُحَدَّثَةٌ مُسْتَلْزِمَةٌ للانتقالِ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ، لا يمكنُ إتصافه تعالى بها، فضلاً عن أن يتصف بها لذاته ^(٣)، والكلامُ بمعنى إيجادِ الألفاظِ مِنَ الصِّفَاتِ الفَعْلِيَّةِ الإِضَافِيَّةِ، فهو حَدِثٌ اتِّفَاقاً، ونَفْسٌ الألفاظِ لَيْسَ مِمَّا يَقُومُ بِالذَّاتِ، ويُعَدُّ مِنَ الصِّفَاتِ، إِلَّا عِنْدَ جَمَاعَةٍ لَا يُعْبَأُ بِهِمْ، وَأَمَّا الْكَلَامُ النَّفْسِي، فلا معنى له أصلاً سِوَى الْعِلْمِ، على ما تقرر في موضعه.

﴿مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ﴾ ^(٤)

بفتح النون، وفي بعض النسخِ بِالرَّفْعِ، وَالسَّكَنُ بِالتَّحْرِيكِ: مَا تَسْكُنُ

(١) في نسخة (ب): منات.

(٢) في نسخة (ب): كفيات.

(٣) ينظر: الحاشية على أصول الكافي، محمد بن حيدر النائيني، تح: محمد حسين

الدرايتي: ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

إليه النفس وتطمئن^(١).

وكلمة: إذ، هاهنا تعليلية^(٢)، بخلاف السابقة.

﴿لَا يَسْتَأْنَسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ﴾^(٣)

الاستئناس: ذهابُ التَّوَحُّشِ^(٤)، والذي يظهرُ من كلام بعض الشارحين في هذا المقام، هو: أنهم جعلوا الاستيحاش الفقدان، من صفات السَّكَن كالاستئناس عند الوجدان، وحينئذٍ فالأظهر، ويستوحش بدون كلمة لا،

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (سكن).

(٢) يذكر النحويون أن إذ قد تخرج عن الأسمية لتكون حرفاً يؤدي ما تؤديه حروف المعاني، ومع ذلك فهم ليسوا على اتفاق على الحرفية، لأن بعضهم يرى أنها لا تخرج عن الظرفية، وإذ لها معاني عديدة منها (التعليلية) حيث يمثل النحويون لـ إذ التعليلية بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي، ولن ينفعكم اليوم إشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا، وقد اختلف النحويون في إذ هذه هل هي حرف أم اسم؟ فنجد أن السيوطي في المعترك ينسب لسيبويه أنه يرى أن إذ التعليلية حرف، ويذهب آخرون: إلى أنها ظرف بمعنى:، وقت، والتعليل في رأيهم مستفاد من قوة الكلام، وسياقه، وليس من لفظ: إذ، قال السيوطي في ذكر إذ التعليلية: (هل هي حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف بمعنى الوقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ؟ قولان المنسوب إلى سيبويه الأول)، ينظر: الزخرف: ٣٩، معترك الاقرا: ٤٧/٣، أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية، والنحوية، د. عبد العال سالم مكرم: ٢٩.

(٣) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (أنس).

وقد كان ينبغي لهم التعرُّض لذلك، فلعلَّهم جَعَلُوهَا زائدة^(١)، كما قيل في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿۱﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴿۲﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴿۳﴾﴾، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴿۴﴾﴾، ويَحْتَمِلُ أن تكون الجُملة مُستأنفة؛ لدفع توهُم ربما نشأ من الكلام السَّابق، فإنَّ نفي سكن يستأنس به مظنةُ حُصولِ الاستيحاش لفقدٍ، فلا يكون من صفات السَّكن.

﴿أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتِفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةٍ أَحَدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا﴾^(٥)

الإنشاء أمَّا بمعنى الخلق، كما ذكره الجوهري، وغيره^(٦) حينئذٍ فالفرق بينه وبين الابتداء، بأنَّ الإنشاء يُطْلَقُ على ما هو أعمُّ من الابتداء، كما يُطْلَقُ الخلق عليه، مثل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٠.

(٢) من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿۱﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ طه: ٩٢-٩٣.

(٣) من قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعراف: ١٢.

(٤) من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الحديد: ٢٩.

(٥) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (نشأ)، لسان العرب، مادة (نشأ)، مجمع البحرين، مادة (نشأ).

(٧) الطارق: ٦.

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ❁ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ❁^(١).

وقال بعضُ الشَّارحين: (لم أجد لأهل اللُّغة فرقاً بين الإنشاء، والابتداء، وهو: الإيجادُ الَّذي لم يُسبقَ بمثله، إلَّا أَنَّهُ يُمكن أن يُفرَّقَ هاهنا بينهما صوتاً لكلامه ﷺ عن التكرار بأن يُقال: المفهومُ عن الإنشاء هو الإيجادُ الَّذي لم يُسبقَ غيرُ الموجد الموجد إليه، والمفهومُ من الابتداء هو الإيجادُ الَّذي لم يقع من الموجد قَبْلُ)^(٢) [٢٨: و].

ولا يخفى أَنَّهُ على تقدير ترادفهما - كما يظهر من كلام بعضِ أهل اللُّغة - يكونُ التأكيد؛ لدفعِ توهُمِ التَّجَوُّزِ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ، بأن يتوهُمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْإِنْشَاءِ الْإِيجَادُ مِنْ مَادَّةٍ مَخْلُوقَةٍ لغيره.

والرَّوْيَةُ: التَّفَكُّرُ فِي الْأَمْرِ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْهَمْزَةِ، جَرَتْ فِي كَلَامِهِمْ غَيْرَ مَهْمُوزٍ، وَتُجْمَعُ عَلَى رَوَايَا^(٣)، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (شَرُّ الرِّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ)^(٤).

وَالْإِجَالَةُ: الْإِرَادَةُ، مِنَ الْجَوْلَانِ^(٥)، وَإِجَالَةُ الرَّوْيَةِ: حَرَكَةُ الْقُوَّةِ الْمُفَكِّرَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَبَادِئِ، وَالانتقالُ مِنْهَا إِلَى الْمَطَالِبِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْهَا؛ لِتَقْدُّسِهِ عَنِ الْقُوَّةِ الْمُفَكِّرَةِ، وَعَنِ الْعِلْمِ بَعْدَ الْجَهْلِ.

(١) الرحمن: ١٤ - ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٢.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (روى).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٢٧٩.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (جول).

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

والمجرب، بفتح الرَّاء، مِنْ جَرَّبْتَهُ الْأُمُورَ وَأَحْكَمْتَهُ، وإيجادهُ سُبحانه ليس تجربةً حَصَلَتْ له قبل إنشائه هذا الخلق فأعانتَه عليه؛ لتزُهره عن الجهل، وعدم احتياجه، ووجهُ تنزيهه سُبحانه عن الحركة قد ظهرَ مِمَّا سبق، وفي قوله عليه السلام أحَدُهَا دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْفَاعِلَ مِنَّا لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى إِحْدَاثِ حَرَكَةٍ، وَإِلَّا فَالْمَادَّةُ، وَالْأَسْبَابُ، وَإِفَاضَةُ الصُّورَةِ وَغَيْرَهَا، مِنْ فَعَلَهُ تَعَالَى.

وقال بعضُ الشَّارِحِينَ: فِيهِ رَدٌّ عَلَى الْكِرَامِيَّةِ^(١) الَّذِينَ يَقُولُونَ: (انه اذا اراد ان يخلق شيئاً مبيناً عنه احدث في نفسه حادثاً، يسمى الاحداث، فوقع ذلك الشيء المبين عن ذلك المعنى المتجدد المسمى احداثاً)^(٢).

وهِمَامَةُ النَّفْسِ: اهْتِمَامُهَا بِالْأُمُورِ، وَقَصْدُهَا إِلَيْهَا، وَالْاضْطِرَابُ: الْحَرَكَةُ^(٣)، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: وَلَا هِمَّةَ نَفْسٍ، بِكسر الهاء^(٤).

قال بعضُ الشَّارِحِينَ: فِي نَفْيِ الْهِمَامَةِ رَدٌّ عَلَى الثَّنَوِيَّةِ^(٥)، وَالْمَجُوسِ^(٦)،

(١) مَرَّ الْكَلَامُ عَنْهُمْ فِي صَفْحَةٍ: ٢٥٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨٠ / ١.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (ضرب).

(٤) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٥٥، بحار الانوار: ١٨٠ / ٥٤.

(٥) الثنوية: فرقة من الكفرة يقولون بإثنيينية الإله هم أصحاب الاثنين الأزليين، زعموا أن النور، والظلمة أزليان قديمان متساويان في القدم، والقدرة، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، ينظر: الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني: ١٤ / ٤٦٨، كشاف اصطلاحات الفنون، والعلوم، التهانوي، تح: د. علي دحروج، وآخرون: ١ / ٥٤١.

(٦) المجوس: هم فرقة يعبدون النار الذين اثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان:

القائلين بها، ولهم فيها خبطٌ طويلٌ، يذكره أصحابُ المقالات، والغرضُ تنزيهه تعالى عن شبه المخلوقين في أفعاله حقٌّ لا يشوبها شيءٌ ممَّا لا يليقُ بعزِّ جلاله، فإنَّه: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

﴿أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا﴾^(٢)

بالحاء المهملة، كما في كثيرٍ من النسخ، أمَّا من الإحالة، بمعنى: التَّحويل والنَّقل^(٣)، أي: نقلُ كُلِّها منها الى وقتها، واللام في لأوقاتها للتعليل، أي: لأجل أوقاتها؛ لأنَّ كُلَّ وقتٍ يستحقُّ بحسبِ قُدرةِ الله وعِلْمه ما لا يستحقُّه غيره على ما ذكره بعضُ الشَّارحين^(٤)، وأمَّا من قولهم: حال في متن "فرسه"^(٥)، أي: وثب، فعُدِّي بالهمزة، فكأنَّه لما أقرَّ الأشياء في أوقاتها وأحيانها، صار كمن أحال غيره على فرسه على ما ذكره بعضهم^(٦)، ولكنَّ استعمالَ أحال بهذا المعنى باللام غيرُ معروفٍ، وفي بعضِ النسخ. ورواه بعضُ الشَّارحين:

الخير، والشر، والنفع، والضرر، والصالح، والفساد يسمون أحدهما النور، والآخر الظلمة، وبالفارسية يزدان، واهرمن، وقيل، ينظر: الملل، والنحل: ١/ ٢٣٢، كشف اصطلاحات الفنون، والعلوم: ٢/ ١٤٧٩.

(١) من قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة: ١١٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (حول).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٥.

(٥) في نسخة (ج): فرساء.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ٨١.

أَجَالٌ، بالجميم، أي: أَدَارٌ^(١)، كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَرَّكَ الْأَشْيَاءَ وَرَدَّدَهَا فِي الْعَدَمِ، حَتَّى يَحْضُرَ وَقْتُهَا فَيُخْرِجُهَا، "وَيُرَوَى"^(٢) أَجَلٌ، بالجميم المُشَدَّدَةُ، مِنْ التَّأْجِيلِ^(٣)، أي: أَخَّرَ^(٤).

﴿وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلَفَاتِهَا﴾^(٥)

أي: جَعَلَهَا مُلْتَمِئَةً مُؤْتَلِفَةً، كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ الْعُنَاصِرِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الطَّبَّاعِ، وَأَلَّفَ بَيْنَ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ.

﴿وَوَعَّرَزَ غَرَائِزَهَا، وَالزَمَهَا أَسْنَاخَهَا﴾^(٦)

الغريزة: الْخَلْقُ، وَالطَّبِيعَةُ^(٧)، صَالِحَةٌ كَانَتْ، أَوْ رَدِئَةٌ^(٨)، وَالسَّنَخُ، بَكْسَرِ السَّيْنِ، وَسُكُونُ النَّوْنِ: الْأَصْلُ^(٩)، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: أَشْبَاحُهَا، جَمْعُ شَبَحٍ، بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، مُحَرَّكَةً^(١٠) وَقَدْ تُسَكَّنُ، أي: أَشْخَاصُهَا.

(١) ينظر: اختيار مصباح السالكين، ابن ميثم البحراني، تح: محمد هادي الأميني: ٦٤.

(٢) في نسخة (ج): وروى.

(٣) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٥٥، اختيار مصباح السالكين: ٦٤.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٠.

(٥) نهج البلاغة: ٢٥ خ ١.

(٦) المصدر نفسه: ٢٥ خ ١.

(٧) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٥٤٣.

(٨) ينظر: لسان العرب، مادة (غرز).

(٩) ينظر: الصحاح، مادة (سنخ).

(١٠) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣١.

وتغريزُ الغرائز: إيجادها، أو تخصيصُ كُلِّ منها بغريزةٍ خاصّةٍ بها، وهو أمّا
مِن قَبيلِ قولهم: سُبْحَانَ مَنْ صَوَّءَ الْأَصْوَاءَ، أو مِن تغريزِ العُودِ في الأرضِ
ليُثمرَ ثمرةً على ما قيل (١).

والضَّميرُ المنصوب في ألزمها، أمّا راجعٌ إلى الأشياءِ للضمائرِ السابقة،
فالمعنى على النُّسخة الثانية - واللهُ يعلم، أنه جعلَ الأشخاصَ الجزئيةَ لازمةً
لكلّيتها، وعلى الأولى جعلها بحيث لا يُفارقُ أصولها.

وأمّا: راجعٌ إلى الغرائز، أي: جعلَ كُلَّ ذي غريزةٍ، أو [٢٩: ظ] كُلَّ شخصٍ
بحيث لا تُفارقه غريزته غالباً أو مُطلقاً كما في بعضها.

عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا
وَأَحْنَائِهَا (٢)

العالمُ في قوله ﷺ: عالمًا، وما بعدها، إمّا قوله ﷺ: ألزمها، لكونه أقربُ
الأفعالِ الثلاثةِ الأخيرةِ على التَّرتيب، أو العالمُ في الأوَّلِ قوله ﷺ: إنشاءً،
بقريته قوله: قبل ابتدائها، وفيما بعده.

والمُرَادُ بالحُدود: أمّا الأطراف، أو تشخصاتها، أو حُدودها الذَّهنيَّة،
وبانتهاؤها: أمّا الانتهاءَ اللازمَ للحدود، أو انقطاعَ الوجودِ بانتهاءَ الزَّمانِ
المُعَيَّن لوجودها.

والقرائن يقصد: بقرائنها ما يَقْتَرِبُ بها على وجه التَّركيب، أو المجاورة،

(١) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

أو العروض ونحوها.

والأحناء: جمعُ حَنُوٍ بالكسر، وهي: الجوانب، وأحناء الوادي: معافيه^(١)، وفي كلامه ﷺ دلالةٌ على جواز إطلاق العارِف على الله تعالى^(٢).

﴿ثُمَّ أَنشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَى الْأَجْوَءَ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَئِكَ الْهَوَاءِ﴾^(٣)

كلمة ثم هاهنا: أمّا للترتيب الذكري، والتدرُّج في الكلام، لا للتراخي في الزمان، ويكون لوجوهٍ، منها: انتقالٌ من الإجمالِ إلى التفصيل لكون تقديم الإجمالِ أولى، ويكون لغير ذلك^(٤)

كما في قوله^(٥):

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

فقدّم سيادته لكونها أخصُّ بالممدوح، ثم سيادة الأب أخصُّ من سيادة الجدِّ، وقد يُستعملُ الفاء أيضاً على هذا الوجه، وأمّا بمعنى الواو مُفيدةٌ للجمع المطلق، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٦).

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (حنا).

(٢) ينظر: بحار الانوار: ١٨١ / ٥٤.

(٣) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٨٧ / ٣١.

(٥) ديوان أبو نؤاس الحسن بن هانئ: ١٩٤.

(٦) طه: ٨٢.

وعلى أيّ تقدير: فلا يدلُّ تقدُّمُ إنشاءِ الخلقِ على إيجادِ الماءِ، والأرضِ،
والسَّماءِ.

والفَتْقُ بالفتح: الفَتْحُ، والشَّقُّ^(١)، والجَوُّ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ، والأَرْضِ^(٢)،
وقيل: الفضاءُ الواسِعُ^(٣) والأَرْجَاءُ، جمعُ الرَّجَاءِ مقصوراً، وهي: النُّوَّاحِي^(٤)
قال تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾^(٥).

وأَمَّا الرَّجَاءُ: مِنَ الْأَمَلِ، والخوفُ، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا﴾^(٦)، أي: لَا تَخَافُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ^(٧)، فممدودٌ.

والسُّكَاكُ، بِالضَّمِّ، وكذا السَّكَاكَةُ: الْهَوَاءُ الْمُلَاقِي أَعْنََانَ السَّمَاءِ^(٨)،
وَالسَّكَاكُ: جمعُ سُكَاكَةٍ، وفَسَّرَهَا ابنُ الْأَثِيرِ بِالْجَوِّ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ، والأَرْضِ
قال: ومنه حديث عليٍّ عليه السلام^(٩).

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (فتق).

(٢) ينظر: المصدر نفسه، مادة (سكك).

(٣) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٦٥.

(٤) ينظر: سبل الهدى، والرشاد: ٣٠٣/٥.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾
الحاقة: ١٧.

(٦) نوح: ١٣.

(٧) ينظر: مجمع البحرين، مادة (رجا).

(٨) ينظر: لسان العرب، مادة (لوح).

(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٩/١.

والهواء، بالمدّ: ما بين السماء والأرض، ويُقال: لكلّ خالٍ هواءٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾^(١)، أي: خاليةً من العقل، أو الخير^(٢)، أو من كلّ شيءٍ فزعاً، وخوفاً^(٣)، أو من الطَّمع في الخير.

والمُرَاد بفتق الأجواء: إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية، بناءً على وجود المكان، بمعنى البعد، وجواز الخلاء، أو المراد بالجوّ: البعد الموهوم، أو أحد العناصر، بناءً على تقدّم خلق الهوا^(٤) على الماء، كما ذكره عليّ بن إبراهيم في التفسير.

والظاهر: أنّه مضمّن الخبر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٥) قال: (وذلك في مبدأ الخلق، أنّ الرّبّ تبارك وتعالى خلق الهواء، ثمّ خلق القلم فأمره أن يجري، فقال: يا ربّ بما أجري؟ فقال: بما هو كائن، ثمّ خلق الظلمة من الهواء، وخلق النور من الهواء، وخلق الماء من الهواء، وخلق العرش من الهواء، وخلق العقيم من الهواء، وهو الرّيح الشّديد، وخلق النار

(١) من قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ الرعد: ٤٣.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (هوا).

(٣) ينظر: القرآن، وفضائل أهل البيت (عليه السلام)، محمد الصالحى الأنديمشكى: ٢٦١.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨١ - ١٨٢.

(٥) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هود: ٧.

مِنَ الْهَوَاءِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مِنْ هَذِهِ السَّتَةِ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الْهَوَاءِ^(١).

وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ مَا رَوَاهُ الصَّدُوقُ رحمته الله فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ^(٢) قَالَ: (قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُفَسِّرُهَا لِي، وَقَدْ سَأَلْتُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ كُلُّ صِنْفٍ غَيْرِ [٣٠: و] مَا قَالَ الْآخَرُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَمَا ذَلِكَ؟.

فَقَالَ: أَسْأَلُكَ، مَا أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ سَأَلْتَهُ قَالَ: الْقُدْرَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعِلْمُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الرُّوحُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا قَالُوا شَيْئًا، أَخْبِرْكَ أَنَّ اللَّهَ عَلَا ذِكْرُهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَزِيزًا وَلَا عِزَّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ عِزِّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣)، وَكَانَ خَالِقًا، وَلَا مَخْلُوقًا، فَأَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ الشَّيْءُ الَّذِي جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ؛ وَهُوَ الْمَاءُ.

فَقَالَ السَّائِلُ: فَالْشَّيْءُ خَلَقَهُ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ مِنْ لَا شَيْءٍ؟ فَقَالَ: خَلَقَ الشَّيْءُ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَوْ خَلَقَ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ انْقِطَاعٌ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ إِذَا وَمَعَهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ كَانَ اللَّهُ، وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَخَلَقَ الشَّيْءُ

(١) تفسير القمي: ٣٢١ / ١ - ٣٢٢.

(٢) أبو عبد الله جابر بن يزيد، الجعفي، روى عن الإمامين الباقر، والصادق عليهما السلام له كتب، منها: التفسير، وكتاب النوادر، وغيرها، توفي سنة ١٢٨ هـ، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٣٩، خلاصة الأقوال: ٩٤.

(٣) الصافات: ١٨٠.

الَّذِي جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمَاءُ^(١).

بأن يُقال: واللهُ يَعْلَمُ المُراد بأوَّلِيته الماء المُتقدِّم الإضافي بالنِّسبة إلى الأجسام المحسوسة التي يُدركُها أكثر النَّاسِ، فإنَّ الهواءَ ليس منها، ولذلك أنكرَ طائفةٌ وجوده.

ورُوي: أنَّ زُرارة^(٢)، وهشاماً، اختلفا في الهواء: أهو مخلوق أم لا ؟، فرفع بعضٌ يختلفون فيه، فقال عليه السلام: ((لَيْسَ هَذَا بِخِلَافٍ يُؤدِّي إِلَى الْكُفْرِ، وَالضَّلَالِ))^(٣).

ويمكن أن يكونَ المُتَنازِع فيه بينهما هُوَ وجودُ المكان، بِمعنى البُعد على ما مرَّ من معناه اللُّغوي، واحتمالُ كونِ النزاع في وجود الخلاء بعيداً، ولعلَّ في عدم الالتفات إلى الجواب إيماءً إلى أنَّ الأوَّلَى الاشتغالُ بالنَّظر فيما هو أهمُّ من مثل هذه المسألة. ويمكن أن يكونَ الهواءُ في كلام عليٍّ بن إبراهيم هو: البُعدُ، والفضاء، وحينئذٍ يكونُ في قوله عليه السلام: ((فَخَلَقَ الشَّيْءَ الَّذِي إِلَى آخِرِهِ))^(٤) نوعٌ تجوُّز؛ لقلَّة التَّراخي بين وجودِ الهواءِ، والماءِ، ولو جوَّز أن يكونَ الكلامُ لعلِّي

(١) التوحيد: ٦٦-٦٧ ح ٢٠.

(٢) أبو الحسن زرارة بن أعين بن سنسن، الشيباني، روى عن الإمامين الباقر، والصادق عليهما السلام شيخ الأصحاب في زمانه، قارئ، فقيه، متكلم، شاعر، أديب، له كتب، توفي سنة ١٥٠ هـ، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٧٥، الرجال، ابن داود: ٩٦.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٦٦، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٤١، بحار الأنوار: ١٨٢/ ٥٤.

(٤) التوحيد: ٦٧ ح ٢٠.

بن إبراهيم نفسه لا ارتفعت الحاجة إلى ارتكاب هذا، وأمثاله.

وقد روى محمد بن يعقوب رحمته الله عن محمد بن عطية ^(١) عن أبي جعفر عليه السلام هذا الخبر الذي رواه الصدوق رحمته الله بتغيير يسير فيما ذكرنا، وله تتمّة نذكرها بعد ذلك، وقوله عليه السلام: ((وَكَانَ عَزِيزاً وَلَا عِزّاً)) ^(٢) يحتمل أن يكون المراد به: أن ذاته المقدّسة الكافية في عزّه كان قبل ظهور عزّه، وفعليته، وفي رواية الكافي: ((وَكَانَ عَزِيزاً وَلَا أَحَدَ كَانَ قَبْلَ عِزِّهِ)) ^(٣)، وفي موضع قوله: ((وَكَانَ خَالِقاً، وَلَا مَخْلُوقاً)) ^(٤) ((وَكَانَ الْخَالِقُ قَبْلَ الْمَخْلُوقِ)) ^(٥).

ولا يخفى دلالة الخبر على حدوث العالم، ولا تغفل عن عدوله عليه السلام في جواب السائل عن قوله: من لا شيء إلى قوله عليه السلام (لَا مِنْ شَيْءٍ) ^(٦).

وقد روى علي بن إبراهيم في التفسير عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَكُتِبَ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى

(١) محمد بن عطية الحنط، كوفي، محدث إمامي ثقة، وقيل من الضعفاء روى عن الإمام الصادق عليه السلام، وقيل روى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً له كتاب، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٣٥٦، نقد الرجال: ٢٦٥ / ٤، الفائق في رواة، وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبد الحسين الشبستري: ١٤٥ / ٣.

(٢) عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، التوحيد: ٦٧ ح ٢٠.

(٣) عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، الكافي: ٨ / ٩٤ ح ٦٧.

(٤) عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، التوحيد: ٦٧ ح ٢٠، بحار الانوار: ٥٤ / ٦٧.

(٥) عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، الكافي: ٨ / ٩٤ ح ٦٧.

(٦) التوحيد: ٦٧ ح ٢٠.

يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

وروى الصَّدوق عليه السلام في كتاب عُيُون الْأَخْبَار: بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: (كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِالْكُوفَةِ فِي الْجَمَاعِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ؟ فَقَالَ: سَلْ تَفْقُهَا، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَبُهَا، فَأَحَدَقَ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَقَالَ عليه السلام: خَلَقَ النُّورَ^(٢).

وَرُوي فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي)^(٣)، وَفِي بَعْضِهَا: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي)^(٤)، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ رحمته الله عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مَهْرَانَ^(٥) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْعَقْلَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ [٣١: ظ] الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتُكَ خَلْقًا عَظِيمًا، وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي، قَالَ: ثُمَّ

(١) تفسير القمي: ١٩٨/٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١/٢١٨ ح ١.

(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور، تح: الحاج آقا مجتبی العراقي: ٩٩/٤ ح ١٤٠.

(٤) الوافي: ٣/٦٣٢ ح ١٢٢٠.

(٥) أبا ناشرة، سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي، مولى عبد بن، وائل بن حجر الحضرمي كان يتاجر في القز، ويخرج به إلى حران، ونزل من الكوفة كندة، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام، وتوفي بالمدينة ثقة ثقة، وله بالكوفة مسجد. قاله النجاشي في رجاله: ١٩٣، وينظر: رجال البرقي: ٤٤، رجال الطوسي ٣٢١، ٣٣٧، رجال ابن الغضائري: ١٢٣.

خَلَقَ الْجَهْلَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ ظَلَمَانِيًّا، فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَلَمْ يُقْبَلْ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَكْبَرْتَ، فَلَعَنَهُ^(١)، ورواه الصَّدُوقُ رحمته الله فِي الْخِصَالِ عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام^(٢).

فِيْمَكْنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ، وَبَيْنَ خَبَرِ جَابِرٍ^(٣) بِالْأَوَّلِيَّةِ الْإِضَافِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ، أَوْ بِجَعْلِ الْأَوَّلِيَّةِ فِيهَا إِضَافِيَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا أَمَّا بِاتِّحَادِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ بِمُقَارَنْتِهَا، وَكَوْنُ أَوَّلِيَّتِهَا إِضَافِيَّةً، أَوْ بِاتِّحَادِ الْأَخِيرَيْنِ، وَمُقَارَنْتِهَا لِلأَوَّلِ، وَكَوْنُ الْأَوَّلِيَّةِ إِضَافِيَّةً، وَأَمَّا الْخَبَرُ الْأَخِيرُ، فَيَدُلُّ عَلَى تَأْخُرِ خَلْقِ الْعَقْلِ عَلَى النُّورِ، بَلْ وَعَنِ الْعَرْشِ، وَتَقَدُّمِ خَلْقِ الرُّوحَانِيَّينِ عَلَى الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ مُحَلُّ نَظَرٍ.

وَيَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ خَلْقِهَا، قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثِ الْأَبْرَشِ^(٤)، وَسَيَجِيئُ:

(١) الكافي: ١/ ٢١ ح ١٤.

(٢) الخصال: ٥٨٩ ح ١٣.

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، شهد بدرا، وثمانية عشرة غزوة مع رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، توفي سنة ٧٤، وقيل سنة ٧٧ هـ، عمر إلى زمن الإمام الباقر عليه السلام فأبلغه سلام رسول الله ﷺ إليه، ينظر: الرجال، الطوسي: ٥٩، غنية النزوع، ابن زهرة الحلبي، تح: الشيخ إبراهيم البهاري: ٢١٣، معجم رجال الحديث: ٤/ ٣٣٧.

(٤) أبو عون، الحسن بن النظر، روى عن الإمام العسكري عليه السلام قيل: انه مذبذوم، ينظر ترجمته: الرجال، الطوسي: ٣٩٨، خلاصة الأقوال: ٤٢٢.

(يَا أَبْرَشُ، هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١)، وَالْمَاءُ عَلَى الْهَوَاءِ، وَالْهَوَاءُ لَا يُجَدُّ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ غَيْرُهُمَا)^(٢)، والجمعُ بينه وبين ما تقدّم يُقَرِّبُ مِمَّا تقدّم.

وأما ما اشتهر بين المتفلسفة في هذا الزمان من ورود الخبر، عن النبي ﷺ بأن: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ)^(٣)، فقليلٌ في الأخبار، مع أن تأييده لمعتقديهم، يتوقف على إثبات أن العقل فيما روي: (هو الجوهر المجرد عن المادة في ذاته وفعله)^(٤) ودونه خرط القتاد^(٥).

(١) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا نَكُفِّرُ بَعْدَ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هود: ٧.

(٢) تفسير القمي: ٦٩/٢.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣٢٨/٢٩، الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون: ٤٩٩٧، عوالي اللئالي: ٩٩/٤.

(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١١٩٤/٢، بداية الحكمة، السيد الطباطبائي، تح: عباس علي الزارعي السبزواري: ٩٠، خلاصة علم الكلام، عبد الهادي الفضلي: ٣٨.

(٥) مثل عند العرب، والقتاد: شجر صلب له شوك كالإبر، وخرط القتاد: هو انتزاع قشره، أو شوكه باليد يقال: (من دون ذلك خرط القتاد) أي إنه لا ينال إلا بمشقة عظيمة، ينظر: مجمع الامثال: ٢٧٦/١، الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، تح: السيد محمد باقر الخراسان: ١/١٨٥، حلية الأبرار: ٣١٣/٢.

وَرَوَى الصَّدُوق رحمته الله فِي التَّوْحِيدِ، وَالْعُيُونُ عَنِ الْهَرَوِيِّ ^(١) قَالَ: (سَأَلَ الْمَأْمُونُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَاءِ رحمته الله عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ^(٢))، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ، وَالْمَاءَ، وَالْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَدِلُّ بِأَنْفُسِهَا وَبِالْعَرْشِ وَالْمَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ جَعَلَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُظْهَرَ بِذَلِكَ قُدْرَتُهُ لِلْمَلَائِكَةِ، فَتَعَلَّمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَقَلَهُ فَجَعَلَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَهُوَ مُسْتَوِيٌّ عَلَى عَرْشِهِ، وَكَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لِيُظْهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ مَا يَخْلُقُهُ مِنْهَا، شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَتَسْتَدِلُّ بِحُدُوثِ مَا يَحْدُثُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ).

وُنُقِلَ: (أَنَّهُ جَاءَ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَةِ: أَنَّ مَبْدَأَ الْخَلْقِ جَوْهَرٌ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْهَيْبَةِ، فَذَابَتْ أَجْزَاؤُهُ، فَصَارَتْ مَاءً، فَثَارَ مِنَ الْمَاءِ بُخَارٌ كَالدُّخَانِ، فَخَلَقَ مِنْهُ السَّمَاوَاتِ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مِثْلُ زَبْدِ الْبَحْرِ،

(١) أَبُو الصَّلْتِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ صَالِحٍ، الْهَرَوِيُّ، رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَاءِ رحمته الله ثَقَّةً، صَحِيحَ الْحَدِيثِ، لَهُ كِتَابٌ، وَفَاةُ الرِّضَاءِ، يَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ: الرِّجَالُ، النِّجَاشِيُّ: ٢٤٥، الرِّجَالُ، ابْنُ دَاوُدَ: ١٢٩.

(٢) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا لَنُكْفَرُ مِنْكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هُودُ: ٧.

فخلق منه الأرض، ثُمَّ أَرَسَاها بِالْجِبَالِ، وفي رُويَةٍ أُخرى: فخلق منه أرض مَكَّة، ثُمَّ بَسَطَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ الْكَعْبَةِ، ولذلك تُسَمَّى مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى^(١).

ونُقِلَ عن الإسكندراني^(٢)، وهو من مشاهير الحكماء القدماء، أَنَّهُ قال: (بعد أن وَحَدَ الصَّانِعُ، ونَزَّهَهُ أَنَّهُ قال: لكنَّهُ أَبَدَعَ الْعُنْصَرَ الَّذِي فِيهِ صُورُ المَوْجُودَاتِ، والمعلومات كُلُّها، وهو المَبْدِعُ الْأَوَّلُ، وهو الماء، ومنه أنواعُ الجواهر كُلِّها مِنَ السَّمَاءِ، والأرضِ، وما بينهما، وذكر أَنَّ مِنْ جُهودِ الماءِ تَكُونَتِ الأرضُ، وَمِنْ انحلاله تَكُونُ الهَوَاءُ، وَمِنْ صفوته تَكُونَتِ النَّارُ، وَمِنْ الدُّخَانِ والأَبْخَرَةِ تَكُونَتِ السَّمَاءُ، وقيل: إِنَّهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنَ التَّوْرَةِ)^(٣).

وأعلم: إِنَّ كَلامَهُ ﷺ في هَذِهِ الخُطْبَةِ لا يَدُلُّ صَرِيحاً عَلَى أَنَّ الصَّادِرَ الْأَوَّلَ ما ذَا، وأيضاً لا يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ خَلْقِ الماءِ عَلَى الهَوَاءِ، بل [٣٢: و] الظَّاهِرُ هو

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٨-١٣٩، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٢/ ١٩٤.

(٢) ثاليس الملطي: حكيم مشهور في زمانه أقاويله مذكورة، وآراءه في الفلسفة بيّن أهلها مشهورة صحت فيثاغورس، وأخذ عنه، ورحل إلى مصر، وأخذ الحكمة من القبط علم الطبيعة، والفلسفة ثم رجع إلى ملطية، وهو أول من قال أن الوجود لا يوجد له تعالى الله العظيم، واحتج له أصحابه أن الذي حملة على ذلك ما شاهدته في هذا العالم من الاختلاف، فتحقق أن الموصوف بالصفات الحسنى لا تصدر عنه هذه الأمور المختلفة فقال بذلك، وعلى هذا القول جمهور أهل الهند، ينظر ترجمته: تاريخ المختصر الدول، غريغوريوس الملطي: ٣٧، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين القفطي، تح: إبراهيم شمس الدين: ٨٧.

(٣) الملل والنحل: ٢/ ٦٢، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٩، بحار الانوار: ٢٥/ ٢٢٣.

العكس بأيّ معنى يُرادُ بالهواء، إلّا أن يكونَ بعداً موهوماً، وقوله عليه السلام: ﴿وَشَقُّ الْأَرْجَاءِ﴾^(١)، كالتفسير لفتق الأجواء، أو المراد بالأرجاء: الأمكنة، والفضاء، وبالأجواء: عنصرُ الهواء، وقوله عليه السلام: ﴿وَسَكَايِكَ الْهَوَاءِ﴾^(٢) بالنصب كما في كثيرٍ من النسخ معطوفٌ على: ﴿لَفَتْقُ الْأَجْوَاءِ﴾^(٣)، أي: أنشأ سبحانه سكائك الهواء، والأظهر أن يكونَ بالكسر، معطوفاً على الأجواء، أي: أنشأ سبحانه فتق سكاكك الهواء^(٤).

﴿فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ مُتْرَاكِماً زَخَّارُهُ﴾^(٥)

اللَّطْمُ: في الأصل: الضربُ على الوجهِ بباطنِ الرَّاحَةِ، في المثل: لَوِذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي^(٦) قالته امرأةٌ لَطَمَتْهَا مَنْ لَيْسَتْ بِكَفِيٍّ لَهَا، وتلاطمت الأمواج: ضَرَبَ بَعْضُهَا بَعْضاً كَأَنَّهُ يَلْطِمُهُ^(٧).

والتَّيَّارُ: موجُ البحرِ، وَجُتُّهُ^(٨)، وَرَكَمَ الشَّيْءُ يَرْكُمُهُ: إذا جمعه وألقى

(١) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦ خ ١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦ خ ١.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٢.

(٥) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١، وفيه: (فَأَجَازَ فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ مُتْرَاكِماً زَخَّارُهُ).

(٦) مثل عند العرب يضرب للكريم الذي يظلمه دنيء فلا يقدر على احتمال ظلمه.

ينظر: الأمثال، ابن سلام: ٢٦٨، مجمع الأمثال: ٢ / ١٧٤، جوهرة الأمثال: ٢ / ١٩٣،

(٧) ينظر: الصحاح، مادة (لطم).

(٨) ينظر: لسان العرب، مادة (تير).

بعضه على بعض، وتراكم الشيء إذا اجتمع^(١)، وزخر البحر: إذا مدّ، وكثر ماؤه، وارتفعت أمواجه^(٢)، أي: أنه سبحانه خلق الماء المتلاطم الزّخار في الأجواء، وخلاّه، وطبعه أولاً فجرى في الهواء، ثم أمر الرّيح برده، وشده، كما يدلّ قوله ﷺ بعد ذلك: (حتّى يُظهرُ قدرته).

﴿حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ﴾^(٣)

المتن: والمتن من الأرض: ما ارتفع، وصلّب، والمتين: القوي من كلّ شيء^(٤).
وعصفت الرّيح اشتدّ هبوبها^(٥)، والزّزععة، بالزّاي، والعين المهملة: تحريك الشيء ليقبله ويؤثره، وريح زعزع وزعازع، أي: تُزعزع الأشياء^(٦).
وقصّفه يقصّفه قصفاً: كسره، وقصف الرّعد وغيره: اشتدّ صوته^(٧)، أي: جعل الرّيح حال عصفها حاملاً له، فكأنّه مُتحركٌ بحركتها، أو جعل الرّيح التي من شأنها العصف، والقصف، والأول أظهر، والظاهر: أنّ الرّيح غير الهواء المذكور^(٨)، أولاً لما رواه في الاحتجاج في جملة الأجوبة عن مسائل

(١) ينظر: المصدر نفسه، مادة (ر كم).

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (ز خر).

(٣) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٤) ينظر: كتاب العين، مادة (متن) ٨ / ١٣١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٢٤٨.

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (ز ع).

(٧) ينظر: تاج العروس، مادة (قصف).

(٨) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٣.

الرّنديق الّذي سأل أبا عبد الله عليه السلام أنّه قال: (الرّيحُ عَلَى الهَوَاءِ، وَالهَوَاءُ تُمَسِّكُهُ الْقُدْرَةُ)^(١)، فيمكن أن تكون مخلوقةً قبله، أو بعده، أو معه، ويمكن أن تكون الرّيح ما تحرّك منه.

﴿فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ﴾^(٢)

أي: أمر الرّيح أن تحفظ الماء، وتمنعه عن جريانه وتضبطه، كالشيء المشدود، وجعلها مقروناً إلى حدّه وانتهائه.

﴿الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ﴾^(٣)

أي: الهواء الّذي هو محلّ الرّيح - كما مرّ في الخبر - مفتوق، أي: مفتوح مُنْبَسِطٌ مِنْ تَحْتِ الرّيحِ الحَامِلَةِ لِلْمَاءِ، وَالْمَاءُ دَفِيقٌ مِنْ فَوْقِهَا^(٤).

قال الفخر الرّازي في تفسير قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٥): الدَّفِقُ: صَبُّ الْمَاءِ، يُقَالُ: دَفَقْتُ الْمَاءَ، أَي: صَبَبْتُهُ، وَهُوَ مَدْفُوقٌ، أَي: مَصْبُوبٌ، وَمُنْدَفِقٌ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَاءُ مَدْفُوقاً، اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ لَمْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ دَافِقٌ عَلَى وَجْهِهِ:

(١) الاحتجاج: ٢/ ١٠٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦ خ ١.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤/ ١٨٤.

(٥) الطارق: ٦.

أحدها: قال الزجاج: معناه ذو اندفاع^(١)، كما يقال: دارعٌ، وتامرٌ، ولابنٌ، أي: ذو هذه الأشياء، وذكر أنه مذهبُ سيويه^(٢).

والثاني: أنهم يُسمُّون المفعول باسم الفاعل، قال الفراء: وأهلُ الحجاز أفعُل لهذا من غيرهم، يجعلون الفاعل مفعولاً إذا كان في مذهب النعت، كقولهم: سرُّ كاتمٍ، وهم ناصِبٌ، وليلُ نائمٌ، كقوله تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٣) أي: مرضية^(٤).

الثالث: ذكر الخليل^(٥) في الكتاب المنسوب إليه^(٦): دَفَقَ الماءُ دفقاً،

(١) ينظر: معاني القرآن، الزجاج: ٣١١ / ٥.

(٢) أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمر بن، وعله بن خالد بن مالك بن أدد، ويقال: كنيته أبو الحسن، وسيويه بالفارسية رائية التفاح، أخذ النحو عن الخليل، وهو أستاذه، وعن عيسى بن عمر، وعن يونس، وعن غيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير ولد في إحدى قرى شيراز، وأقام في البصرة، له مؤلف مشهور هو: الكتاب توفي سنة ١٨٠ هـ، ينظر ترجمته: الفهرست، ابن النديم: ٧٤، الاعلام: ٨١ / ٥.

(٣) من قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ الحاقة: ٢١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للفراء: ٢٥٥ / ٣.

(٥) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، من علماء البصرة، عالم موسوعي، أكمل الناس في الأدب، وأوثقهم، مخترع علم العروض، صاحب كتاب العين، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة ١٧٩ هـ، ينظر ترجمته: خلاصة الأقوال: ١٤٠، شذرات الذهب، ابن العماد: ٢٧٥ / ١، أعيان الشيعة: ١٦٣ / ١.

(٦) اختلف العلماء في حقيقة كتاب العين، أهو للخليل أم لغيره؟، وذهبوا في ذلك

وَدُفُوقاً، إِذَا انصَبَّ بِمِرَّةٍ، واندفقَ الكوزُ: إِذَا انصَبَّت بِمِرَّةٍ، وَيُقَالُ: فِي الطَّيْرِ
عِنْدَ انصباب [٣٣: ظ] الكوز ونحوه: دافقٌ خَيْرٌ، وفي كتاب قطرب: دَفَقَ الماء
يدفقُ، إِذَا انصبَّ^(١).

مذاهب شتى، فمنهم من أنكر النسبة، ومنهم من أيدها، ومنهم من وقف
موقفاً وسطاً، والذين أنكروا النسبة كثير، منهم: النضر بن شميل، وأبو حاتم،
والأزهري، وابن فارس، وابن جني، والقالي، وابن النديم، وأبو الطيب اللغوي،
والفخر الرازي، والنووي، وأقوالهم متقاربة كلها تصب في الإنكار فنجد ابن النديم
يذكر بوضوح أن العين ليس للخليل، والقالي يذكر أن أبا حاتم، وأصحابه أنكروا
العين، ولا يعرفونه، ولم يسمعوها به. أما المذهب الثاني المثبت، والمؤيد في نسبه للخليل
منهم: محمد بن يزيد المبرد، وابن درستويه، وأبو إسحق الزجاجي، وابن دريد، وابن
الأنباري، وردَّ المفضل ابن سلمة ما نسبه إلى العين من الخلل، فقد نسب الكتاب إلى
الخليل فنجد أنه قد نسب أقوالاً في الفاخر إلى الخليل هذا يدل على أنه قد جعل العين
بسند متصل إلى الخليل المذهب، الثالث: تألفت هذه الطائفة من ثعلب، وإسحاق
بن راهويه، والسيرافي، وابن المعتز، وأبي الطيب اللغوي، وأبي بكر الزبيدي،
والسيوطي، وغيرهم. قال السيرافي: (عمل الخليل كتاب العين المعروف المشهور
الذي يتبعها ضبط اللغة) يقول السيوطي: (وهذه العبارة من السيرافي صريحة في أن
الخليل لم يكمل كتاب العين)، ينظر: الفاخر، المفضل ابن سلمة، تح: عبد العليم
الطحاوي: ١٨٨، أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد السيرافي، تح: طه محمد
الزيني، وآخرون: ٣١، الخصائص: ٢٩٠-٢٩١، تهذيب اللغة، الأزهري: ١/ ٢٥،
الفهرست، ابن النديم: ٦٥، المزهري في علوم اللغة، وأنواعها، السيوطي، تح: فؤاد
علي منصور: ٦٩-٧٠، معجم الأدباء، الحموي: ٤٣-٤٥، خلاصة عبقات الأنوار:
٨/ ١٨٤، مستدركات أعيان الشيعة: ٧٥-٧٨.

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (دفع).

والرَّابِعُ: صَاحِبُ الْمَاءِ، لَمَّا كَانَ دَافِقاً أَطْلَقَ ذَلِكَ عَلَى الْمَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ^(١).

لَمْ تُنَمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا، اعْتَقَمَ مَهْبُهَا، وَأَدَامَ مَرَبُّهَا^(٢)

الظَّاهِرُ: أَنَّ هَذِهِ الرِّيحَ غَيْرُ مَا جَعَلَهَا اللَّهُ مُحَلًّا لِلْمَاءِ، وَهَذِهِ مَخْلُوقَةٌ مِنَ الْمَاءِ^(٣)، كَمَا وَرَدَ فِيهِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام - وَأَشْرَنَّا إِلَيْهِ - أَنَّهُ قَالَ: (وَخَلَقَ الرِّيحَ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ سَلَّطَ الرِّيحَ عَلَى الْمَاءِ، فَشَقَّقَتِ الرِّيحُ مَتْنِ الْمَاءِ، حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاءِ زَبَدٌ عَلَى قَدَرِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُثَوِّرَ) الْخَبَرُ^(٤).

وَالْإِعْتِقَامُ: أَنْ تَحْفَرَ الْبُئْرَ، فَإِذَا قَرُبْتَ مِنَ الْمَاءِ أَحْتَفِرْتَ بُئْرًا صَغِيرًا بَعْدَ مَا تَجِدُ طَعْمَ الْمَاءِ، فَإِذَا كَانَ عَذْبًا حَفَرْتَ بَقِيَّتَهَا^(٥)، وَيَكُونُ إِعْتَقَمَ بِمَعْنَى: صَارَ عَقِيمًا، وَمِنْهُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ: الَّتِي لَا تُلْقِحُ شَجَرًا، وَلَا تُثِيرُ سَحَابًا مَاطِرًا. وَقَالَ فِي الْعَيْنِ: (الْإِعْتِقَامُ: الدُّخُولُ فِي الْأَمْرِ)^(٦)، وَقَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ: الْإِعْتِقَامُ: الشَّدُّ، وَالْعَقْدُ، وَلَمْ نَجِدْهُ فِي كَلَامِ اللَّغَوِيِّينَ، وَالْمَهْبُ: يَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى الْهُبُوبِ، أَوْ اسْمُ مَكَانٍ، وَرُبَّ يَكُونُ بِمَعْنَى جَمْعٍ وَزَادَ، وَلَزِمَ، وَأَقَامَ^(٧).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٢٩/٣١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١

(٣) بحار الانوار: ١٨٤/٥٤.

(٤) الكافي: ٩٤/٨ ح ٦٧.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (عقم).

(٦) كتاب العين، مادة (عقم).

(٧) شرح نهج البلاغة: ١٣٣/١.

وحاصلُ المعنى - على ما ذكره بعضُ الشَّارحين -: أَنَّ اللهَ تعالى أرسلها بمقدارٍ مخصوصٍ على وَفْقِ الحِكمةِ، والمصلحةِ، ولم يُرسلها مُطلقاً، بل جعل مَهْبَهَا ضيقاً، كما تُتفَرُّ البئرُ الصَّغيرُ في الكبير، فالمَهْبُ اسمُ مكان.

وقيل: المعنى جعلها عقيمةً لا تلقح، وهذا إِنَّمَا يَصَحُّ إِذَا كَانَ الاعتقَامُ مُتَعَدِّياً، أو كَانَ مَهْبَهَا مرفوعاً لا منصوباً، كما في النُّسخِ التي وقفنا عليها^(١). ويظهرُ مِنْ كلامِ بعضِ الشَّارحين: أَنَّ في بعضِ النُّسخِ: أعقم، بدونِ التَّاءِ، على صيغةِ الأفعالِ^(٢)، وحينئذٍ يَصَحُّ المعنى المذكور، ويَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمعنى شدَّها وعقدها، على ما يقتضيه الحِكمةُ والمصلحة.

وقيل: على تقدير كونِ اعتقمِ بالتَّاءِ - كما في النُّسخِ - المرادُ: أَنَّهُ أَخْلَى مَهْبَهَا مِنَ العوائقِ، وَأَنَّهُ أرسلها بحيث لا يُعْرِفُ مَهْبَهَا، وفيه ما فيه، وإدامته مرَبَّها إِدَامَةً جعلها مُلَازِمَةً لتحريكِ الماءِ، وإدامة حركتها وهُبُوبها^(٣).

﴿وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا أَبْعَدَ مَنَاشَأَهَا﴾^(٤)

عصفت الرِّيحُ، أي: اشتدَّت^(٥)، ومجراها: جريانها، أو على طريقة الإسنادِ إلى الظَّرْفِ مجازاً.

(١) ينظر: بحار الانوار: ١٨٤ / ٥٤.

(٢) ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزنجشيري، تح: عبد الأمير مهنا: ٩٧ / ١.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ١٨٤ / ٥٤.

(٤) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (عصف).

﴿أَبْعَدَ مَنْشَاهَا﴾^(١)

أي: أنشأها من مبدئ بعيد^(٢)، ولعلّه أدخل في شدتها، والمنشئ بالهمزة على الأصل، أو بألفٍ لازدواج، وكلاهما موجودٌ في النسخ.

﴿فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ فَمَخَضَّتُهُ مَخْضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ﴾^(٣)

الصَّفْقُ: الضَّرْبُ الَّذِي يُسَمَّعُ لَهُ صَوْتُ، وكذلك التَّصْفِيقُ، يُقَالُ: صَفَقْتُهُ الرِّيحَ وَصَفَقْتُهُ^(٤).

والتَّوْرَانِ: الْهَيْجَانِ وَأَثَارُهُ: هَيْجَهُ^(٥)، و(الْمَخْضُ: تحريكُ السَّقَاءِ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ لِيُخْرَجَ زَبَدُهُ)^(٦)، وَالتَّشْيِيهُ بِالْعَصْفِ بِالْفَضَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَصْفَ بِلَا مَانِعٍ يَكُونُ أَشَدَّ.

﴿تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامَهُ﴾^(٧)

(١) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (نشأ).

(٣) نهج البلاغة: ٢٦ خ ١

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (صفق).

(٥) ينظر: عمدة القاري، العيني: ٥ / ٢٦٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤ / ٣٠٧.

(٧) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

السَّاجِي هو: السَّاكِنُ^(١)، ومنه قوله عليه السلام: ﴿لَوْلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ﴾^(٢)، ومارَ الشَّيْءُ يُمُورٌ مَوْرًا: تَحَرَّكَ، وجاء وذَهَبَ، وبه فَسَّرَ الْأَخْفَشُ^(٣)، وأبو عُبَيْدَةَ^(٤)، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٥)، قال الضَّحَّاكُ^(٦)، أي:

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (سجو)، مجمع البحرين، مادة (سجا).

(٢) نهج البلاغة: ١٥٣ خ ٨٩

(٣) يطلق هذا اللقب على ثلاثة كلهم من كبار علماء النحو، والاختافشة هم (الاخفش الاكبر، عبد الحميد بن عبد المجيد) توفي سنة ١٥٧هـ، والأوسط ابو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي توفي سنة ٢١١هـ، باختلاف في تحديد سنة، وفاته، والاصغر، أو الصغير، ابو الحسن علي بن سيمان بن الفضل توفي سنة ٣١٥هـ، فإذا لم يقيد فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المجاشعي، من البصرة، الأخفش الأوسط، تلميذ الخليل بن احمد الفراهيدي، من أئمة اللغة، توفي سنة ٢١٥هـ، ينظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، ابو بكر الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٧٢، الفهرست، ابن النديم: ٥٨، سير اعلام النبلاء: ١٠/٢٠٦، معجم الأدباء: ١١/٢٢٤.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مولى بني تيم، تيم قريش. ولد في سنة عشر، ومئة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري في البصرة، كان إباضيًا، وأخذ عن يونس، وأبي عمرو، كان خبير بأيام العرب، وهو أول من صَنَّفَ في غريب الحديث، وله مؤلفات أخر، وكان أعلم من الأصمعي، وأبي زيد بالأنساب والأيام، وكان أبو نواس يتعلم منه، ويصفه، ويذم الأصمعي معمر بن المثنى البصري، توفي سنة ٢١١هـ، ينظر ترجمته: الفهرست لابن النديم: ٥٨، تاريخ بغداد: ١٣/٢٥٢، سير اعلام النبلاء: ٩/٤٤٥، الكنى واللقاب: ١/١١٨.

(٥) الطور: ٩.

(٦) أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن ربيع ابن الأسود

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

(تموج مَوْجاً) ^(١)، والعُباب: بالضم، مُعْظَمُ الماءِ، وكثُرته، وارتفاعه ^(٢)، ويُقال: (جَاءُوا بِعُبَابِهِمْ، أي: جَاءُوا بِأَجْمَعِهِمْ) ^(٣)، وَعَبَّ عِبابَهُ، أي: ارتفع، [٣٤: و]، وَعَبَّ النَّبْتُ، أي: طال ^(٤)، وَرُكَّامُ الماءِ، بالضم: ما تَرَاكَمَ منه، واجتمع بعضه فوق بعض ^(٥)، وهذا الزَّبَدُ هو الَّذِي خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ مِنْهُ، كما نَطَقَتْ به الأخبارُ عن الأئمة الأطهار ^(٦).

روى الصدوق رحمته الله في العيون في خبر الشامي: أَنَّهُ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِمَّ خُلِقَتِ الأَرْضُ؟ قال: (مِنْ زَبَدِ المَاءِ) ^(٧)، وروى علي بن إبراهيم في التفسير في حديث الأبرش أقال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (يَا أَبْرَشُ، هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسُهُ

بن عمرو بن رالان بن هلال بن ثعلبة بن شيان، الشيباني البصري، الشهير بأبي عاصم النبيل، الامام الحافظ شيخ المحدثين الاثبات سمع: الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ويزيد بن أبي عبيد، وأيمن ولد سنة اثنتين، وعشرين، ومائة بمكة، وتحول الى البصرة، فسكنها، وتوفي بها. ينظر ترجمته: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٤ / ٣٥٦، تهذيب الكمال، المزي، تح: د. بشار عواد معروف: ١٣ / ٢٨١، سير اعلام النبلاء: ٩ / ٤٨٠، تاريخ الاسلام، الذهبي، تح: د. عمر عبد السلام تدمري: ١٥ / ١٩٢، تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٤ / ٣٩٥.

(١) معارج نهج البلاغة: ٢٠٦.

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (عب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثار: ٣ / ١٦٨.

(٤) ينظر: الصحاح، مادة (عب).

(٥) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٥.

(٦) ينظر: تفسير القمي: ١ / ٣٢٢، بحار الانوار: ٥٤ / ٧١.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢١٨ ح ١.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١)، وَالْمَاءُ عَلَى الْهَوَاءِ، وَالْهَوَاءُ لَا يَحْدُ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ غَيْرَهَا، وَالْمَاءُ يَوْمَئِذٍ عَذْبٌ فُرَاتٌ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ أَمَرَ الرِّيَّاحَ فَضَرَبَتِ الْمَاءَ، حَتَّى صَارَ مَوْجًا، ثُمَّ أَزِيدَ، فَصَارَ زُبْدًا وَاحِدًا، فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ، ثُمَّ جَعَلَهُ جَبَالًا مِنْ زُبْدٍ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٢) (٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال بعد كلام: (فَسَلَّطَ الْعَقِيمَ عَلَى الْمَاءِ فَضَرَبَتْهُ، فَأَكْثَرَتِ الْمَوْجَ وَالزُّبْدَ، وَجَعَلَ يَثُورُ دُخَانُهُ فِي الْهَوَاءِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْوَقْتُ الَّذِي أَرَادَ، قَالَ لِلزُّبْدِ: اجْمَدَ فَجَمَدَ، وَقَالَ لِلْمَوْجِ: اجْمَدَ فَجَمَدَ، فَجَعَلَ الزُّبْدُ أَرْضًا، وَجَعَلَ الْمَوْجَ جِبَالًا رَوَاسِي لِلْأَرْضِ)^(٤).

وروى محمد بن يعقوب الكليني عليه السلام في الخبر الذي ذكرنا بعضاً منه في "سؤال" (٥) رجلٍ من علماء الشام عن أبي جعفر عليه السلام قال: (عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام

(١) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هود: ٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦.

(٣) تفسير القمي: ٦٩/٢.

(٤) تفسير القمي: ٣٢٢/١.

(٥) في نسخة (ج): شوال، هذا من سهو الناسخ.

جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَدْ أَعْيَتْ عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ أَحَدًا يُفَسِّرُهَا، وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ: كُلُّ صِنْفٍ مِنْهُمْ شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي قَالَ: الصِّنْفُ الْآخَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا ذَاكَ قَالَ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ سَأَلْتُهُ قَالَ: الْقَدَرُ، وَقَالَ: بَعْضُهُمُ الْقَلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الرُّوحُ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا قَالُوا شَيْئًا أَخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَزِيزًا، وَلَا أَحَدًا كَانَ قَبْلَ عِزِّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وَكَانَ الْخَالِقُ قَبْلَ الْمَخْلُوقِ، وَلَوْ كَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ انْقِطَاعٌ أَبَدًا، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ إِذَا، وَمَعَهُ شَيْءٌ لَيْسَ هُوَ يَتَقَدَّمُهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَخَلَقَ الشَّيْءَ الَّذِي جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْهُ، فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاءِ نَسَبًا يُضَافُ إِلَيْهِ، وَخَلَقَ الرِّيحَ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ سَلَّطَ الرِّيحَ عَلَى الْمَاءِ فَشَقَّقَتِ الرِّيحُ مَتْنِ الْمَاءِ، حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاءِ زَبَدٌ عَلَى قَدَرِ مَا شَاءَ أَنْ يَثُورَ، فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الزَّبَدِ أَرْضًا بَيَضَاءً نَقِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَلَا ثَقْبٌ، وَلَا صُعُودٌ وَلَا هُبُوطٌ، وَلَا شَجَرَةٌ، ثُمَّ طَوَّاهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ مِنَ الْمَاءِ فَشَقَّقَتِ النَّارُ مَتْنِ الْمَاءِ، حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانٌ عَلَى قَدَرِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَثُورَ، فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ سَمَاءً صَافِيَةً نَقِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَلَا ثَقْبٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ وَ: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قَالَ: وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَلَا نَجُومٌ وَلَا سَحَابٌ، ثُمَّ طَوَّاهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ الْأَرْضِ ^(١).

(١) وأصله: (ثُمَّ سَلَّطَ الرِّيحَ عَلَى الْمَاءِ فَشَقَّقَتِ الرِّيحُ مَتْنِ الْمَاءِ، حَتَّى ثَارَ مِنَ الْمَاءِ زَبَدٌ

﴿فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِحٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١)

أي: رفع الله ذلك الزبد؛ بأن جعل بعضه دخاناً في هواءٍ مفتوحٍ مفتوحٍ بخلق ما خلق سابقاً^(٢)، أو برفع هذا الدخان وفي جوٍّ متسعٍ فخلق منه السموات السبع، وقد نطق الكلام المجيد بخلق السماء من الدخان، وتقدم خلق الأرض على خلق السماء، قال الله جلّ ذكره: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين *^(٣)، قال المفسرون:

على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة، ليس فيها صدع ولا ثقب، ولا صعود ولا هبوط، ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء، حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة، ليس فيها صدع ولا ثقب، وذلك قوله و: ﴿السماء بناها﴾ * رفع سمكها فسواها * وأعطش ليلها وأخرج ضحاها * قال: ولا شمس ولا قمر، ولا نجوم ولا سحب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض، الكافي: ٨ / ٩٤ ح ٦٧، الصافات: ١٨٠، النازعات: ٢٧-٢٩.

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) ينظر: بحار الانوار: ١٨٠ / ٥٤.

(٣) من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا

قوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: (في تَمَّة أربعة أَيَّامٍ، كقولك: سِرْتُ مِنْ البصرة إلى بغداد في عشرٍ، وإلى الكوفة في خمسة عشرٍ، أي: في تمام هذه العدة، ويكونُ قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١) تمام سِتَّة أَيَّامٍ)^(٢)، فلا يكونُ المجموع ثمانية أَيَّامٍ فيكونُ مُطابِقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣)

(ولعله تعالى لم يقل في يومين، بل في أربعة أَيَّامٍ للإشعار باتصالهما باليومين، [٣٥: ظ] الأوَّلَيْنِ، والتَّصْرِيحُ على الفَذْلَكة^(٤))^(٥)، وقيل: المرادُ

طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فصلت: ٩-١٢. (١) من قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فصلت: ١٢.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١١٢/٩، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تح: الشيخ مروان محمد الشعار: ٧١/٤، بحار الانوار: ١٧/٥٤.

(٣) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٥٤.

(٤) الفذلكة: (هو مأخوذ من قول الحساب: (فذلك كان كذا) فذلك إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته، ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حساباً كان أو غيره ونظير هذا الأخذ أخذهم نحو البسملة والحمدلة ونظائرهما من الكلمات المركبة المعلومة، وهذا يسمى بالنحت). الكليات، أبو البقاء الكفوي: ٦٩٧، وينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم: ٣/٣٥.

(٥) زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، تح: مؤسسة المعارف الإسلامي: ١٧٠/٦،

بالأيام المقدار المنطبق في علم الله عليها، وفي تفسير علي بن إبراهيم، أي: في ستة أوقات^(١) وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: ("أي"^(٢) في وقتين؛ ابتداء الخلق وانقضاءه)^(٣)، ﴿سَوَاءً﴾ على قراءة النصب مصدر^(٤)، أي: استوت سواء، بمعنى استواء.

والجُمْلَةُ صفةٌ ﴿أيامٍ﴾ ويُؤيده قراءة يعقوب^(٥) بالجر، أي: استوت الأيام لمن سأل في كم خلقت السماوات، والأرض؟.

وقيل: حال، من الضمير في ﴿أَقْوَاتَهَا﴾ أو ﴿فِيهَا﴾ وعلى قراءة الرفع

بحار الانوار: ١٧/٥٤.

(١) ينظر: تفسير القمي: ٢٣٦/١.

(٢) في نسخة (ج): أو.

(٣) تفسير القمي: ٢٦٢/١.

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكّي بن أبي طالب القيسي، تح: د. محي الدين رمضان: ٢٦٩.

(٥) أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، البصري، المقرئ المشهور ولد سنة ١١٧هـ في البصرة وهو أحد القراء العشرة وهو المقرئ الثامن وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه وهو من أهل بيت العلم بالقراءات والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقه وكان من أقرأ القراء وأخذ عنه عامة حروف القرآن مسندا وغير مسند من قراءة الحرمين والعراقيين وأهل الشام وغيرهم، توفي في ذي الحجة سنة ٢٠٥ للهجرة وله ثمان وثمانون سنة. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٦/٣٩٠، تفسير غريب القرآن، الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: محمد كاظم الطريحي: ٣٢٣، الأعلام: ٨/١٩٥.

تقديره: هي سواء.

وقيل: ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، تقديره: هذا الحصرُ للسَّائِلِينَ عن مُدَّةِ خَلْقِ الْأَرْضِ وما فيها، أو مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿قَدَّرَ﴾، أي: قَدَّرَ الْأَقْوَاتَ فيها للطلابين لها^(١).

وقد مرَّ في خبر^(٢) سؤال المأمون عن قوله الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣) معنى استوائه سبحانه على العرش، وفائدة خلق السماوات والأرض في ستة أيَّامٍ، وفيه فائدة اعتبار العباد بذلك بعد الإخبار، وتعليم الخلق الثاني في الأمور، وأن لا يستعجلوا فيها، ويُمكن أن يكون (الاستواء إلى السماء بمعنى: القصد إليها)^(٤).

وقد ظهر من الخبر الذي قدَّمناه: إنَّ الدُّخَانَ الَّذِي كَانَ مَادَّةً لِلسَّمَاءِ قد ارتفع بالنَّارِ التي خُلِقَتْ مِنَ الْمَاءِ، ويدلُّ عليه أيضاً ما رواه ثقة الإسلام محمد بن يعقوب عن محمد بن مسلم، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

(١) ينظر: حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي، محمد مصلح الدين القوجوي: ٣٦٦، بحار الانوار، المجلسي: ١٧/٥٤.

(٢) ينظر: صفحة: ٢٨٨، رواه الشيخ الصدوق في: التوحيد: ٣٢٠ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ١٢٣ ح ٣٣.

(٣) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١٠٩/٩.

(كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَاءً، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرُهُ الْمَاءَ فَاضْطَرَمَّ نَارًا، ثُمَّ أَمَرَ النَّارَ فَخَمَدَتْ، فَارْتَفَعَ مِنْ خُمُودِهَا دُخَانٌ، فَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ مِنَ ذَلِكَ الدُّخَانِ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ مِنَ الرَّمَادِ، ثُمَّ اخْتَصَمَ الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالرَّيْحُ، فَقَالَ الْمَاءُ: أَنَا جُنْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَقَالَتِ الرَّيْحُ: أَنَا جُنْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَقَالَتِ النَّارُ: أَنَا جُنْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الرَّيْحِ: أَنْتِ جُنْدِي الْأَكْبَرِ^(١)).

وروى بعضُ الشَّارحين خبراً عن الباقر عليه السلام يدلُّ على أنَّ هذا الدُّخَانِ لم يكن على نَارٍ، قال: قال عليه السلام: (لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ، أَمَرَ الرَّيَّاحَ فَضْرَبْنَ الْبَحْرَ، حَتَّى أَزْبَدَ، فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْجِ وَالزَّبَدِ دُخَانٌ سَاطِعٌ مِنْ وَسْطِهِ مِنْ غَيْرِ نَارٍ، فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ السَّمَاءَ)^(٢).

ولم نجد هذا الخبر في كُتُبِ الْأَخْبَارِ، إِلَّا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ خَبَرُ الْأَبْرَشِ الَّذِي رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ وَقَدْ قَدَّمْنَا بَعْضاً مِنْ هَذَا الْخَبَرِ، فِيهِ: أَنَّهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بَعْدَ مَا نَقَلَ سَابِقاً:

(ثُمَّ مَكَثَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا شَاءَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ أَمَرَ الرَّيَّاحَ فَضْرَبَتِ الْبُحُورَ، حَتَّى أَزْبَدَتْهَا، فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْجِ وَالزَّبَدِ مِنْ وَسْطِهِ دُخَانٌ سَاطِعٌ مِنْ وَسْطِهِ مِنْ غَيْرِ نَارٍ، فَخَلَقَ مِنْهُ السَّمَاءَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْبُرُوجَ وَالنُّجُومَ، وَمَنَازِلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَأَجْرَاهَا فِي الْفَلَكَ، وَكَانَتْ

(١) الكافي: ٩٥ / ٨ ح ٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١ / ١٣٨، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ١٩١ / ٢.

السَّمَاءُ خَضِرَاءَ عَلَى لَوْنِ الْمَاءِ الْأَخْضَرِ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ غَبْرَاءَ عَلَى لَوْنِ الْمَاءِ الْعَذْبِ، وَكَانَتَا مَرْتُوفَتَيْنِ، لَيْسَ لَهَا أَبْوَابٌ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَرْضِ أَبْوَابٌ، وَهُوَ النَّبْتُ، وَلَمْ تُمْطَرِ السَّمَاءُ فَنَبَتَتْ، فَفَتَقَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ، وَفَتَقَ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(١)، فقال الأبرش: والله ما حدثني بمثل هذا الحديث أحد قط، أعد عليّ، فأعاد عليه، وكان الأبرش مُلِحِدًا، فقال: وأنا أشهد أنك ابنُ نبيٍّ، ثلاث مرّاتٍ^(٢).

وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بِحَمَلِ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ نَارٍ عَلَى سُطُوحِ الدُّخَانِ بَعْدَ خَمْدِ النَّارِ، كَمَا هُوَ مَفَادُ رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ [٣٦: و] مُسْلِمٍ. وَعَمَّا يَدُلُّ مِنَ الْأَخْبَارِ، مُضَافًا إِلَى رَوَايَةِ الْأَبْرَشِ، وَجَوَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَسْأَلَةِ رَجُلٍ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّامِ عَلَى تَقَدُّمِ خَلْقِ الْأَرْضِ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ، مَا رَوَاهُ الْقُطْبُ الرَّائِدِي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْقِصَصِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الْإِنْبِيَاءُ: ٣٠.

(٢) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ الْقَمِيِّ: ٨١.

(٣) أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الرَّائِدِي، الْمَعْرُوفُ بِالْقُطْبِ الرَّائِدِي مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، فَقِيهٌ، صَالِحٌ، ثِقَةٌ، وَلَهُ مَوْلاَفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْخَرَايِجُ وَالْجَرَايِخُ، وَقِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَفَقَهُ الْقُرْآنَ، وَشَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٣، يَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ: مَعَالِمُ الْعُلَمَاءِ: ١٥، جَامِعُ الرِّوَاةِ: ١/ ٥٨٧، مَتَّهَى الْمَقَالِ فِي أَحْوَالِ الرِّجَالِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَازَنْدَرَانِي، تَحَدَّثَ: مُؤَسَّسَةُ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِإِحْيَاءِ التَّرَاثِ: ٣/ ٣٤٨، الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ٣/ ٧٢.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ خَلَقَهَا قَبْلَ السَّمَاوَاتِ) ^(١).
وروى الشيخ الطبرسي رحمته الله ^(٢) في كتاب الاحتجاج عن هشام بن الحكم
قال: سأل الزنديق فيما سأل أبا عبد الله عليه السلام عن خلق النهار قبل الليل،
فقال عليه السلام: (نعم، خَلَقَ النَّهَارَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَالشَّمْسَ قَبْلَ الْقَمَرِ، وَالْأَرْضَ قَبْلَ
السَّمَاءِ) ^(٣).

ثمَّ إِنَّهُ زَعَمَ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ تَنَاقُضًا، قَالَ: الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ تَدُلُّ
عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَكَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ^(٤)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ:
﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمُكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا

(١) قصص الأنبياء، الراوندي، تح: الميرزا غلامرضا عرفانيان الخراساني: ٣٩ ح ١.

(٢) الشيخ أبو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، ثقة، فاضل،
دين، عين، من الأجلء، ولد سنة ٥٧١هـ، له تصانيف، منها: مجمع البيان في تفسير
القرآن في عشرة أجزاء، الوسيط في التفسير في أربعة أجزاء، الوجيز في التفسير أيضاً،
إعلام الوري بأعلام الهدى، روى عن الشيخ أبي الوفاء المقري الرازي، وعن الشيخ
أبي علي الطوسي، توفي سنة ٥٤٨هـ، ينظر ترجمته: معالم العلماء: ١٤، نقد الرجال:
٤/ ١٩، جامع الرواة: ٢/ ٤، موسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ السبحاني: ٢/ ٢٨٧.

(٣) الاحتجاج: ١٠٠/٢.

(٤) البقرة: ٢٩.

﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾^(١) يقتضي تأخر خلق الأرض عن السماء، وأجيب عنه بوجهين:

أحدهما: إنَّ خلق الأرض قبل السماء، إلَّا أنَّ دُحُوهَا مُتَأَخِّرًا عن خلق السماء، ودُحُوهَا بسطُها ومدُّها، ومنه أَدْحِيَّة النِّعَام؛ لَأَنَّهَا تَبْسُطُهَا لِتَبْيِضَ فِيهَا.

واستشكَل بوجهين: الأوَّل: إنَّ الأرضَ جِسْمٌ عَظِيمٌ، فَيَمْتَنِعُ انْفِكَاكَ خَلْقُهَا عَنِ التَّدْحِيَةِ، فإذا كانت التَّدْحِيَةُ مُتَأَخِّرَةً عَنِ خَلْقِ السَّمَاءِ، كان خَلْقُهَا - لَا مَحَالَةَ أَيْضًا - مُتَأَخِّرًا عَنِ خَلْقِ السَّمَاءِ.

الثَّاني: إنَّ آيَةَ الْبَقَرَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الْأَرْضِ، وَخَلْقَ كُلِّ مَا فِيهَا مُقَدَّمٌ عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ، لَكِنَّ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ فِي الْأَرْضِ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَدْحُوءَةً، فَهَذِهِ الْآيَةُ تَقْتَضِي تَقْدِيمَ كَوْنِهَا مَدْحُوءَةً عَلَى خَلْقِ السَّمَاءِ، وَحِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ التَّنَاقُضُ.

وَأُجِيبَ: عَنِ الْأَوَّلِ: بِأَنَّا لَا نُسَلِّمُ امْتِنَاعَ انْفِكَاكَ خَلْقِ الْأَرْضِ عَنْ دُحُوهَا، وَالْمُنَاقَشَةُ فِي إِطْلَاقِ خَلْقِ الْأَرْضِ عَلَى إِيجَادِهَا غَيْرَ مَدْحُوءَةٍ مُنَاقَشَةٌ لَفْظِيَّةٌ.

وعن الثاني: بِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢) يَقْتَضِي تَقْدِيمَ خَلْقِ السَّمَاءِ عَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ، وَلَا يَقْتَضِي تَقْدِيمَ تَسْوِيَةِ السَّمَاءِ عَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ، فَجَازَ أَنْ تَكُونَ تَسْوِيَةُ السَّمَاءِ مُتَأَخِّرَةً عَنْ دَحْوِ الْأَرْضِ، فَيَكُونُ خَلْقُ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَخَلْقُ السَّمَاءِ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ، وَدَحْوُ الْأَرْضِ قَبْلَ

(١) النازعات: ٢٧-٣٢.

(٢) النازعات: ٣٠.

تسوية السَّماء، فارتفع التنافي^(١).

وفيه نظرٌ لا لما ذكره الفخر الرَّازي من أنَّ آية النَّازعات تدلُّ على أنَّ خلقَ السَّماءِ وتسويتها مُقدَّمٌ على تدجِية الأرض، وتدجِية الأرض مُلازمةٌ لخلقِ ذاتِ الأرض؛ فإنَّ الأرضَ جِسمٌ في غاية العِظَم، والجِسمُ الَّذي يكون كذلك، فإنَّه من أوَّل دخوله في الوجودِ تكونُ مدحوةً.

قال: والقولُ بأنَّها ما كانت مدحوةً، ثُمَّ صارت كذلك قولٌ باطلٌ، والَّذي جاء في كتب التَّواريخ أنَّ الأرضَ في موضعِ صخرةِ بيتِ المقدس^(٢)، فهو كلامٌ مُشكَلٌ؛ لأنَّه إن كان المُراد أنَّها على عِظَمِها خُلِقَتْ في ذلك الموضع، فهذا قولٌ بتداخلِ الأجسام الكثيفة، وهو محالٌ.

وإن كان المُراد منه أنَّه يَخْلُقُ أوَّلاً منه أجزاءً صغيرةً في ذلك الموضع، ثُمَّ خُلِقَتْ بقيَّةُ أجزائها، وأضيفت إلى تلك الأجزاء التي خُلِقَتْ أوَّلاً، فهذا يكونُ اعترافاً بأنَّ تَخْلِيقَ [٣٧: ظ] الأرضَ وقعَ مُتأخراً عن تَخْلِيقِ السَّماءِ.

قال: وأيضاً، لو كان دحو الأرضِ بعد خلقِ السَّماءِ كان مُتأخراً عن الأَيَّامِ الستَّة، ودحو الأرضِ هو خَلْقُها لما مرَّ، فلزِمَ أن يكونَ خَلْقُ السَّماواتِ، والأرضِ في أكثرِ من ستَّةِ أَيَّامٍ، وهو باطلٌ^(٣)، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾

(١) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي: ٢٢٩/٢٥.

(٢) ينظر: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، تح: محمد بحر العلوم: ٢٤٠/١.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٠٥-١٠٦.

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ^(١) لَمْنَعِ مَا ادَّعَاهُ مِنْ مُلَازِمَةِ دَحْوِ
الْأَرْضِ لِحَلَقِهَا.

وما تمسك به في بيانها فضعيف؛ أما أولاً: فلائنه يمكن أن يكون الدحو
بتخلخل ما كانت مخلوقة من الأرض قبله، وهذا وإن كان بعيداً إلا أنه لا
دليل على امتناعه، وأي شيء يدل على وجوب انتهاء التخلخل إلى حد معين،
ومقدار مخصوص لا يتجاوزه، حتى لا يصح صدور مثل ذلك عن قدرته
سبحانه، ولعله كان جسماً في غاية الصلابة، قابلاً لمثل هذا التخلخل، مع أن
استلزام التخلخل لرقّة القوام مطلقاً محل تأمل.

وأما ثانياً: فلائنه يمكن اختيار خلق بقية أجزاء الأرض بعد خلق ما
خلق منها أولاً؛ أما بقلب الماء أرضاً، أو بغير ذلك مما يعلمه الله سبحانه.
وأما قوله: يكون ذلك اعترافاً بخلق الأرض بعد السماء، فهو كلام لفظي
كما سبق، وما ذكره أخيراً: من أنه يلزم أن يكون خلق السماء والأرض في
أكثر من ستة أيام، فضعفه ظاهر بما ذكر.

وحكاية دحو الأرض التي أسندها إلى كتب التواريخ^(٢)، فيما تظافت

(١) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى
الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هود: ٧.

(٢) ينظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ الجواهري، تح: الشيخ عباس
القوجاني: ١٧ / ١٠٢، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ١ / ٢٤٠، مرآة
العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٥ / ٢٢٩.

به الأخبار، لا بأنها دُحِيتِ مِنْ موضعِ الصَّخرة، بل مِنْ تحتِ الكعبة، وقد مرَّ شيءٌ منها، وَيَعْضُدُهَا ظَاهِرُ الآيَةِ، مع أَنَّهُ لا دَلِيلَ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ عَلَى امْتِنَاعِهَا، بل النَّظَرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ آيَةَ النَّازِعَاتِ تَقْتَضِي تَقَدُّمَ تَسْوِيَةِ السَّمَاءِ عَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ، وَآيَةُ الْبَقَرَةِ تَقْتَضِي تَقَدُّمَ خَلْقِ الْأَرْضِ بِمَا فِيهَا عَلَى تَسْوِيَتِهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَخَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ قَبْلَ دَحْوِهَا مُسْتَبَعْدٌ.

فالجوابُ عَلَى هَذَا السِّيَاقِ: أَمَّا بِأَنْ يُقَالَ: خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ هُوَ خَلْقُ مَوَادِّهَا، كَمَا أَنَّ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ دَحْوِهَا عِبَارَةٌ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ، فَيَكُونُ تَسْوِيَةُ السَّمَاءِ مُتَقَدِّمَةً عَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ آيَةِ النَّازِعَاتِ.

أَوْ بِأَنْ: يُفَرَّقَ بَيْنَ تَسْوِيَتِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي آيَةِ النَّازِعَاتِ، وَبَيْنَ تَسْوِيَتِهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ كَمَا فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ، وَحِينَئِذٍ فَتَسْوِيَتُهَا مُطْلَقاً مُتَقَدِّمَةً عَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ، وَتَسْوِيَتُهَا سَبْعاً مُتَأَخِّرَةً عَنْهُ، وَهَذَا يُنَاسِبُ ظَاهِرَ آيَةِ السَّجْدَةِ الْمَذْكُورَةِ أَوَّلًا.

أَوْ بِأَنْ يُقَالَ: الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾^(١) بِمَعْنَى، ثُمَّ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢) هُوَ بِنَاءُ السَّمَاءِ وَخَلْقُهَا، لَا جَمْعُ مَا ذُكِرَ قَبْلَهُ.

أَوْ بِأَنْ يُقَالَ: كَلِمَةُ ثُمَّ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، وَتَقْدِيمُ خَلْقِ مَا فِي الْأَرْضِ فِي مَعْرِضِ الْاِمْتِنَانِ لِمَزِيدِ الْاِخْتِصَاصِ، فَيَكُونُ خَلْقُ مَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ دَحْوِهَا - كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ - وَتَسْوِيَةُ السَّمَاءِ مُتَقَدِّمَةً عَلَيْهِ وَعَلَى دَحْوِ الْأَرْضِ،

(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ النَّازِعَاتِ: ٢٨.

(٢) النَّازِعَاتِ: ٣٠.

كما هو ظاهر آية النازعات.

لكن هذا لا يخلو عن نوع مُنافرةٍ لظاهر آية السجدة، حيث أن تقدم
اليومين الذين سوى فيهما السماء على الأربعة، يستلزم تقدم تسوية السماء
عن خلق الأرض، وهو مخالف للأخبار الصريحة، وتوسطهما بين الأربعة
بعيد جداً.

وقال القاضي البيضاوي^(١): (كلمة ثم في آتي البقرة والسجدة لتفاوت
ما بين الخلقين، وفضل خلق السماء على خلق الأرض، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ
كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) لا للتراخي في المدة فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى:
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣)، فإنه يدل على تأخير دحو الأرض المتقدم
على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها، إلا أن يستأنف [٣٨: و] بدحاها

(١) القاضي، ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الأشعري
البيضاوي الشافعي، المفسر، والمتكلم، والأصولي، صاحب التفسير الذي لخص فيه
ما أخذه من الكشف، ومفاتيح الغيب، وتفسير الراغب الأصفهاني، وسماه أنوار
التنزيل، ومن مصنفاته: الطوالع، شرح المنتخب، الكافية في المنطق، توفي سنة ٦٨٥
هـ، بتبريز، والبيضاوي نسبة إلى بيضاء مدينة مشهورة بفارس. ينظر ترجمته: البداية
والنهاية: ٣٦٣/١٣، طرائف المقال: ٨٥/١، مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي
النمازي الشاهرودي، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي: ٥٤٨/٨، الكنى والألقاب:
١١٣/٢، معجم المطبوعات العربية، اليان سركيس: ٦١٦/١.

(٢) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾
البلد: ١٧.

(٣) النازعات: ٣٠.

مُقَدَّرًا لِنَصَبِ الْأَرْضِ فَعَلًا آخِرَ، دَلَّ عَلَيْهِ ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾^(١) مثل: تَعْرِفُ الْأَرْضَ وَتَدُبُّرَ أَمْرِهَا بَعْدَ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ^(٢) انتهى، وفيه ما قد عَرَفْتَ.

الوجهُ الثَّانِي مما أُجِيبَ به عن أَصْلِ الإشْكَالِ، أَن يُقَالَ: كَلِمَةُ بَعْدَ فِي آيَةِ النَّازِعَاتِ لَيْسَتْ لِلتَّأَخُّرِ الزَّمَانِيِّ؛ إِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ تَعْدَادِ النِّعَمِ وَالْإِدْكَارِ لَهَا، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِمُصَاحِبِهِ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتُكَ، وَفَعَلْتُ بِكَ كَذَا وَكَذَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ خَلَطْتُكَ؟، وَرَبَّمَا يَكُونُ بَعْضُ مَا تَقَدَّمَ فِي اللَّفْظِ مُتَأَخِّرًا بِحَسَبِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ لَمْ يَكُنِ الْإِخْبَارُ عَنِ الْأَوْقَاتِ، بَلِ الْمُرَادُ ذِكْرُ النِّعَمِ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَيْهَا، وَرَبَّمَا اقْتَضَتْ الْحَالُ إِبْرَادَ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ^(٣)، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي دَحْوِ الْأَرْضِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَرْحِ خُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ.

وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: (لَا نِزَاعَ فِي أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾^(٤) كُنَايَةً عَنِ إِيجَادِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَوْ تَقَدَّمَ إِيجَادُ الْأَرْضِ عَلَى إِيجَادِ السَّمَاءِ^(٥) لَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾^(٦)

(١) من قوله تعالى ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ النازعات: ٢٧.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١ / ٢٧٤، بحار الأنوار: ٥٤ / ٢٣.

(٣) ينظر: بحار الأنوار: ٥٤ / ٢٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت: ١١.

(٥) نص الرازي: وفيه (فلو تقدم إيجاد السماء على إيجاد الأرض).

(٦) فصلت: ١١.

يقتضي إيجاد الموجود^(١).

وفيه نظرٌ ظاهرٌ؛ لعدم دلالة الواو على المعية الزمانية، وضعف دلالة التقديم الذكري على التقدم الزمني، فيمكن أن يكون المعنى: قلنا للأرض قبل ذلك.

بهذا يظهر اندفاع ما يُتوهم من المناقضة بين آية النازعات، حيث دلت على تأخر خلق الجبال عن خلق السماء وتسويتها، وبين آية السجدة، حيث دلت على تقدمه.

وأما الكلام في كيفية خطاب السماء والأرض وجوابهما، وما قيل في ذلك، فسيأتي ببسطٍ شافٍ في موضعٍ أليق به إن شاء الله تعالى.

واعلم أن الذي تدل عليه الآيات والأخبار في عدد السماوات: أنها سبع، وأما التسع التي تزعمه الفلاسفة، فمما لم يظهر من الآيات والأخبار، بل الظاهر الاقتصار على السبع نفيها.

وما تكلفه بعضهم: من جعل العرش والكرسي من مجملتها فبعيدٌ خصوصاً عن ظواهر الأخبار الدالة على التربع، وما أسسوا عليه من عدم جواز الحزق^(٢)، والالتئام، ونحو ذلك، فمع وهنه لا يفي بمطلوبهم، ولا مكان كونها سبعاً مع انضباط الحركات على الوجه الذي زعموه. كما ذكره بعض أهل الهيئة - وهو مذكورٌ في محله.

(١) مفاتيح الغيب: ١٠٥ / ٢٧.

(٢) الحزق: شدة جذب الرباط والوتر، لسان العرب، مادة (حزق).

وقد اعترف بعض أصحاب هذا الفن بإمكان ضبط الحركات والأوضاع، وإن لم تكن الكواكب والأفلاك متحركة على الوجه الذي ظنوه، وسيجيئ تمام الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى.

﴿جَعَلَ سَفْلَاهُنَّ مُوجَاً مَكْفُوفَا، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفَاً مَحْفُوظَا، وَسَمَكَاً مَرْفُوعَا﴾^(١)

الكف: المنع^(٢)، والسقف: معروف، وقال الجوهري، وغيره: (السقف اسم للسماء)^(٣). ولعل الأول أنسب هاهنا، وسمك البيت بالفتح: سقفه، وسمك الله السماء سمكاً: رفعها، والمسموكات: السماوات^(٤)، أي: جعل السماء السفلى التي هي أقرب إلينا موجاً ممنوعاً من السيلان، أما بإمساكه بقدرته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(٥)، أو بأن خلق تحتها جسماً جامداً يمنعها عن الانتشار، أو بأن أجدها بعدما كانت سيالة^(٦).

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (كفف).

(٣) الصحاح، مادة (سقف)، وينظر: كتاب العين، مادة (سقف)، لسان العرب، مادة (سقف).

(٤) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سمك).

(٥) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فاطر: ٤١.

(٦) ينظر: بحار الانوار: ١٨٦/٥٤.

وما ذكره بعض الشارحين: من أن جميع السماوات كانت كذلك، فما وجه تخصيص السفلى بذلك؟ ففيه نظر.

وروى رئيس المحدثين رحمه الله في العلل، والعيون في خير الشامي: أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام: (مِمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟) قَالَ عليه السلام: مِنْ بُخَارِ الْمَاءِ، وسأله عن سماء الدنيا: بما هي؟ [٣٩: ظ] قال: مِنْ مَوْجٍ مَكْفُوفٍ^(١).

وقال بعض الشارحين: (استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو والارتفاع، وما يتوهم من اللون)^(٢) وفيه ما لا يخفى وما استدل به قوم على أن (السماء الدنيا ماء متموج، من ارتعاد الكواكب حساً)^(٣)، فضعف جداً.

وقوله عليه السلام: ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٤)، فلعل المراد بالسماء فيه السماء العليا، والظاهر أن المراد بكون السماء العليا محفوظاً، حفظها عن الهدم، والسقوط، لا عن الشياطين، كما زعمه بعض الشارحين^(٥).

(١) علل الشرائع: ٢/ ٥٩٣ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢١٩ ح ١.

(٢) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: ٢/ ٢٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٨٥.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ الانبياء: ٣٢.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سلمان، تح: أحمد فريد: ٢/ ٣٥٧، مفاتيح الغيب: ٢٢/ ١٦٥.

﴿لَا بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يُنْظِمُهَا﴾^(١)

العَمَدُ، بالتحريك: جمعُ الكثرة لعمود البيت، وكذلك العُمَد، بضمَّتَيْنِ، وجمعُ القلَّةِ أعمدةٌ كأسورة^(٢).

وقال في العين: (العُمَدُ، بضمَّتَيْنِ جمعُ عِمَادٍ، والأَعْمَدَةُ جمعُ العمود، مِنْ حديدٍ أو خشبٍ)^(٣).

والدَّعْمُ بالفتح: أن يميلَ الشَّيْءُ فتدَعَّمَهُ بدعامٍ، كما تدَعَّمُ عُروش الكرمِ، ونحوه ليصيرَ له مِسَاكًا، والدَّعَامَةُ: اسمُ الخَشَبَةِ التي يُدَعَّمُ بها، ويدَعَّمُهَا بالتَّخْفِيفِ، وفتحُ العين^(٤). وفي بعضِ النُّسخ: يدَعَّمُهَا، بتشديد الدالِّ مِنْ بابِ الافتعال، مِنْ الادِّعَامِ، وهو الاتكاء. على ما في كلام أهل اللُّغة. ولعلَّ الأوَّلَ أصحُّ.

والدِّسَارُ، بالكسر: المِسَارُ، وجمعه دُسُرٌ^(٥).

وَنَظْمُ اللَّوْلُؤِ: جمَعُهُ فِي السَّلَكِ، وَالتَّنْظِيمُ مثله، ومنه: نَظَمْتُ الشَّعْرَ، وَالنِّظَامُ: الْخَيْطُ الَّذِي يُنْظَمُ بِهِ^(٦)، وَيَنْظِمُهَا بِكسر الظَّاءِ والتَّخْفِيفِ، وَفِي

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) ينظر: الصحاح، مادة (عمد).

(٣) كتاب العين، مادة (عمد).

(٤) ينظر: المصدر نفسه، مادة (دعم)، لسان العرب، مادة (دعم).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (دسر).

(٦) ينظر: الصحاح، مادة (نظم).

بعض النسخ: ينتظمها^(١) من الانتظام، وهو: الاتساق، وجاء مُتَعَدِّياً.
والظاهر: إِنَّ الضَّمِير المنصوب في يدعمها وينظمها راجعُ إلى السَّمَاوَاتِ،
وإِرجاعُهُ إلى العُلْيَا، أو إلى السُّفْلَى، بقرينة قوله الْعَلِيَّاتِ بعد ذلك: ﴿ثُمَّ زَيَّنَهَا
بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٢) حيثُ إِنَّ الظَّاهِر إِرْجَاعُ الضَّمِير فيه إلى السَّمَاءِ السُّفْلَى،
ليكونَ أَوْفَقَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٣) لا يخلو
عن بُعدٍ، وإن كان الظَّاهِر رُجوعُ هذا الضَّمِير إلى السَّمَاءِ السُّفْلَى لِمَا ذُكِرَ.
والزَّيْنَةُ: إمَّا مصدر كالنَّسْبَةِ، أو أَسْمٌ لِمَا يُزَانُ بِهِ كَاللُّقِيَةِ لِمَا يُلَاقِ بِهِ^(٤).

قال صاحبُ الكَشَافِ: (قوله تعالى: ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٥) يحتملها، فعلى
الأوَّلِ إمَّا مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إلى الْفَاعِلِ؛ بَأَن يَكُون الْكَوَاكِبُ مُزَيَّنًا لِلْأَفْلَاقِ،
أو إلى الْمَفْعُولِ، بَأَن زَيَّنَ اللهُ الْكَوَاكِبَ، وَحَسَّنَهَا؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا زُيِّنَتِ السَّمَاءُ،
لِحُسْنِهَا فِي أَنْفُسِهَا.

وعلى الثَّانِي، فَأَمَّا أَن يَكُونَ الْكَوَاكِبُ بَيَانًا لِلزَّيْنَةِ^(٦)، أو يَكُون الْمُرَادُ بِهَا
زُيِّنَتْ بِهِ الْكَوَاكِبُ، وَزِينَةُ الْكَوَاكِبِ لِلْفَلَكَ؛ إمَّا لَضَوْئِهَا وَارْتِفَاعِ الظُّلْمَةِ
عَنْهَا، قال ابن عباس: ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ أي: بضوء الكواكب.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١١/١٤٧، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ١/٩٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) الصافات: ٦.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤/١٨٧.

(٥) الصافات: ٦.

(٦) تفسير الكشاف: ١/٣٠٦.

وللأشكال الحاصلة منها: كالجوزاء^(١)، وبنات النعش^(٢)، والثريا^(٣)، أو باختلاف الأوضاع بحركاتها، أو لرؤية الناس إياها مُضيئة في الليلة الظلماء، أو للجميع^(٤)، ولعل بعض الوجوه أوفق بقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾^(٥)، ثُمَّ إِنَّ الظَّاهِرَ مِنْ تَخْصِيصِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِكَوْنِ الْكَوَاكِبِ زِينَةً لَهَا، وَمَصْبَاحاً إِنَّ الْكَوَاكِبَ مَرْكَوزَةٌ فِيهَا، أَوْ مُتَحَرِّكةٌ فِيهَا بِذَاتِهِ، كَالْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ^(٦).

والتفصيل: أَنَّ الْوُجُوهَ الْمُحْتَمَلَةَ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ:

الأول: فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْفَلَكَ سَاكِنًا، وَالْكَوَاكِبُ مُتَحَرِّكةٌ فِيهِ، كَحَرَكَةِ السَّمَكَةِ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ.

الثاني: وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْفَلَكَ مُتَحَرِّكًا، وَالْكَوَاكِبُ تَتَحَرَّكُ فِيهِ أَيْضًا، إِمَّا

(١) الْجَوْزَاءُ: أَحَدُ الْأَبْرَاجِ السَّمَاوِيَةِ وَهُوَ نَجْمٌ يُقَالُ: إِنَّهُ يَعْتَرِضُ فِي جَوْزِ السَّمَاءِ أَيْ فِي وَسْطِهَا يَنْظُرُ: الصَّحَاحُ، مَادَّةُ (جوز)، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (جوز).

(٢) بَنَاتُ النُّعْشِ: سَبْعَةُ كَوَاكِبَ تَشَاهِدُهَا جِهَةُ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ، أَرْبَعَةٌ مِنْهَا نَعِشٌ لِأَنَّهَا مَرْبُوعَةٌ، وَثَلَاثَةٌ بَنَاتُ نَعِشٍ. يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (نعش).

(٣) الثُّرَيَّا: مِنَ الْكَوَاكِبِ، سَمِيَتْ لَغَزَارَةِ نَوَّهَا، وَقِيلَ: سَمِيَتْ بِذَلِكَ لَكثْرَةِ كَوَاكِبِهَا مَعَ صَغَرِ مَرَاتِهَا. يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (ثرا).

(٤) يَنْظُرُ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: ١٢٠ / ٢٦.

(٥) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ الْمَلِكُ: ٥.

(٦) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، التَّفْتَازَانِي: ١ / ٣٣٨.

مُوافِقٌ لجهة حركته، أو مُخَالِفَةٌ بحركةٍ مُساويةٍ لحركةِ الفَلَكِ في السَّرعَةِ والبطءِ وغيرها.

الثالث: وإمَّا أن يكونَ ساكنًا، والفَلَكُ مُتحرِّكًا، أمَّا الأوَّل، فقالت الفلاسفة [٤٠: ظ] بِبُطْلَانِهِ؛ لاستلزامه خرقِ الفَلَكِ. وأمَّا الثاني: فقليل إنَّه كذلك ^(١)؛ لأنَّ الكواكب إنْ فُرِضَتْ مُخَالِفَةٌ لِلْفَلَكِ في الجِهةِ، والسَّرعَةِ والبطءِ، لَزِمَ الحَرَقُ، وكذا إنْ كانت مُخَالِفَةٌ في السَّرعَةِ والبطءِ دُونَ الجِهةِ.

وإنْ كانت مُوافقةً في الجِهةِ والسَّرعَةِ، فالخرقُ أيضًا لَزِمَ؛ لأنَّ الكواكب تتحرَّكُ بالعَرَضِ بسببِ حركةِ الفَلَكِ، فتزيدُ حركتها بالحركةِ الدَّائِيَّةِ، وفيه نظرٌ، فلم يبقَ إلَّا الثالث ^(٢).

وأنت تعلم أن الدَّلَّالِ الدَّالَّةَ على بُطْلَانِ الحَرَقِ، والالتِّامِ، وما يدلُّ على عدم جواز الاختلاف في حركات الكواكب ضعيفةٌ، مع مُخَالَفتها لكثيرٍ مِنَ القواعدِ الشَّرْعِيَّةِ، والآياتِ، والأخبارِ المُتظافرةِ، وسيأتي إن شاء الله تعالى في شرحِ الخُطبةِ الجامعةِ مزيدٌ توضيحٍ لهذا المعنى.

ثمَّ إنَّهم اتفقوا ^(٣) على أنَّ الثَّوابتَ مركوزةٌ في الفَلَكِ الثَّامِنِ الَّذِي هو فوقُ أَكْر، أي: كُرَاتِ السَّيَّاراتِ ^(٤)، واحتجُّوا عليه بأنَّ: بعضَ هذه الثَّوابتِ

(١) أي انه باطل.

(٢) ينظر: حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي: ٢٧/٦-٢٨، بحار الانوار: ٥٥/١٢٩.

(٣) يقصد: أصحاب الهيئة.

(٤) أي: كُرَاتِ السَّيَّاراتِ

فيه، فيجبُ ان يكونَ كُلُّها كذلك، أما أنْ بعضُها هناك؛ فلأنَّ الثَّوابت القريبة من المنطقة تنكسفُ بهذه السَّيارات، فيجبُ أن تكون الثَّوابت المنكسفة فوق السَّيارات الكاسفة.

وإمَّا أنْ هذه الثَّوابت لما كانت في الفلك الثامن وَجِبَ ان تكون كُلُّها هناك، فلائِها بأسرها مُتحرِّكةً بحركةٍ واحدةٍ بطيئة، فلا بُدَّ وأن تكون مركوزةً في كُرَّةٍ واحدةٍ^(١)، وفيه وجوهٌ من الضَّعف.

والحقُّ أنَّه لا دليلَ من جهةِ العقلِ على امتناع أن يكون الكواكب بأسرها في فلكٍ واحدٍ، ويكونُ بعضُها فوقَ بعضٍ، ولو بالأبعاد التي زعموها، ويكونُ حركتها فيه حركةً ذاتيَّةً ولا تُنافيه حركةُ الفلكِ أيضاً، لكن يُنافيه ظاهرُ قوله في الشَّمس، والقمر: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢)، على ما فهمه بعضُ المُفسِّرين، وفيه تأملٌ.

ولعلَّ الظاهر من ما ذكره صاحبُ الكشَّاف من أن التَّنوين في كُلِّ عَوْضٍ عن المُضاف إليه، وليس للتنكير، أي: كُلُّهم يَسْبَحُونَ في فَلَكٍ عَدَمِ التَّعَدُّدِ، ويؤيده قولُ بعضهم: أن الضَّمير في يَسْبَحُونَ، راجعٌ إلى الشَّمس، والقمر، والليل والنَّهار، ولو سلَّم فأمَّا أن يختصَّ بغيرِ الشَّمس والقمر، ويُقال بأنَّ ما سِوَاهُما في كُرَّةٍ واحدةٍ.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٦٠/٣٠، الباب في علوم الكتاب: ١٩/٢٣٤.

(٢) من قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس: ٤٠.

أَمَّا فِي غَيْرِ فَلَكِ الشَّمْسُ، والقمر، أو في أحدهما، فَإِنَّ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُرَةِ الشَّمْسِ مِثْلًا كَوَكَبٍ غَيْرِهَا، لَكِنْ يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْفَلَكُ الْحَامِلُ لِلْكَوَاكِبِ غَيْرُ فَلَكِ النَّيِّرِينَ^(١).

فَإِنْ كَانَ فَوْقَ فَلَكِ الْقَمَرِ، فَلَا يَنْطَبِقُ عَلَى ظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٢)، وَإِنْ كَانَ تَحْتَهُ، يُنَافِي الْكَسْفَ لَانْكَسَافِ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ بِالْقَمَرِ، وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الْفَلَكَيْنِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ فَلَكُ الشَّمْسِ، لِمَا ذُكِرَ، وَلَا فَلَكُ الْقَمَرِ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ الْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ بِأَسْرَهَا مَرْكُوزَةً فِي الْفَلَكِ، نَعَمْ يَسْتَقِيمُ عَلَى تَقْدِيرِ الْحَرَكَةِ الذَّاتِيَّةِ، كَحَرَكَةِ الْحَوْتِ فِي الْمَاءِ.

وَأَمَّا أَنْ يُقَالَ: السَّمَاءُ الدُّنْيَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى كَوَاكِبٍ لَيْسَتْ وَاقِعَةً فِي مَمَرِ السَّيَّارَاتِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَدُلُّ دَلِيلٌ عَلَى امْتِنَاعِهِ، وَيُؤَافِقُ ظَاهِرَ الْآيَةِ، عَلَى مَا فَهَمَهُ الْبَعْضُ.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدَحُ فِي تَزْيِينِ فَلَكِ الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ السَّمَاءُ الدُّنْيَا بِتِلْكَ الْأَجْرَامِ الْمُشْرِقَةِ الْمُضِيئَةِ أَنْ تَكُونَ مَرْكُوزَةً فِيهَا فَوْقَهَا^(٣)، فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَوَاكِبِ، وَالْأَفْلَاكُ مُرْتَبَةً عَلَى النِّظَامِ الَّذِي زَعَمُوهُ، لَا رَيْبَ أَنَّهُ خِلَافُ ظَاهِرِ الْآيَةِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ قَاطِعٍ.

(١) النيرين هما: الشمس والقمر، ينظر: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني، تح: السيد محمد كلانتر: ٣٣٩ / ١.

(٢) الصافات: ٦.

(٣) ينظر: مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي العاملي: ٩٧، بحار الانوار: ١٥٩ / ٨٣.

﴿وَضِيَاءُ الثَّوَابِ﴾^(١)

المراد بالثواب: اما الكواكب [٤١: ظ] المذكورة سابقاً، فيكون تفسيراً
لزينة الكواكب، والمراد بالثاقب: المضيء، كأن الكوكب يثقب بضوئه^(٢) يقال:
(أَثَقَبَ نَارُكَ، وَاسْتَقَبْتُ النَّارَ: إِذَا اسْتَوْقَدْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: حَسَبُ ثَاقِبٍ، أَي:
مُضِيءٌ شَرِيفٌ)^(٣).

أو المراد بالثواب: الشُّهَب التي تُرمى بها الشَّيَاطِين، وهي ثوابٌ لِمَا
ذَكَرَ، أَوْ؛ لِأَنَّهَا تَثَقِبُ الْمَرْمِيَّ بِهَا، أَوْ الْهَوَاءَ^(٤).

فيكون إشارةً إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
ثَاقِبٌ﴾^(٥)، و(الخطفة الاستلاب بسرعة، أَي: مَنْ اسْتَلَبَ السَّمْعَ اسْتِلَاباً)^(٦).

قالوا: كان الشَّيَاطِين يصعدون إلى قُرْبِ السَّمَاءِ، فربما سَمِعُوا كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ،
وَعَرَفُوا بِهِ مَا سَيَكُونُ مِنَ الْغُيُوبِ، وَكَانُوا يُخْبِرُونَ بِهِ ضُعْفَاءَهُمْ، وَيُوهَمُونَهُمْ
أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَمَنْعَهُمُ اللَّهُ مِنَ الصُّعُودِ إِلَى قُرْبِ السَّمَاءِ بِهَذِهِ الشُّهَبِ^(٧).
وَقَدْ رَوَتْ الْعَامَّةُ أَنَّهُ: (لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ حُرِسَتْ السَّمَاءُ، وَصُفِّدَتْ

(١) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (ثقب).

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٤٨٤.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٨.

(٥) الصافات: ١٠.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٤٨٤.

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦ / ١٢٠.

الشَّيَاطِينِ، فَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ مُسْتَرِقًا لِّلْسَمْعِ رُمِيَ بِالشُّهْبِ فَأَحْرَقَهُ، لَثَلًا يَنْزِلُ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُلْقِيهِ إِلَى النَّاسِ، فَيَخْلِطُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْرُهُ، وَيَرْتَابُ النَّاسُ بِخَبْرِهِ^(١).

وروى علي بن إبراهيم في التفسير في خبر ولادة النبي ﷺ قال: (لَمَّا رَأَتْ الشَّيَاطِينُ مَا حَدَثَ مِنَ الْآيَاتِ لِوِلَادَتِهِ ﷺ وَنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَرَمْيِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهْبِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا إِلَى إِبْلِيسَ، فَقَالُوا: قَدْ مُنَعْنَا مِنَ السَّمَاءِ، وَرُمِينَا بِالشُّهْبِ، فَقَالَ: اطْلُبُوا، فَإِنَّ أَمْرًا قَدْ حَدَثَ فِي الدُّنْيَا، فَارْجِعُوا [إِلَى إِبْلِيسَ] ^(٢)، وَقَالُوا: لَمْ نَرَ شَيْئًا، فَقَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا هَا بِنَفْسِي، فَجَالَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْحَرَمِ، فَرَأَهُ مُحْفُوفًا بِالْمَلَائِكَةِ وَجَبْرِئِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى بَابِ الْحَرَمِ بِيَدِهِ حَرْبَةٌ، فَأَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَدْخُلَ، فَصَاحَ بِهِ جَبْرِئِيلُ، فَقَالَ: اخْسَأْ يَا مَلْعُونُ، فَجَاءَ مِنْ قَبْلِ حِرَى فَصَارَ مِثْلُ الصَّرِّ، فَقَالَ: يَا جَبْرِئِيلُ، حَرَفْتُ أَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: مَا هُوَ؟

قَالَ: مَا هَذَا؟ وَمَا اجْتَمَعُكُمْ فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: هَذَا نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ وُلِدَ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ، قَالَ: هَلْ لِي فِيهِ نَصِيبٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ؟ فَفِي أُمَّتِهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: قَدْ رَضِيتُ^(٣).

وروي فيه: عن هشام بن سالم^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج،

(١) المصدر نفسه: ٦٠ / ٣٠، وينظر: بحار الانوار: ٨٤ / ٥٥.

(٢) ضرورة يقتضيها السياق.

(٣) تفسير القمي: ٣٧٤ / ١، بحار الانوار: ٢٤١ / ٦٠.

(٤) أبو الحكم، هشام بن سالم الجواليقي الجعفي الكوفي، مولى بشر بن مروان، روى

قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَصَعَدَ جَبْرَائِيلُ، وَصَعَدْتُ مَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْهَا مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ: إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْخُطْفَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(١) وَتَحْتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، نَحْتُ كُلِّ مَلَكٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ)^(٢).

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ أورد هاهنا سؤالات:

الأول: إِنَّ هذه الشُّهب هل هي مِنَ الكواكب التي زَيْنَ اللهُ بها السَّمَاء أم لا ؟، والأول باطل؛ لأنَّ هذه الشُّهب تبطل وتضمحل، فلو كانت الشُّهب هي الكواكب لَوَجِبَ أَنْ يظْهَرَ نُقْصَانٌ كَثِيرٌ فِي عِدَدِ الكواكب، ومعلومٌ أَنَّ هذا المعنى لم يُوجَدْ البتَّة، فَإِنَّ أَعْدَادَ كواكب السَّمَاء باقيةٌ على حالةٍ واحدةٍ مِنْ غيرِ تَغْيِيرٍ، وأيضاً قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٣) يدلُّ على وقوعِ النُّقْصَانِ فِي زِينَةِ السَّمَاء، فكأنَّ الجَمْعَ بَيْنَ هَذَيْنِ المقصودين كالمُتَنَاقِضَيْنِ.

وأما القسمُ الثَّانِي: وهو أَنَّ تكون هذه الشُّهب مِنْ غيرِ جِنْسِ الكواكب،

عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام ثقة ثقة، له اصل وكتب، منها: كتاب الحج، والتفسير، والمعراج، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ٤٣٤، الفهرست، الشيخ الطوسي: ٢٥٧.

(١) الصافات: ١٠.

(٢) بحار الانوار: ١٨ / ٣٢١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ الملك: ٥.

فهو أيضاً مُشكِّل؛ لأنَّ الصَّمير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾^(١) راجِعٌ إلى المصاييح، وهي الكواكب، فكانت هي الرُّجوم بأعيانها.

وأجيب: بأنَّ هذه الشُّهب غيرُ تلك الثَّواقب الباقية، [٤٢: و]، وأما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٢)، فالصَّمير فيه راجِعٌ إلى المصاييح، إلَّا أنَّ المصاييح ما كانت باقيةً على وجه الدَّهر، أمانةً مِنَ التَّغْيُرِ والفساد، ومنها ما لا يكون كذلك، وهو هذه الشُّهب التي يُحدِّثها اللهُ تعالى، ويجعلها رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وكُلُّ مُنِيرٍ يحصلُ في الجوّ العالِي فهو مصباحٌ لأهل الأرض^(٣)، فالمصاييحُ أعمُّ مِنَ الكواكب.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾^(٤)، فلا يدلُّ على أنَّ الشُّهب هي الكواكب، فإنَّ حِفْظًا منصوبٌ بفعلٍ مُقدَّرٍ، تقديره وحفظناها حِفْظًا.

قال المبرد: (إِذَا ذَكَرْتَ فِعْلاً، ثُمَّ عَطَفْتَ عَلَيْهِ مَصْدَرَ فِعْلٍ آخَرَ نَصَبْتَ الْمَصْدَرَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دَلَّ عَلَى فِعْلِهِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: أَفْعَلُ وَكَرَامَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قِيلَ أَفْعَلُ، عَلِمَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا يُعْطَفُ عَلَى الْأَفْعَالِ، فَكَانَ الْمَعْنَى: أَفْعَلُ ذَلِكَ وَأَكْرَمُكَ كِرَامَةً)^(٥).

(١) الملك: ٥.

(٢) الملك: ٥.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/١٢١، بحار الانوار: ٦٠/١٨٦.

(٤) الصافات: ٦-٧.

(٥) مفاتيح الغيب: ٢٦/١٢٠، الباب في علوم الكتاب: ١٦/٢٧٧، حاشية محي الدين

ويمكن أن يُجاب، أمّا أولاً: فبأن المراد بالمصاييح هي الكواكب - كما هو الظاهر - ويمنع عدم التّغيّر في أعدادها، وإنّما كان يظهر ذلك لو كانت الكواكب بأسرها مضبوطةً معدودةً.

وأما ثانياً: فبأن يُقال: سلّمنا أن أعداد الكواكب باقيةٌ لم تتغيّر، لكن يجوز أن يخلّق الله تعالى في موضع الكوكب الذي يرمى به الشّياطين كوكباً آخر، فلا يظهر للحسّ زوال الكوكب.

أو يُقال: لعلّه ينفصل عن الكوكب جسمٌ يحرق الشّياطين ويهلكهم مع بقاء الكوكب، كما ينفصل عن النّار شعلٌ محرقةٌ مع بقائها.

والشّهابُ في الأصل شُعلةٌ نارٍ ساطعة^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾^(٢)، وقد يُطلق على الكوكب، والسّنان تشبيهاً لهما في البريق، واللّمعانِ بشُعلةِ النّار^(٣).

وهذه الوجوه ينطبق على كون الكواكب، والمصاييح في السّماء الدّنيا، كما هو ظاهر الآيتين المذكورتين، ولا حاجة فيها إلى القول بأنّ تزيين السّماء الدّنيا بها لا يتوقّف على وجودها فيها، كما هو ظاهر الجواب المذكور آنفاً، وإن أمكن تقديره على وجهٍ لا يتوقّف عليه، فتدبّر.

شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي: ١١٣/٣.

(١) ينظر: بحار الانوار: ١٨٨/٦٠.

(٢) من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ النمل: ٧.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٠٨/٣.

السؤال الثاني: إن التواريخ المتواترة دلت على أن حدوث الشهب كان حاصلًا قبل بعثة النبي ﷺ، وولادته، وقد تكلمت الفلاسفة الذين كانوا موجودين قبل مجيئه ﷺ بزمانٍ طويلٍ في سبب حدوثه، فكيف يستقيم ما ذكرتموه، وما دلت عليه الآية الكريمة؟.

وأجيب: بأن الشهب، وإن كانت موجودة قبل بعثته ﷺ، وولادته، إلا أنها كثرت بعد ذلك، فصارت بسبب الكثرة مُعْجِزَةً^(١)، ولعله يُؤيد هذا الوجه ظاهرُ قوله تعالى حكايةً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾^(٢).

ويمكن أن يُقال: ما حدث بولادته ﷺ، وبعثه هو طردُ الشياطين بالشهبِ الثواقِبِ، لا وجودها^(٣)، ورُوي عن ابن عباس: (إنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ لَا تُحْجَبُ عَنِ السَّمَاوَاتِ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَهَا، وَيَسْمَعُونَ أَخْبَارَ الْغُيُوبِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ، فَيُلْقَوْنَهَا إِلَى الْكَهَنَةِ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنَعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَاوَاتٍ، وَلَمَّا وُلِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَنَعُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا)^(٤).

السؤال الثالث: إن الشياطين كيف يجوز أن يذهبوا إلى حيث يعلمون بالتجربة أنهم يُحْرِقُونَ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ؟ و"هل"^(٥) يمكن صدور

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/١٢١، بحار الانوار: ٦٠/١٨٨.

(٢) الجن: ٨.

(٣) ينظر: بحار الانوار: ٦٠/١٨٩.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٩/١٦٩.

(٥) في نسخة (ج): وهم.

ذلك عن عاقل، فضلاً عن الشَّيَاطِين الَّذِينَ لَهُمْ مَزِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ الْحِيلِ الدَّقِيقَةِ؟.

وأجاب عنه أبو عليّ الجبائي^(١): بَأَنَّ [٤٣ : ظ] حُصُولُ هَذِهِ الْحَالَةِ لَيْسَ لَهُ مَوْضِعٌ مُعَيَّنٌ، وَإِنَّمَا يُمْنَعُونَ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى مَوْضِعِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَوَاضِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، فَرَبَّمَا سَارُوا إِلَى مَوْضِعِهِمْ فَيُصِيبُهُمُ الشُّهْبُ، وَرَبَّمَا سَارُوا وَلَمْ يُصِيبْهُمْ، فَلَمَّا هَلَكُوا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَسَلِمُوا فِي بَعْضِهَا، جَازَ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى مَوْضِعٍ يَغْلِبُ عَلَى ظَنُونِهِمْ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُمْ فِيهِ، كَمَا يَجُوزُ فِيمَنْ يَسْلُكُ الْبَحْرَ أَنْ يَسْلُكَهُ فِي مَوْضِعٍ لَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ الْهَلَاكُ^(٢).

وهذا الجواب إنما يصح إذا جوزنا تخلف الرمي عن استراق السمع أحياناً، وفيه نظر.

وأجاب الشَّيْخُ فِي التَّيْيَانِ: (بَأَنَّهُمْ رَبَّمَا جَوَّزُوا أَنْ يُصَادِفُوا مَوْضِعاً يَصْعَدُونَ مِنْهُ لَيْسَ فِيهِ مَلَكٌ يَرْمِيهِمْ بِالشُّهْبِ، أَوْ اعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا مَنْ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ رُمُوا حِينَ أَرَادُوا الصُّعُودَ)^(٣).

وقيل في الجواب: إذا جاء القضاء عَمِيَ الْبَصَرُ، فإذا قضى الله على شيطان

(١) أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي، أحد أئمة المعتزلة ومتكلميهم، تفرد بآراء فتيحه جماعة فسموا الجبائية، ولد سنة ٢٣٥ وتوفي سنة ٣٠٣ هـ، ينظر ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤/ ٢٦٧، الكنى واللقاب: ١٤١/ ٢، قاموس الرجال، التستري، تح: مؤسسة النشر الاسلامي: ١٥/ ١٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٦/ ١٢١، بحار الانوار: ٦٠/ ١٨٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ١٤٩.

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

بالحرق، قبض الله من نفسه ما يردعه عن الإقدام على الهلكة، وربما غفل عن التجربة؛ لشدة حرصه على درك المقصود^(١).

وما يقال: من أن الشياطين مخلوقة من النار فكيف تحرقه النار؟ فضعفه ظاهر، مع أنه يجوز أن يكون طردهم بغير الإحراق.

واعلم: إنه قد زعمت طائفة أن هذه الشهب ما كانت موجودة قبل البعث، ورووه عن ابن عباس، وأبي بن كعب^(٢)، قالو: لم يُرمَ بنجم منذ رفع عيسى بن مريم عليه السلام، حتى بعث رسول الله ﷺ، فرمى بها، فرأت قريش أمرا ما رأوه قبل ذلك، فجعلوا يُسيَّبون أنعامهم، ويعتقون رقابهم يظنون آيات الفناء، فبلغ ذلك بعض أكابرهم، فقال: لم فعلتم ذلك؟ فقالوا: رُمي بالنجوم، فرأينا تهافت في السماء، فقال: اصبروا فإن تكن نجومٌ معروفةٌ فهو وقتٌ فناء السماء، وإن كانت نجومٌ لا تُعرف فهو أمرٌ حدث.

(١) ينظر: بحار الانوار: ١٨٨/٦٠.

(٢) أبو المنذر أبي بن كعب ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج من بني جديلة من أصحاب رسول الله ﷺ. شهد العقبة، وكان يكتب الوحي. شهد بدرًا، والعقبة وروى عنه ﷺ ١٦٤ حديثًا. روي أن رسول الله ﷺ قال: (أقرا أمتي أبي بن كعب). وهو أحد الأربعة الذين أمر رسول الله أن يؤخذ القرآن عنهم. توفي بالمدينة سنة ٣٠ في خلافة عثمان، وقيل غير ذلك.. ينظر ترجمته: المستدرک على الصحيحين: ٣/٣٠٢، اللباب في تهذيب الأنساب: ١/٢٦٣، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، البري، تح: د. محمد التونجي: ٧١.

فنظروا فإذا هي لا تعرف فأخبروه، فقال: في الأمر مهلة، وهذا عند ظهور نبي فما مكثوا إلا يسيراً، حتى قدم أبو سفيان على أمواله وأخبر أولئك الأقوام بأنه ظهر محمد بن عبد الله ﷺ ويدعي أنه نبي مرسل، وهؤلاء زعموا أن كتب الأوائل قد توالى عليها التحريفات، فلعل المتأخرين ألحقوا هذه المسألة بها، طعنأ منهم في هذه المعجزة، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهلية لعلها مختلقة عليهم لذلك^(١).

﴿فَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٢)

وفي بعض النسخ: وأجرى^(٣)، بالواو مكان الفاء.

وظاهر الكلام: كون الشمس، والقمر متحركاً في الفلك كالحوت في الماء، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤).

والسراج: هو الشمس^(٥)، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٥٨/٣٠، إمتاع الأسماع، المقرئزي: ١٣٤/٤، بحار الانوار: ٣٣١/١٥.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١ وفيه: (وأجرى فيها سراجاً)

(٣) معارج نهج البلاغة: ٦١، شرح نهج البلاغة: ١/١٣١، بحار الانوار: ٣٠٢/٧٤.

(٤) من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الانبياء: ٣٣.

(٥) ينظر: تفسير القرآن، الصنعاني، تح: د. مصطفى مسلم محمد: ٧٠/٣، الصحاح، مادة (سرج)، مفاتيح الغيب: ٣٠/١٤٠.

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا^(١)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(٢).

قيل: لما كان الليل عبارة عن ظل الأرض، والشمس سبباً لزوال ظل الأرض، كان شبيهاً بالسراج في ارتفاع ظلمة الليل، فلذلك جعل الشمس سراجاً^(٣).

والمستطير: (المتشعّ الضوء)^(٤)، وأنار الشيء، واستنار: بمعنى، أي: أضاء^(٥).

وقيل: (ما بالذات من النور ضوء، وما بالعرض نور)^(٦)، ولذا قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٧)، وقيل: لأن النور أضعف من الضوء^(٨).

ثم إن الضمير المجرور أمّا راجع إلى السماء الدنيا كالضمير المنصوب في قوله: ﴿زَيْنَهَا﴾^(٩) على ما هو الاظهر كما سبق، وحيث لا يطابق [٤٤ :

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) نوح: ١٦.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠ / ١٤٠

(٤) الانواء في مواسم العرب، ابن قتيبة الدينوري: ١٤٧.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (نور).

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود: ٤ / ١٢٠.

(٧) يونس: ٥.

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٧ / ٣٥، بحار الانوار: ٥٤ / ١٨٩.

(٩) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

و [مَا فِيهِمْ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ^(١)، مِنْ أَنَّ لِكُلِّ فَلَكٍ آخَرَ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ كَوْنَهُمَا فِي فَلَكٍ، لَا تَعَدُّ فَلَكُهُمَا، وَلَعَلَّهُ يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا فِي فَلَكٍ دَائِرَةٌ﴾ ^(٢) عَلَى الظَّاهِرِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعاً إِلَى السَّمَاوَاتِ، بِقَرِينِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ^(٣).

وَالْفَلَكَ أَصْلُهُ: كُلُّ شَيْءٍ دَائِرٍ، وَمِنْهُ فَلَكَةُ الْمِغْزَلِ، وَيُقَالُ: فَلَكٌ ثَدْيُ الْمَرْأَةِ تَفْلِكًا: إِذَا اسْتَدَارَ ^(٤).

﴿وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ﴾ ^(٥)

قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ السَّقْفِ ^(٦)، وَالرَّقِيمِ فِي الْأَصْلِ: (الْكَتَابُ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ) ^(٧)، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: (مِنْهَا حَدِيثُ عَلِيِّ السَّلَامِ فِي صِفَةِ السَّمَاءِ: (سَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ) يُرِيدُ بِهِ وَشْيُ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ) ^(٨).

(١) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الْإِنْبِيَاءُ: ٣٣.

(٢) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ٢٧ خ ١.

(٣) نُوحٍ: ١٦.

(٤) يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ،، مَادَّةُ (فَلَكَ).

(٥) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ٢٧ خ ١.

(٦) يَنْظُرُ ص: ٢٢٣.

(٧) لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (رَقَم).

(٨) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ الْأَثَرِ: ٢ / ٢٥٤.

والمائر: المتحرك، وليس هذا هو المور الذي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(١).

والكلمات الثلاثة تدلُّ على حركة الفلك في الجملة، ولعلَّ الأظهر في الجمع بين الظواهر القول بحركة الفلك والكواكب جميعاً، كما مرَّت الإشارة إليه، والله تعالى يعلم.

﴿ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾^(٢)

ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٣) وجوها:

أحدها: إنَّ المعنى: كانتا شيئاً واحداً مُلتزقتين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي، وأقرَّ الأرض.

وثانيها: إنَّ السماوات كانت مُرتتقة، فحصلت سبع سماء، وكذلك الأرضون.

وثالثها: إنَّ السماوات والأرض كانتا رتقاً بالاستواء، والصَّلابة، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات، والشجر، وهذا قول أكثر المفسرين^(٤)، وعليه تدلُّ رواية الأبرش المتقدمة، ورواية محمد بن عطية التي تقدَّم بعضها، وقال

(١) الطور: ٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الانبياء: ٣٠.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢/١٦٢-١٦٣.

الشيخ في التبيان: وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام.

وهذا الوجه لا ينافي كلامه عليه السلام كما يظهر بأدنى تأمل، ثم إن كلمة ثم للترتيب المعنوي، فيكونُ فتقُ السماواتِ بعدَ خلقِ الشمسِ، والقمر، بل بعد جعلها سبعَ سماواتٍ، وبعدَ خلقِ الكواكبِ فيها، ويُحتملُ أن يكون للترتيب في الذكر، كما تقدّم، وهذا الكلامُ صريحٌ في عدم تماسّ الأفلاكِ، كما توهم^(١).

﴿فَمَلَأْنَاهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ﴾^(٢)

الطُّورُ بالفتح، في الأصل: التَّارَةُ^(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٤) قيل: أي طوراً نطفةً، وطوراً علقةً، ثم طوراً مضغّةً^(٥)، وهكذا، وقيل: أي حالاً بعد حال^(٦)، أي: خلقكم مختلفين في الصفات: أغنياء، وفقراء، وزمّني، وأصحّاء^(٧)، وهذا هو المناسبُ لكلامه عليه السلام.

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٤٢ / ٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (طور).

(٤) نوح: ١٤.

(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٦ / ١٠، تفسير جوامع الجامع: ٦٩١ / ٣. مجمع

البيان في تفسير القرآن: ١٣٤ / ١٠.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تح: الشيخ خليل

الميسر واخرون: ٤١٦ / ١٦، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: ٤٥ / ١٠،

مفاتيح الغيب: ١٣٩ / ٣٠.

(٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٤ / ١٠، زبدة التفاسير: ١٩٥ / ٧، بحار

الانوار: ١٨٩ / ٥٤.

واعلم: أن قد مرَّ في رواية الهروي عن الرضا عليه السلام: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاوَاتِ ^(١)، فيجبُ أن يكونوا قبلَ فتقِ السَّمَاوَاتِ في مكانٍ يعلمُهُ اللهُ، ثُمَّ شرَعَ عليه السلام في تفصيلِ اختلافهم، فقال:

﴿مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَتَّصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ^(٢)

السُّجُود، والرُّكُوع، بالضمِّ فيها، جمعُ ساجِدٍ، وراكعٍ، فإنَّ فاعِلَ الصِّفَةِ يُجْمَعُ على فَعُولٍ، إذا جاء مصدره على فَعُولٍ أيضاً ^(٣).
والانتصابُ: القيام ^(٤).

والصِّفُّ: (ترتيبُ الجمعِ على خطٍّ، كالصِّفِّ في الصَّلَاةِ، وفي الحرب) ^(٥)، وقال أبو عبيدة: (كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ السَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ لَمْ يَضْمَ قُطْرِيهِ، فَهُوَ صَافٌ) ^(٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ ^(٧) إِذَا نَشَرَتْ أَجْنَحَتَهَا، وبهما فُسِّرَ قوله

(١) ينظر: التوحيد: ٣٢٠ ح ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٢٣ ح ٣٣.

(٢) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي، تح: محمد نور الحسن: ١٥٨/ ٢.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، مادة (قوم).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٣٩/ ٨.

(٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٨/ ٤٨٢، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٩٥/ ٨.

(٧) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ

تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾^(١)، ف قيل: هُم الملائكة المُصْطَفُّونَ في [٤٥: ظ] السَّاءِ كالمؤمنين في الصَّلَاةِ، وقيل: هُم الملائكة، تصفُّ أجنتها في الهواء إذا أرادت النُّزولَ إلى الأرض واقفةً تنتظرُ ما يأمرها اللهُ تعالى^(٢)، والأنسبُ بكلامه ﷺ هو الأوَّل.

وفُسِّرَت الصَّافَّاتُ بالمؤمنين؛ يقومونَ مُصْطَفَيْنَ في صلواتهم، وجهادهم. وَالتَّزَائِلُ: التَّبَايُنُ، والتَّفَارُقُ^(٣).

والتَّسْيِيحُ: هو التَّنْزِيهُ والتَّقْدِيسُ، والتَّبَرُّءُ مِنَ النِّقَائِصِ^(٤). وَالسَّامَةُ: المَلَالَةُ، والضَّجَرُ، يُقَالُ: سَمِمَ كَعَلِمَ، يَسَامُ سَامًا، وَسَامَةٌ^(٥) قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٧).

كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿النور: ٤١﴾.

(١) الصافات: ١.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٤٨٢.

(٣) ينظر: كتاب العين، مادة (زيل).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢ / ٣٣١.

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (سَم).

(٦) فصلت: ٣٨.

(٧) الانبياء: ٢٠.

﴿لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةٌ

النَّسْيَانِ﴾^(١)

غَشِيَهُ يَغْشَاهُ: إِذَا جَاءَهُ^(٢)، لَا يَرْضَاهُم النَّوْمُ، وَغَيْرُهُ.

وَالْفِتْرَةُ: الْإِنْكَسَارُ، وَالضَّعْفُ^(٣).

وَالنَّسْيَانُ: خِلَافُ الذِّكْرِ، وَالْحِفْظِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّرْكِ^(٤)، وَفُسِّرَ بِهِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٥)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ

بَيْنَكُمْ﴾^(٦)^(٧).

﴿وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَالسَّيِّئَةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَخَتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ

وَأَمْرِهِ﴾^(٨)

(١) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٣٦٩.

(٣) ينظر: الصحاح، مادة (فتر)، لسان العرب، مادة (فتر).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (نسا).

(٥) من قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة:

٦٧.

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٣٦٨.

(٨) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

الوحي في الأصل: أن يُلقَى الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار، والإخفاء، ويكون بمعنى: الكتابة، والإشارة، والرّسالة، والإلهام^(١).

والاختلاف: التّردّد^(٢)، ومنه الحديث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: (مَن اختلفَ إلى المسجدِ، أصابَ إحدى الثّمانِ...) (٣).

والقضاء في الأصل: القطع، والفصل، وقضاء الشيء: إحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه، ويكون بمعنى: الخلق^(٤).

وقال الأزهري^(٥): القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ١٧٦، بحار الانوار: ٥٤ / ١٩٠.

(٢) ينظر: مجمع البحرين، مادة (خلف).

(٣) عن علي ابن ابي طالب عليه السلام قال: (من اختلف إلى المسجد، أصاب إحدى الثمان: أcha مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو سمع كلمة تدله على الهدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة ترده عن ردى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء)، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٣٧ ح ٧١٣، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، الشيخ الطوسي: ١٠٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (قضي).

(٥) محمد بن أحمد الأزهري الهروي الشافعي، أديب، لغوي، ولد في هراة بخراسان، سنة ٢٨٢هـ، كان فقيهاً عارفاً بالمذهب، ثم غلب عليه علم العربية، فكان لغوياً أديباً مصنفًا، سمع ببلده من: الحسين بن إدريس، ومحمد بن عبد الرحمن السامي، وبغداد من أبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، ونفطويه، وغيرهم، روى عنه: أبو عبيد الهروي، وسعيد بن عثمان القرشي، ومن تصانيفه: تهذيب اللغة، علل القراءات، تفسير اصلاح المنطق، غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء، وتفسير السبع الطّوال، ومات بهراة سنة ٣٧٠هـ، ينظر: كشف الظنون: ١/ ٣١، موسوعة

... حدائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

السَّيِّءِ، وتامه^(١)، (ما أَحْكَمَ عَمَلُهُ، أو أُتِمَّ، أو خُتِمَ، أو أُدِّيَ، أو أُوجِبَ، أو أُعْلِمَ، أو أُنْفِذَ، أو أُمْضِيَ، فقد قُضِيَ، قال: وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث)^(٢).

والأَلْسِنَةُ إلى الرُّسُل: هُم الَّذِينَ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِمْ بقوله عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾^(٣)، ولعلَّ الاختلافُ بِالْأَمْرِ والقَضَاءِ أَعَمُّ مِنْ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ، فيُحْمَلُ على غيره تحصيلًا للتقابل.

قال بعضُ الشَّارِحِينَ: المرادُ بالقَضَاءِ الأمورُ الْمُقْضِيَّةُ، يُقَالُ: هذا قَضَاءُ اللَّهِ، أي: مُقْضِي اللَّهِ، ولا يُرادُ به المصدر؛ فإنَّ معنى ذلك هو سَطَرٌ ما كان ويَكُونُ في اللَّوْحِ المحفوظ بالقلم الإلهي، وذلك قد فرغ منه^(٤)، كما قال ﷺ: (جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ)^(٥) وفيه نظرٌ ظاهرٌ.

طبقات الفقهاء: ٣٤٥ / ٤، إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي: ٦٠٨ / ١، أعيان الشيعة: ٥١٣ / ٤.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب: ١٦٩ / ٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٨ / ٤.

(٣) من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ١٦٣ / ١.

(٥) المسند، أحمد بن حنبل: ٣٠٧ / ١، كنز العمال، المتقي الهندي: ٧٥٤ / ٣ ح ٨٦٦١، سبل السلام، الصنعاني، تح: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي: ١٧٦ / ٤.

﴿وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ﴾^(١)

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْحَفَظَةُ لِلْعِبَادِ غَيْرُ الْحَافِظِينَ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ أَشَارَ
سُبْحَانَهُ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا
تَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وَهُمْ الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ

بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ﴾^(٣) عَلَى مَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ^(٤) عَنْ أَبِي
جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (يَقُولُ: بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي رَكِيٍّ^(٥)، أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ،
أَوْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، يَدْفَعُونَهُ إِلَى الْمَقَادِيرِ، وَهُمَا
مَلَكَانِ يَحْفَظَانَهُ بِاللَّيْلِ، وَمَلَكَانِ بِالنَّهَارِ يَتَعَقَبَانَهُ)^(٦).

وَرُوي فِيهِ: (إِنَّ الْآيَةَ قُرِئَتْ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لِقَارِئِهَا: أَلَسْتُمْ عَرَبًا

(١) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٢) الانفطار: ١٠-١٢.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) أبو الجارود، زياد بن المنذر، الهمداني الخارفي، روى عن الإمامين الباقر والصادق
عليهما السلام لَهُ كِتَابُ التَّفْسِيرِ رَوَاهُ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عليه السلام كَانَ مَقْبُولُ الرِّوَايَةِ، مُخْتَلَفٌ فِي
وِثَاقَتِهِ، يَنْظُرُ تَرْجُمَتُهُ: التَّارِيخُ الْكَبِيرُ، الْبَخَارِيُّ: ٣/ ٣٧١، الرِّجَالُ، النَّجَاشِيُّ: ١٧٠،
الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ: ١/ ٣٤.

(٥) الركي: جمع الركية وهو البئر ذات الماء، ينظر: الصحاح، مادة (ركا)، مجمع البحرين،
مادة (ركا).

(٦) تفسير القمي: ١/ ٣٦١.

؟ كَيْفَ تَكُونُ الْمُعَقَّبَاتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَإِنَّمَا الْعَقْبُ مِنْ خَلْفِهِ ؟ فقال الرَّجُلُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ، كيف هذا ؟ فقال : إِنَّمَا نَزَلَتْ "لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ خَلْفِهِ، وَرَقِيبٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ" وَمَنْ [٤٦ : و] الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَحْفَظَ الشَّيْءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟! وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالنَّاسِ^(١).

وُفُسِّرَتِ الْحَفْظَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْكَتَبَةِ، وَقَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ : (وَقَدْ رُويَ ذَلِكَ عَنْ أُنْمَتِنَا عليه السلام)^(٢).

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي كَلَامِهِ عليه السلام هُمْ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ بِتَقْدِيرٍ مُضَافٍ.

وَرُويَ فِي الْاِحْتِجَاجِ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ^(٣)، قَالَ : (سَأَلَ الزُّنْدِيقُ فِيمَا سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ : مَا عَلَّمَهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلِينَ بِعِبَادِهِ، يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، وَاللَّهُ عَالِمُ السِّرِّ، وَمَا هُوَ أَخْفَى، قَالَ : اسْتَعْبَدَهُمْ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُمْ شُهُودًا عَلَى خَلْقِهِ، لِيَكُونَ الْعِبَادُ لِمُلَازِمَتِهِمْ إِيَّاهُمْ أَشَدُّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُوَاطَّاةً، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدُّ انْقِبَاضًا، وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ يَهْتُمُّ بِمَعْصِيَتِهِ، فَذَكَرَ مَكَانَهَا فَارْعَوَى وَكَفَّ، فَيَقُولُ : رَبِّي يَرَانِي، وَحَفَظَتْنِي عَلَى بِذَلِكَ تَشْهَدُ، وَأَنَّ اللَّهَ بَرَأَفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضًا وَكُلَّهُمْ بِعِبَادِهِ، يَذُبُّونَ عَنْهُمْ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ، وَهَوَامَّ الْأَرْضِ، وَأَفَاتُ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٤)، وَرَبَّنَا

(١) المصدر نفسه : ٣٦٠ / ١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : ١٩ / ٦.

(٣) ينظر ترجمة صفحة : ١٨١.

(٤) الاحتجاج : ٩٥ / ٢.

يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ اتِّحَادُ الْكِتَبَةِ، وَالْحَفَظَةُ، وَيُمْكِنُ صُدُورُ الْحِفْظِ، وَرَفْعُ
الْآفَاتِ عَنِ الْكِتَبَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ **الْكَلَامُ**: ﴿وَكَلَّهْمُ﴾^(١) رَاجِعاً
إِلَى مُطْلَقِ الْمَلَائِكَةِ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ لِفَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ.

﴿وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ الْجَنَانِ﴾^(٢)

وَهُمْ: الْمُتَوَلُّونَ لِأُمُورِ الْجَنَانِ، وَفَتْحِ الْأَبْوَابِ، وَإِعْلَاقُهَا [وَأَصْلُ السَّدَانَةِ
فِي الْكَعْبَةِ، وَبَيْتِ الْأَصْنَامِ]^{(٣) (٤)}.

﴿وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ﴾^(٥)

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (فِي الْأَرْضِ أَقْدَامُهُمْ)^(٦)، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ
بِالْأَرْضِينَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ - عَلَى مَا فِي الْأَصْلِ - قَطْعَاتُ الْأَرْضِ وَبِقَاعُهَا، وَالنُّكْتَةُ
فِي إِيرَادِهَا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ الدَّلَالَةُ عَلَى عِظَمِ قِدَمِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ: الْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ
تَعَدُّدِهِمْ، وَسَيَجِيئُ مَعْنَى تَعَدُّدِ الْأَرْضِينَ، وَكَوْنُهَا سَبْعاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ﴾^(٧)

(١) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨ خ ١.

(٣) من نسخة (ب).

(٤) ينظر: بحار الانوار: ١٩١ / ٥٤.

(٥) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٦) بحار الانوار: ١٩١ / ٥٤.

(٧) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

المُرُوق: الخروجُ، يُقال: مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، إذا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ^(١)، وَسُمِّيَتِ الْخَوَارِجُ مَارِقَةً، لقوله ﷺ: (إِنَّهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)^(٢)، وَالرَّمِيَّةُ: (هي فَعِيلَةٌ، بمعنى: المَرْمِيَّةُ)^(٣)، وَأَمَّا مَا وَقَعَ لِبَعْضِ الْفُضَلَاءِ مِنْ تَفْسِيرِهَا بِالْقَوْسِ، فَلَعَلَّهُ نَشَأٌ مِنْ تَصْحِيفِهَا بِالرَّمِيَّةِ، بِسُكُونِ الْمِيمِ، وَتَأْوِيلُ الْخُرُوجِ مِنْهَا بِالْخُرُوجِ مِنَ الْقَوْسِ، أَوْ مِنْ جَعْلِهَا بِمَعْنَى: مَا يُرْمَى بِهِ^(٤).

وَالْأَقْطَارُ: الْجَوَانِبُ^(٥)، وَأَرْكَائِهِمْ: جَوَارِحُهُمُ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا، وَيَسْتَنْدُونَ إِلَيْهَا، وَلَعَلَّ مُنَاسَبَةَ أَكْتَافِهِمْ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ قُرْبُهَا مِنْهَا، أَوْ إِنَّهَا تَشْبَهُهَا فِي الْعِظَمِ^(٦).

وَقَائِمَةُ الشَّيْءِ: مَا يَقُومُ بِهِ^(٧)، وَالْقَوَائِمُ، بِالْهَمْزَةِ دُونِ الْيَاءِ، وَالْأَخْبَارُ فِي صِفَةِ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ رِئِيسُ الْمُحَدِّثِينَ فِي الْعَيُونِ عَنْ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ اللَّهَ دِيكًا، عُرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَرِجَالُهُ فِي تَحُومِ الْأَرْضَيْنِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، إِذَا كَانَ فِي الثُّلُثِ

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (مرق).

(٢) الصحيح، البخاري: ١٧٩/٤، من لا يحضره الفقيه: ١/١٢٤ ح ٣٨٨.

(٣) عمدة القاري، العيني: ٢٥/٢٠١.

(٤) ينظر: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ١/٣٢١.

(٥) ينظر: الصحاح، مادة (قطر).

(٦) ينظر: بحار الانوار: ٥٤/١٩١.

(٧) ينظر: الصحاح، مادة (قوم).

الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ سَبَّحَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا الثَّقَلَيْنِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، فَتَصِيحُ عِنْدَ ذَلِكَ دِيكَةُ الدُّنْيَا^(١).

وسياتي تمام الأخبار في ذلك المعنى إن شاء الله تعالى في شرح خطبة الأشباح.

ويمكن أن يكون الموصوفون بهذه الصفات هم الحَمَلَةُ للعرش، ويناسبه قوله عليه السلام:

«الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ [٤٧: ط]، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنَحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارٌ»^(٢) الْقُدْرَةُ عليه السلام^(٣)

النَّكْسُ: (المُطَاطِئُ رَأْسُهُ)^(٤)، وفي إسناده إلى الأبصارِ دِلَالَةٌ على عدم التفاتهم في نكسهم يمينا وشمالا^(٥)، والضَّمِيرُ في: دونه، راجعٌ إلى العرش، وكذا في: تحته، واللفاعُ: (ثَوْبٌ يُجَلَّلُ بِهِ الْجَسَدُ كُلُّهُ، كَسَاءٌ كَانَ أَوْ غَيْرُهُ، وَتَلَفَّعَ بِالثَّوْبِ، إِذَا اشْتَمَلَ بِهِ)^(٦)، والمراد بـ: مَنْ دُونَهُمْ أَمَّا بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٧٧ ح ٣٣٣.

(٢) في نسخة (ج): أسبار.

(٣) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٤) الصحاح، مادة (نكس).

(٥) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٩١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤ / ٢٦١.

البشر، أو الجن، أو الأعم^(١).

﴿لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمُصْنُوعِينَ، وَلَا يُخَذُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ﴾^(٢)

لعلَّ المراد تقديسُ الملائكة عن إثبات لوازم الجسميّة، والإمكان له سبحانه صريحاً، وتوبيخُ المشبّهين من البشر ضمناً.

والنّظائرُ: جمعُ نظيرة، وهي: المثل، والشّبه في الأشكال، والأخلاق، والأفعال، والأقوال، والنّظيرُ: المثل في كلّ شيء^(٣)، وفي بعض النسخ: لا يُشيرُون إليه بالنّواظر، أي: بالأبصار، وفي بعضها: بالمواطن، أي: الأمكنة^(٤).

واعلم: إنّ الأخبار في وصف كثرة الملائكة كثيرة جداً، روتها العامّة، والخاصّة، فمن المشهورات بين الجمهور، ما تكرّر في كتبهم من أنّ النّبي ﷺ قال: (أُطِّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا، وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ رَاكِعٌ)^(٥)، والاطيط في الأصل: صوتُ القتب على الإبل، وصوتُ

(١) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٩١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٨ خ ١.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ٧٨.

(٤) ينظر: بحار الانوار: ٥٤ / ١٩٢.

(٥) سنن الترمذي، ابو عيسى الترمذي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف: ٣ / ٣٨١ ح

٢٤١٤، السنن الكبرى، البيهقي: ٧ / ٥٢، كنز العمال: ١٠ / ٣٦٤ ح ٢٩٨٢٩، بحار

الانوار: ٧٩ / ٣٠٦.

الإبل من ثقل الحمل، وحنينها^(١)، والمراد تشبيه السماء مملوءة بأصوات الملائكة بالتسبيح، والتهليل بصوت القتب على ظهر البعير من ثقل الحمل، وتشبيه أصواتها بالأصوات المذكورة، وحُق لها: على صيغة الماضي المجهول، أي: حقيق بها، ومما ورد من طرق الخاصة، عن أهل بيت العصمة، والطهارة، ما رواه علي بن إبراهيم في التفسير عن حماد^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام: أَنَّهُ سُئِلَ الْمَلَائِكَةُ أَكْثَرُ أَمْ بَنُو آدَمَ؟ فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَلَائِكَةُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّرَابِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ لِيَسْبِّحَهُ وَيُقَدِّسَهُ، وَلَا فِي الْأَرْضِ شَجَرٌ وَلَا مَدَرٌ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَأْتِي اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَمَلِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَتَقَرَّبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى اللَّهِ بِوَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيَسْتَغْفِرُ لِحَيِّينَا، وَيَلْعَنُ أَعْدَاءَنَا، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِرْسَالًا)^(٣)، وروى مثله في كتاب بصائر الدرجات^(٤). ولعل المراد بعمل الشجر، والمدر، ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

(١) ينظر: الصحاح، مادة (اطط).

(٢) أبو محمد، حماد بن عيسى، الجهنني، الكوفي، روى عن روى عن الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام ثقة، صدوق، له كتب، منها: كتاب الصلاة، والزكاة وغيرها، توفي سنة ٢٠٩ هـ، ينظر ترجمته: الرجال، النجاشي: ١٤٢، خلاصة الأقوال: ١٢٤.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ٢٥٥.

(٤) بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن الصفار، تح: د. بسام علي سلامة العموش: ٨٩ ح ٩.

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ^(١)، أو المراد بعملها أحوالها وما يجري عليها^(٢).

وروى الشيخ رحمه الله في الأمالي عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْثَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّهُ لَيَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَيَأْتُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَيَطُوفُونَ بِهِ، فَإِذَا هُمْ طَافُوا بِهِ نَزَلُوا فَطَافُوا بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا طَافُوا بِهَا أَتَوْا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَوْا قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَوْا قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ عَرَجُوا، وَيَنْزِلُ مِثْلَهُمْ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وقال عليه السلام: مَنْ زَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَارِفًا بِحَقِّهِ، غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ، وَلَا مُتَكَبِّرٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُعِثَ مِنَ الْأَمِينِ، وَهُوَ عَلَى الْحِسَابِ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا انْصَرَفَ شَيَعَتُهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَإِنْ مَرَضَ عَادُوهُ، وَإِنْ مَاتَ تَبِعُوهُ بِالْأَسْتِغْفَارِ إِلَى قَبْرِهِ، قال: وَمَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَوَابَ [٤٨: و] أَلْفِ حِجَّةٍ مَقْبُولَةٍ، وَأَلْفِ عَمْرَةٍ مَقْبُولَةٍ، وَغَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ^(٣).

وكفى في الدلالة على هذا المعنى ما تقدم، ومن قوله عليه السلام: ﴿لَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ﴾^(٤)، ولا يخفى عليك صراحة الأخبار المعتمدة بالآيات

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) ينظر: بصائر الدرجات: ٨٩ ح ٩.

(٣) الامالي، الشيخ الطوسي: ٣١٤ ح ٣٧٢.

(٤) نهج البلاغة: ٢٧ خ ١.

الكريمة في تجسّم الملائكة، ومَن رامَ في أمثالِ هذه المواضع تطبيقُها على أصولِ الفلاسفة - كـبعضِ الشّارحين - فقد كَلَّفَ نفسه شططاً، وتحَمَّلَ ما لا يُطِيقُ حَمَلَهُ، وعساكَ تظفَرُ في شرحِ خُطبةِ الأشباحِ إن شاء اللهُ تعالى بما يَروى الغلّةُ، ويُشفي العِلّةُ.

ومِن جُملةِ ما يدُلُّ على ذلك، ما رواه في الاحتجاج عن أبي محمّد العسكريّ (عليه السلام) فيما احتجَّ رسولُ الله ﷺ به على المشركين: (وَالْمَلِكُ لَا تُشَاهِدُهُ حَوَاسُّكُمْ؛ لَأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ هَذَا الْهَوَاءِ لِأَعْيَانٍ مِنْهُ، وَلَوْ شَاهَدَتْكُمْ - بِأَن يَزْدَادَ فِي قُوَى ابْصَارِكُمْ - لَقُلْتُمْ لَيْسَ هَذَا مَلَكًا، بَلْ هَذَا بَشَرٌ)^(١).

المحتويات

٩.....	مقدمة المؤسسه
١١.....	المقدمة
١٧.....	التمهيد
١٧.....	سيره السيد علاء الدين كلستانه
١٩.....	اسمهُ، ونسبهُ، ولقبهُ
٢٠.....	نشأته، ومكانته العلمية
٢٦.....	أبنائه
٢٧.....	محل سكناه
٢٨.....	شيوخه
٢٨.....	اجازاته من علماء عصره
٢٩.....	تلامذته
٣٠.....	آثاره
٣٨.....	وفاته
٣٩.....	مدفنه

الفصل الأول

جهود المصنف

٤٣.....	المبحث الأول: مصادر ثقافته
٤٣.....	الكتب:
٤٧.....	- كتب التفسير:

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

- ١ - تفاسير الشيعة الإمامية..... ٤٧
- ٢ - تفاسير الجمهور: ٤٧
- كتب التاريخ: ٤٨
- كتب الفقه ٤٨
- كتب الأدعية: ٥٢
- كتب العقائد: ٥٢
- كتب المنطق والعرفان: ٥٣
- كتب شروح نهج البلاغة: ٥٣
- مصادر رجال الحديث: ٥٣
- المبحث الثاني: نقده: ٥٥
- المبحث الثالث: ترجيحاته ٥٩
- المبحث الرابع: النقل من المصادر..... ٦٣

الفصل الثاني

مباحث اللغة

- المبحث الأول: النحو ٦٩
- أولاً: المصطلح النحوي: ٧١
- ثانياً: الوجوه النحوية ٧٤
- ثالثاً: الخلاف النحوي ٧٨
- المبحث الثاني: الصرف ٨١
- المبحث الثالث: المادة المعجمية ٨٧
- اسباب تأليف المعاجم، وفوائدها..... ٨٧
- النقل بالنص: ٨٩
- النقل بالمعنى: ٩٠

- النقل من معجمات المعاني، والتفاسير: ٩١
- الضبط، والتقييد: ٩٤
١. الضبط بذكر الحروف، وحركاتها: ٩٤
٢. الضبط بذكر كلمة تشبه الكلمة المُفسَّرة في وزنها: ٩٥
- الفروق اللغوية: ٩٦

الفصل الثالث

علوم القرآن والحديث

- المبحث الأول: القرآن الكريم ١٠٣
- المبحث الثاني: القراءات القرآنية ١٠٧
- المبحث الثالث: الحديث النبوي الشريف ١١١

الفصل الرابع

التاريخ والفلسفة والعلوم الأخرى

- المبحث الأول: التاريخ ١١٧
- المبحث الثاني: الفلسفة والمنطق ١١٩
- المبحث الثالث: العلوم الأخرى ١٢٣

الفصل الخامس

شواهد

- المبحث الأول: الامثال ١٢٩
- المبحث الثاني: البلاغة ١٣٣
- المبحث الثالث: الشعر ١٣٧
١. الشعر الجاهلي: ١٣٨
٣. الشعر الأموي: ١٤٠
٤. الشعر العباسي: ١٤٠

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...

الشعر المجهول النسب	١٤١
ثبت عنوان الكتاب	١٤٣
(حَدَائِقُ الْحَقَائِقِ فِي شَرْحِ كَلِمَاتِ كَلَامِ اللَّهِ النَّاطِقِ)	١٤٣
توثيق نسبته للسيد علاء الدين كلستانه	١٤٤
نهج البلاغة	١٤٥
منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة	١٤٦
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد	١٤٧
شرح نهج البلاغة	١٤٨
دواعي تأليف الشرح	١٤٩
وصف النسخ المعتمدة في التحقيق	١٥١
القسم الاول:	١٥١
القسم الثاني:	١٥٢
عملي في التحقيق:	١٦١
ثبت رموز التحقيق	١٦٦
نماذج من صور المخطوط	١٦٩
مقدمة المؤلف	١٧٧
مقدمة الشريف الرضي	١٩٣

...السيد علاء الدين كلستانه...

... حقائق الحقائق في شرح كلمات كلام الله الناطق ...